قام الطالب بتصحيح المطلوب

د/محمود أحمد خفاجي . د/أحمد لطفي الغنام

د/محمد بن سعيد القحطاني

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم العقيدة

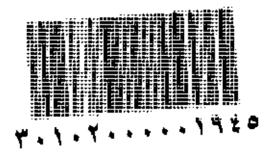
الدراسات العليا

النبوة عند ابن تيمية

ورده على المخالفين

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية

فرع العقيدة



الجزء الأول

اعداد الطالب

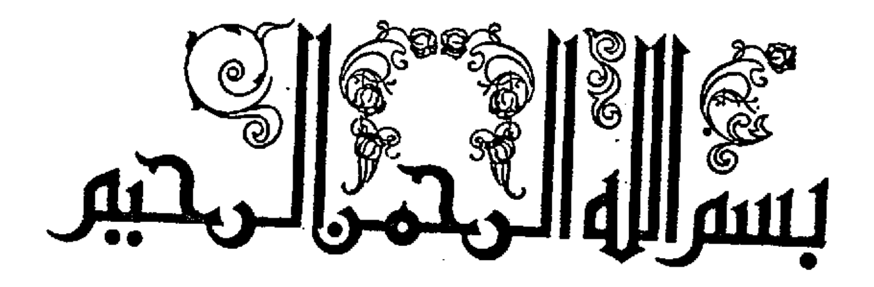
سعيد ابراهيم مرعي خليفة



اشراف الأستاذ الدكتور

محمود أحمد خفاجي

١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ

ســـورة آل عمران ٨٤ ، ٨٥

شكر و تقدير

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، و الشكر له سبحانه أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا على ما من به من عظيم العطايا و الهبات ، و الصلاة و السلام على سيد الشاكرين ، و إمام الصابرين محمد بن عبد الله ، وعلى آله و صحبه و من اهتدى بهداه . أما بعد :

فإنه إن كان شكر الله تعالى واجبا على العبد المسلم ، فكذلك شكر الناس فقد قال النبى ـ صلى الله عليه و سلم ـ " لا يشكر الله من لا يشكر الناس " (١) و قال " من لم يشكر الناس لا يشكر الله " (٢) لذا توجب على أن أتقدم بالشكر الجزيل ، و العرفان بالجميل لكل من كان له على فضل بعد الله تعالى فى إنجاز هذا البحث فأتوجه بشكرى للفضلاء القائمين على جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، خصوصا المسئولين فى كلية الدعوة وأصول الدين وعلى رأسهم عميدها ، ووكليها ، و رئيس قسم العقيدة ، الذين أتاحوا لى فرصة الدراسة فى قسم الدراسات العليا ، وهيأوا لى الظرف التى ساعدتنى على ذلك ، و أدعوا الله أن يجزيهم عنى خير الجزاء

كما أتقدم بخالص شكرى و تقديرى إلى فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ محمود أحمد خفاجى ، الذى تكرم بالإشراف على هذه الرسالة ، و الذى لم يدخر وسعا ، ولم يأل جهدا فى تقديم كل إرشاد و توجيه فى ساعات الإشراف الرسمية و غير الرسمية و فى داخل الجامعة و فى داخل منزله الذى فتحه أمامى و أمام غيرى من طلاب العلم يتعاهد هذا البحث و يرعاه و ينميه ، حتى اكتمل و استوى على سوقه ، فجزاه الله خير الجزاء و أوفاه و أحسنه و له منى كل الشكر و التقدير ، سائلا المولى تعالى أن يديم عليه الرضا و العفو والعافية و التوفيق .

---

(١) مسند الامام احمد جـ٢/ ٢٥٨، ٢٩٥، ٣٠٣، ٣٨٨، ٤٦١، ٤٩٢ وسنن ابى داود ـ كتاب الادب ،باب فى شكر المعروف جـ٤/ ٤٨١١ عن ابى هريرة رضى الله عنه ـ مرفوعا ، الترمذى كتاب البر ـ باب في الشكر لمن احسن اليك ٤ / ٢٩٨

(٢) اخرجه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح ٤/٢٩٩ رقم ١٩٥٥ .

و لايفوتنى أن أتقدم بخالص شكرى و تقديرى إلى القائمين على المكتبة المركزية بجامعة أم القرى ، و كذا مكتبة مركز البحث العلمى ، و مكتبة الحرم المكى الشريف و مكتبة مكة المكرمة العامة ، الذين تعاونوا معى فى تسهيل مهمة الإطلاع على المراجع و الكتب الهامة .

كما أننى أوجه شكرى إلى كل من تفضل على بالنصح و الإرشاد و المساعدة فى كل صغيرة أو كبيرة .

فالله أسأل أن يوفق الجميع ، و يكرمهم ، و يجزيهم الأجر العظيم و الثواب الكريم . جزى الله جميعهم خير الجزاء

الباحث

سعيد ابراهيم مرعى خليفة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، و أشهد أن محمدا عبد الله و رسوله — صلى الله عليه وعلى آله و صحبه و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد فإن موضوع النبوات من أعظم أبواب العقيدة و أهمها ، إذ كل أمور العقيدة متوقفة على ثبوت النبوة ، و كل عقيدة في أي دين سماوي تتناول عناصر ثلاثة أساسية فمنها ما يتعلق بالإله ما يجب له و ما يستحيل في حقه ، و ما جاز في شأنه ، ومنها ما يتعلق بالنبوات كإثباتها و إمكانها أو ما يتصل بالمعجزات و إمكانها و دلالتها على صدق مدعي النبوة ، و ما يتعلق كذلك من صفات الرسل . و منها ما يدخل فيما اصطلح على تسميته " بالسمعيات " كالجزاء و الحساب و الصراط و غيرها .

و لكن النبوات — كما قلنا — هي مفتاح هذه العناصر الثلاثة وأساسها فإن الله تعالى إذا أراد أن يمتن على عباده بالهداية أرسل إليهم رسله يدعونهم إليه تعالى .

و تظهر الحاجة إلى النبوة واضحة ملحة في معرفة الخالق جل وعلا بأسمائه وصفاته وأفعاله ، و هي ضرورة أيضا لمعرفة الشرع و الدين الذي يضمن السعادة و الاطمئنان للبشر في حياتهم الدنيا ، و الآخرة ، كما أن الحاجة إلى النبوة تتضح أكثر بالنسبة إلى مآل الإنسان و مصيره بعد الموت ، وهي القضايا التي اصطلح على تسميتها " بالسمعيات " من نعيم القبر أو عذابه ، و منكر و نكير ، و أمور القيامة الكبرى من الصراط و الميزان ، و الجنة و النار ، و الثواب و العقاب و الحساب ، و غير ذلك مما يتعلق بالدار الآخرة كل ذلك لا يمكن معرفته إلا عن طريق النبوة و الرسالة .

لهذا كان موضوع النبوة جديرا بالبحث و العناية ، و ميدانا خصبا للدراسة جادة في مجال العقيدة الإسلامية .

و ثمة سبب آخر يوضح أهمية البحث و الدراسة لهذا الموضوع و هو أن كثيرا من الكتابات في هذا الجانب قد جانبت الفهم الصحيح للإسلام في هذه الناحية من عقيدته

فقد ركز أعداء الإسلام هجومهم على صاحب الرسالة ألا و هو نبينا ــ محمد ــ صلى اللــه عليه و سلم ــ و نبوته ، كما ظهر في أقطار عديدة من ادعى لنفسه النبوة وانتسب إلى الإسلام زورا و بهتانا كغلام أحمد القادياني ، و انخدع بباطله بعض الناس وساروا في ركبه ، و ظنوا أنهم بذلك يحسنون صنعا .

بالإضافة إلى سبب رئيسي و هو أن منهج المتكلمين و الفلاسفة و المتصوفة في طرق إثبات النبوة كان بعيدا في أساسه عن طريقة أهل السنة و الجماعة ، فكان لا بد من توضيح موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من هؤلاء المخالفين و الرد عليهم .

و خصوصا وأن شيخ الإسلام ابن تيمية قد تعرض في مؤلفاته و مصنفاته لموضوع النبوة بل أفرد لها بعض المصنفات مثل كتاب " النبوات " ، و كتاب " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح " ، و تناول ما يتعلق بها من طرق الإثبات ونقد المخالفين لمنهج الكتاب و السنة في هذا الكتاب و غيره .

و كان في تقرير المفهوم الصحيح للنبوة و طرق إثباتها معتصما بالكتاب و السنة و سيرة النبي ــ صلى اللــه عليه و سلم ــ كما هي عادته و منهجه دائما في تقرير العقائد و الأحكام ، يمد هذا المنهج و يغذيه غزارة في العلم ، ودقة في التعبير ، و حسن التفصيل ، و إبراز للمفاهيم الصحيحة التي كان عليها سلف هذه الأمة الصالح من الصحابة و التابعين و تابعيهم بإحسان و أئمة أهل السنة و الجماعة .

و لما كان لشيخ الإسلام ابن تيمية ذلك المنهج المتفرد في عرض الآراء ومناقشتها و تصحيح الصحيح و التركيز عليه و تفنيد الباطل ورده ، بأدلته الواضحة الدامغة المرتكزة على الوحيين ، و طول نفسه العلمي في تقرير الحق و ابطال الباطل ، بوجوه

مختلفة ، و طرق متعددة ، و أساليب متنوعة ، تشهد له بطول باعه ، وسعة اطلاعه على آراء كل من الموافقين و المخالفين ، و المقرين و المنكرين لذا اخترت موضوعي عن

" النبوة عند ابن تيمية و رده على المخالفين "

منهج البحث :

و كان منهجي الذي سرت عليه في هذا البحث :—

أولاً : أبدأ بتحرير المسألة المراد بحثها ، و أبين مفهومها على ضوء الكتاب و السنة و معاجم اللغة و أقوال العلماء ، فإن لم يكن فيها نزاع و خلاف اكتفيت بذلك ، وإن كان فيها خلاف أذكر كل رأى فيها بدليله .

ثانياً : أنسب الرأى إلى صاحبه ، و أبين من وافقه فى رأيه أو تأثر به ، مع الرجوع فى ذلك — إلى المصادر الأصلية أو المراجع الأخرى المعتمدة حسب الإمكان .

ثالثاً : أناقش كل رأى و أبين مواطن الضعف فيه ، و ما يؤخذ عليه من الاعتراضات .

رابعاً : أرجح الرأى القوى الذى يؤيده الدليل الصحيح ، و يسلم من الاعتراض عليه .

خامساً : حاولت قدر طاقتي أن أشرح المصطلحات التى يبعد فهمها على القارئ العادى غير المتخصص كما أنني اعرضت قدر الإمكان عن مصطلحات المتكلمين و الفلاسفة و المتصوفة و أهل البدع عموما ، إلا أن تكون نصوصا منقولة للاستشهاد بها و الرد عليها و بيان زيفها ، إما فى صلب الرسالة إن كان الأمر يتعلق بدراستها ، و إما فى الحاشية إن لم يكن لذكره فى الصلب زيادة فائدة ، أو أنه يؤدى إلى التطويل و الاستطراد .

سادساً : حرصت جاهدا أن أجعل الفكر الأصيل الصحيح و هو رأى السلف وعقيدة أهل السنة و الجماعة فى أى جزئية أو مسألة ظاهرا منصورا ، سواء عرضته فى بداية المسألة ليكون له الصدارة ، أو جعلته خاتما للآراء الأخرى حاكما عليها بالصواب أو بالخطأ .

سابعًا : حرصت على عزو كل نص من كلام العلماء و الباحثين إلى مكانه عزوا صحيحا وبدقة ما أمكننى ذلك . و مهما بلغ من القصر أو الطول ، و كذلك أشرت إلى كل فكرة مقتبسة عمن تقدمنى أو سبقنى بها ، مع يقينى بأنه لا يعيينى أن أشير إلى كل إفادة أفدتها من غيرى ، إلا ما ند من قلمى فخرج عن غير عمد ، و سهوت عنه كما هو طبع الإنسان و جبلته البشرية .

و أن أى نص أو اقتباس تصرفت فى عبارته و لو بحرف واحد زيادة أو نقصا أو بكلمة واحدة زيادة أو نقصا ، لم أضعه بين تنصيص و لكن مع الإشارة إلى موضعه أو موضع فحواه ، و ما كنت نقلته نصا تاما من غير زيادة و لا نقص ألبتة وضعته بين تنصيص و ذكرت مرجعه بالدقة المطلوبة للبحث العلمى .

ثامنًا : عزوت الآيات و الأحاديث و الآثار إلى مواضعها الصحيحة .

و لقد كان من أهم الصعوبات التى واجهتنى فى هذا البحث أننى تعرضت لمفهوم النبوة عند المتفلسفة سواء كانوا من أهل الفلسفة المحضة ، أم كانوا من متفلسفة الصوفية فى حين أنه لم يكن لى عهد بدراسة الفلسفة ـ ولله الحمد ـ ولا المنطق الدراسة الطويلة الجادة التى تؤهلنى لمجابهتها ، خاصة فى مثل هذا الموضوع و كذلك لم أكن مطلعا على فلسفة المتصوفة الإطلاع الكافى ، مما اضطرنى ذلك إلى أن أمسك بكتب الفلسفة ، و مؤلفات أهل التصوف ـ على بغض منى وكره و ضيق ـ لأفهم مصطلحاتهم الصعبة ، وعباراتهم المستغلقة ، و نهجهم المضاد للفطرة الانسانية ، و أسلوبهم المناقض تماما لما عهدناه و ألفناه فى دراستنا للعقيدة الإسلامية أو لأى علم من علوم الشرع كالفقه و الأصول و الحديث و غير ذلك من علوم الإسلام ، و هو الأسلوب الذى يستلهم المعانى من خلال نصوص الكتاب و السنة كما فهمها الصحابة و التابعون ومن تبعهم من علماء أهل السنة .

فاستعنت بالله أولا ، و توكلت عليه ، ثم لزمت شيخى و أستاذى استوضح منه ما أشكل على فهمه ، إما مباشرة ، و إما بتوجيهى إلى المراجع التى أجد فيها بغيتى ،وهكذا

حتى أعانني الله تعالى ووفقني ، ومن علي بإتمام هذا البحث ، الذى إن كان قد تطرق إليه شيء من خلل أو خطأ أو سهو فحسبي أنني قد استفرغت وسعي ، وبذلت طاقتي حتى يصير على الصورة التي ينبغي أن يكون عليها البحث العلمي .

ولقد كان مما سهل عليّ فهم كلام الفلاسفة ، ومعرفة مذهبهم ،ويسر لي أساليب الرد عليهم ، البحث الذى كتبه الأخ الباحث / أنور بن عيسى السليم ، بعنوان : " النبوة عند الفلاسفة الإسلاميين " والذى قدمه إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - بالرياض فقد أفدت منه الكثير ،فجزاه الله تعالى عني خير الجزاء .

خطة البحث :

وقد اشتمل البحث على تمهيد ، ومقدمة ، وبابين وخاتمة .

اما التمهيد فكان ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية مبينا عصره من الناحية العلمية و الإجتماعية و السياسية متعرضا لحياته و نشأته .

و أما المقدمة فقد اشتملت على أهمية الموضوع و أسباب اختيارى له ، و المنهج الذى سرت عليه .

وقد تناول الباب الأول : منهج ابن تيمية فى إثبات النبوة من خمسة فصول :

الفصل الأول : و تحدثت فيه عن مفهوم النبوة ، وذكرت الفرق بين النبوة و الرسالة و النبى و الرسول و العلاقة بينهما ثم عرضت لمختلف الأراء التى قيلت في تعريف النبى و الرسول لغة و اصطلاحا و ناقشتها ، و انتهيت إلى ترجيح رأى شيخ الإسلام ابن تيمية لتمشيه مع الأدلة ، و سلامته من الاعتراض عليه ثم تكلمت عن تعريف الوحى ، و امكانه و طرقه المختلفة .

أما الفصل الثانى : فقد تكلمت فيه عن الإيمان بالأنبياء و الرسل فى الكتاب و السنة
وبينت أدلة وجوبه كركن من أركان الإيمان الستة كما بينت أن النبوة اصطفاء
من اللـه و اختيار لمن يشاء من خلقه .

و أما الفصل الثالث : فقد تكلمت فيه عن ضرورة النبوة للبشرية ، و ذكرت الأدلة على ذلك.

و تعرضت فى الفصل الرابع : لطرق إثبات النبوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية ، و بينت
فيه أن طرق إثبات النبوة عنده متعددة ، و أدلتها متنوعة ، فهناك المعجزات كدليل
صحيح على إثبات النبوة ، و كذلك ينضم إليها أحواله قبل البعثة و بعدها و أخلاقه
و شمائله و حربه و سلمه ، وأحوال أتباعه الخ .

و أما الفصل الخامس : فقد خصصته لمناقشة ابن تيمية للمتكلمين فى اقتصارهم على
المعجزات فقط كدليل على إثبات النبوة ، و بينت ما يترتب على تلك
الطريقة الكلامية القاصرة من محاذير و لوازم باطلة ، سواء التزم بعضهم
بعضها أم لا .

ثم كان الباب الثانى : عن رد شيخ الإسلام ابن تيمية على المخالفين فى النبوة
و قد اشتمل على أربعة فصول :ـ

الفصل الاول : ذكرت طوائف المخالفين فى النبوة بصورة مختصرة و بينت بعض شبهاتهم على
طريقة الإجمال .

ثم تحدثت فى الفصل الثانى : عن طائفة الفلاسفة الذين كان لهم فيها مذهب مخالف
لقواعد الإسلام و معتقد أهل السنة و الجماعة ، ووضحت أن رأيهم هو القول
باكتساب النبوة عن طريق التأمل و المجاهدة ، مبينا بطلان ذلك ، و تناقضه
و مؤكدا أن النبوة منة من اللـه يهبها لمن يشاء من خلقه ، و أنها ليست
اكتسابا ، ورددت عليهم فى تفضيلهم الفيلسوف على النبى .

و فى الفصل الثالث : كان الرد على فلاسفة المتصوفة الذين ضلوا ضلالا بعيدا فى تفسير
النبوة و خصائصها ، و ما يتبع ذلك من مسائل متعلقة بهذا التفسير ووضحت

مدى ضلالهم فى مسألة الولاية و تعلقهم الشديد بها إلى درجة الخرافة و الهذيان ثم بينت انحرافهم الشديد فى تفضيلهم الولى على النبى ، و أن هذا هو باب من أبواب المروق و الزندقة .

ثم كان الفصل الرابع : عن شبه المنكرين للنبوة و الرد عليهم ، ذكرت فيه شبههم ، ثم بينت تهافتها و تناقضها و رددت عليهم بما رأيته كافيا فى دحض افترائهم ، و ازالة شبههم .

أما الخاتمة : فقد اشتملت على أهم نتائج البحث .

و أخيرا ...

فإننى لأبرأ إلى الله تعالى من كل رأى ، و من كل فكر ، و من كل مذهب أو مفهوم خالف الحق الوارد فى كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ـ صلى الله عليه و سلم ـ الصحيحة ، على مراد الله ، وعلى مراد رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ وعلى فهم سلف هذه الأمة من الصحابة و التابعين و من تبعهم من أئمة اهل السنة و الجماعة ، بالمعنى الصحيح لهذه العبارة : (أهل السنة و الجماعة) .

اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك و أنا اعلم ، و استغفرك لما لا أعلم

اللهم إنى أعوذ بك أن أضل أو أضل ، أو أزل أو أزل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل علىّ ، .

و صلى الله و سلم و بارك على عبده و رسوله

نبينا محمد ، و على آله وصحبه

والحمد لله رب العالمين

الباحث

سعيد إبراهيم مرعى خليفة

التمهيد

ترجمة موجزة لحياة الإمام ابن تيمية

أولا : حياته ونشأته .

ثانيا : عصر ابن تيمية .

أولا : حيـــاتـــه ونشـــأتـــه

١ـ اسـمه ونسـبه :

هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم
ابن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر
ابن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله
ابن تيميـة (١) .
الحـراني الدمشقي (٢) .

٢ـ مولـده ونشأته :

ولد الإمام ابن تيمية بحران عام (٦٦١هـ)(٣)
يوم الإثنين عاشر ربيع الأول . (٤) .

---

(١) ابن عبد الهادي : العقود الدرية ص٢ ، دار الكتب العلميـة بيروت / تحقيق محمد حامد الفقي ، وابن حجر : الدرر الكامنة جـ١/ ١٤٤ ـ ط١ حيدر آباد الدكن ـ الهند ١٣٤٨ هـ.

(٢) ابن رجب الحنبلي : كتاب الذيل على طبقات الحنابلة جـ٤/ ٣٨٧ دار المعرفة بيروت ، بدون تاريخ . وابن حجر : الدرر الكامنـة جـ١/ ١٤٥ . حيدر آباد .

(٣) ابن عبد الهادي : العقود الدرية ص٢ ـ والذهبي : تذكرة الحفاظ جـ١/ ١٤٩٦ . دار إحياء التراث العربي . بدون تاريخ . والحافظ عمر بن علي البزار : الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ص ١٦ / ت زهير الشاويش المكتب الإسلامي ط٣ ـ ١٤٠٠هـ .

(٤) ابن رجب : كتاب الذيل جـ٤ / ٣٨٧ ، وابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب جـ٦ / ٨٠ دار الآفاق الجديدة بيروت ـ بدون تاريخ . ابن شاكر : فوات الوفيات جـ١ / ٧٤ ـ ت د / إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت . بدون تاريخ .

قدم أبوه به و بإخوته من حران إلى دمشق عام ٦٦٧ هـ عند استيلاء التتر على البلاد . (١) .

اعتنى به والده ووجهه إلى حفظ القران فحفظ و طلب العلوم على اختلاف أنواعها ، من الفقهاء و المحدثين الذين ادهشهم بقوة ذهنه و فرط ذكائه و لم يكد يبلغ بضعة عشر عاما حتى أتقن أصول الدين (٢)

و قد حباه الله تعالى بسرعة الحفظ ، و قوة الإدراك و الفهم حتى قال غير واحد : "إنه لم يكن يحفظ شيئا فينساه . (٣) .

و بهذا يكون الإمام ابن تيمية ، قد ولد و نشأ في بيت علم و أدب فهو سليل العلماء ، إذ كان أبوه عالما فاضلا من علماء عصره . (٤) .

و كذلك كان جده أبو البركات عبد السلام فقيها محدثا أصوليا نحويا (٥)

و كذلك أخواه شرف الدين عبد الله و زين الدين عبد الرحمن . (٦)

---

(١) ابن رجب : كتاب الذيل جـ٤/٣٨٧ الشوكاني : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع جـ١ / ٦٣ . ط١/١٣٤٨هـ. مطبعة السعادة القاهرة .

(٢) محمود مهدي الإستانبولي : ابن تيمية بطل الإصلاح ص١٠/ ط٢ مكتبة دار المعرفة بدمشق ٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م .

(٣) ابن رجب : كتاب الذيل جـ٣/ ٣٨٨ ، و البزار : الأعلام العلية ص١٨ و السيد نعمان الآلوسي البغدادي : جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ص ١٨ مطبعة المدني ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م .

(٤) ابن رجب : كتاب الذيل جـ٤ / ٣١٠ ، د / أحمد البناني : موقف الإمام ابن تيمية من التصوف و الصوفية ص ٢٥ . ط١/ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م .

(٥) ابن رجب : كتاب الذيل جـ٤/٢٤٩ . و الشيخ محمد أبو زهرة : ابن تيمية حياته و عصره ، آراؤه و فقهه ص٢٩ . دار الفكر العربي بدون تاريخ .

(٦) الألوسي : جلاء العينين ص٢٩ لابن عبد الهادي : العقود الدرية ص٣٦١ ٣٦٣. وابن كثير : البداية و النهاية جـ١٣ ١٣٦ ـ ط١ ـ ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م. دار الكتب العلمية ـ ت / مجموعة من الأساتذة .

٣ـ طلبه للعلم :ـ

لقد شب و نشأ شيخ الإسلام ابن تيمية ، ناهلا من ينابيع العلم متنقلا بين رياض المعرفة ، منذ حداثة سنه ، تنقل الناقد البصير ، مشتغلا بما يحق الحق ، و يبطل الباطل ، مترفعا مستعليا بعقيدته ، و منهاج تقريرها ، ترعرع بين العلماء ، همه حضور مجالسهم ، و مطالعة كتبهم ، ينفق وقته فى الدراسة و الحفظ و كان العلم كأنه قد اختلط بلحمه و دمه و سائره ، فإنه لم يكن له مستعارا ، بل كان له شعارا و دثارا . (١)

حفظ القرآن الكريم ، وعنى بالحديث ، و سمع المسند مرات ،و الكتب السته و معجم الطبرانى الكبير . (٢) و تلقى العلم عن جمع غفير من العلماء حتى بلغ عدد شيوخه الذين سمع عنهم أكثر من مائتى شيخ . (٣) أخذ الفقه و الأصول عن والده وعن غيره ، و قرأ فى العربية ، و أخذ كتاب سيبويه (٤) فتأمله و فهمه ، و قيل إنه استدرك على" سيبويه " فى

---

(١) البزار : الأعلام العلية ص١٨ .

(٢) ابن رجب : كتاب الذيل جـ ٤/ ٣٨٨ .

(٣) محمود مهدى الإستانبولى : ابن تيمية بطل الإصلاح الدينى ص ١٠ .

(٤) هو : عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثى بالولاء ،أبو بشر الملقب بسيبويه إمام النحاة ، و أول من بسط علم النحو ، و لد فى إحدى قرى شيراز و قدم البصرة ، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه ، و صنف كتابه المسمى " كتاب سيبويه " " مطبوع " فى النحو لم يصنع قبله و لا بعده و لا مثله و رحل إلى بغداد فناظر الكسائى ، و أجازه الرشيد بعشرة آلاف درهم وعاد إلى الأهواز فتوفى بها ، و قيل وفاته و قبره بشيراز و كانت فى لسانه حبسه " سيبويه بالفارسية رائحة التفاح ، و كان أنيقا جميلا "

ثمانين موضعا من كتابه ، و ذكر عنه أنه قال : ما كان سيبويه نبى النحو و لا كان معصوما بل أخطأ فى الكتاب فى ثمانين موضعا (١) .

و أقبل على تفسير القرآن فبرز فيه ، و أحكم أصول الفقه ، و الفرائض و الحساب و الجبر ، و المقابلة و غير ذلك من العلوم ، و نظر فى علم الكلام و الفلسفة و برز فى ذلك على أهله ، و رد على رؤسائهم ، و أكابرهم و تأهل للفتوى و التدريس و له دون العشرين سنة (٢) .

= توفى شابا ، و فى مكان وفاته و السنه التى مات بها خلاف و قد قيل توفى ١٨٠هـ . أنظر : الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ١٢/ ١٩٥ ، وانظر : الزركلي :الاعلام جـ٥/ ٨١ .

(١) ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة جـ١/ ١٤٤ طبعة حيدر آباد الدكن ط١ . و الشوكانى : البدر الطالع جـ١/ ٧٠ . مطبعة السعادة القاهرة .

(٢) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة جـ٤ / ٣٨٨ ، و ابن العماد شذرات الذهب جـ٦/ ٨٠ ، ٨١ ـ الألوسى : جلاء العينين ص١٨ .

٤ ــ ذكاؤه و مكانته و ثناء العلماء فيه :ــ

لقد تمتع ابن تيمية منذ نعومة أظافره ، بتوقد بصيرته ، وحدة ذكـائه وهبه الله تعالى عقلية فذة ، فاق بها أقرانه ، و سبق بها أتـرابه .

روى أن أحد علماء حلب ، قدم إلى دمشق فسـأل عنه لما سمعـه من قـوة ذكائه بحلب ، فلما مر دعاه و أمره بمسح اللوح ، و أملى عليه شيئا من متون الحديث ، و قال له اقرأ ، فلم يزد على أن تامله مرة بعد كتابته إيـاه ثم دفعه إلى الشيخ و قال إسمعه على فعرض عليه عرضا كأحسن ما أنت سامع فأمره أن يمسح اللوح ، و أملى عليه عدة أسانيد ، ثم قال له : اقرأ هـــذا ففعل كما فعل أول مرة ، فقام الشيخ الحلبى و هو يقول " إن عاش هذا الصبى ليكونن له شأن ، فإن هذا لم ير مثله " . (١)

فهذا هو ابن تيمية " الصبى " الذى بهر العلماء بشدة ذكائـــه و سيلان ذهنه ، و قوة حافظته التى أخذت تنمو و تشتد كلما زادت الأيـــام عمرا ، و كلما زادته المطالعة علما ، حتى أصبح بطلا لا يبارى وعلما لا يجارى و أسداً صائلاً ضد أعداء الملة ، و خصوم أهل السنة " وسيفا مسلولاً عـــلى المخالفين ، و شجاً (٢) فى حلوق أهل الأهواء و المبتدعين ، و إمامـــا قائما ببيان الحق و نصر الدين ، طنت بذكره الأمصار (٣) وضنت بمثله الأعصار (٤)

---

(١) ابن عبد الهادى : العقود الدرية ، ص٤ ، دار الكتب العلمية ـــ ت: الفقى .

(٢) الشجا : كل شيء يعترض فى الحلق .

(٣) طنت بذكره : تغنت كناية عن ذيوع صيته و انتشار شهرته .

(٤) د / صلاح الدين المنجد : شيخ الاسلام ابن تيمية سيرته و اخباره عند المؤرخين دار الكتاب الجديد ـ بيروت ط١ / ١٩٧٦ م .

ثم إنه بذلك إحتل مكانة رفيعة بين العلماء بسبب ما حباه الله من حدة الذكاء و القدرة على الاستنباط ، و إخلاصه فى الرجوع إلى الكتاب و السنة و تعويله عليهما ووزنه كل حكم أو مسالة أو معرفة من المعارف بميزانهما ، الأمر الذى جعل كثيراً من العلماء الذين عاصروه ، أو جاءوا من بعده ، يقرون بفضله ، و يشهدون بإمامته و علمه و يلهجون بالثناء عليه ، لما عرفوه عنه من تلك المنزلة ، و المكانة العظيمة و من ثم اكتسبت آراوه ، و استنباطاته أهمية فائقة من العلماء و الباحثين .

وإن الناظر لآثار الإمام ابن تيمية العلمية ، و مصنفاته التى تربو على المائتين (١) ،

و التى خاض من خلالها فى مختلف العلوم و المعارف ليدرك ذلك ضرورة ، فهو يوزن بأمة و حده ، لأنك حيثما توجهت فى دراسة شخصية ، قابلك فى كل جانب منها علما بارزا شامخا .

فــ " هو موسوعة علمية إسلامية حية ، سجلت كلماتها النادرة ، و أثبتت وجودها الناهض فى مختلف نواحى العلم و المعرفة الإسلامية " (٢)

قال الذهبى (٣) فى معجم شيوخه (٤) بعد أن ساق نسبه ......

---

(١) البزار : الأعلام العلية ص٢٦ ، وعلق عليه المحقق زهير الشاويش بقوله " بل تزيد على ثلاثمائة مجلد " .كما أن الذهبى ذكر ذلك فى ذيول العبر فى خبر من غبر جـ٤/ ٨٤ ـ توزيع دار الباز بمكة ، نشر دار الكتب العلمية بيروت . ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥ .

(٢) محمد السيد الجليند : الإمام ابن تيمية و موقفه من قضية التأويل و العبارة من تقديم الكتاب ، للدكتور / محمد عبد الرحمن بيصار .

(٣، ٤) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبى (٦٧٣ ـ ٧٤٨) هـ صاحب سير أعلام النبلاء و دول الإسلام ، تاريخ الإسلام ، و له ثلاثة معاجم . الكبير و الأوسط و الأصغر. مقدمة السير جـ١/ ٨٠ ـ د / بشار عواد معروف .

" شيخنا و شيخ الإسلام ، وفريد العصر علما و معرفة و شجاعة ، و ذكاء و تنويرا إلهيا ، وكرما ، و نصحاً للأمة ... " (١)

لقد برع ابن تيمية فى تفسير القرآن بحافظة قوية ،وفهم عميق ، و له إستنباطات عجيبة فى فهم الأيات ، و أتقن الحديث حفظاً و فقهاً ، و دراية معزوا إلى الأصول ، ورواته ، مع شدة إستحضاره و قت الإستدلال . حتى لقد قيل عنه أنه لم ير مثله و أنه ما رأى مثل نفسه . (٢)

و قيل عنه أيضا : إن تكلم فى التفسير فهو حامل رايته ، و إن أفتى فى الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه و ذو روايته ، أو حاضر بالنحل و الملل لم ير أوسع من نحلته ، و لا أرفع من درايته . (٣)

و قيل " كل حديث لا يعرفه ابن تيميه فليس بحديث " . (٤)

و قيل عنه بأنه " سائر العلوم بين عينيه ، يأخذ ما شاء منها و يترك ما شاء (٥)

وكانت السنة على رأس لسانه ، وعلوم الأثر مساقة فى حواصل جنانه ، و أقوال العلماء مجلوة نصب عيانه (٦).

" و أما نقل مذهب السلف ، و ما حدث بعدهم من الخلف ، فذاك فنه و هو فى وقت الحرب مجنه ، قل أن قطعه الذى تصدى له و انتصب ، أو خلص

(١، ٢، ٣) ابن رجب : كتاب الذيل على طبقات الحنابلة — جـ٤/ ٣٨٩ — ٣٩١ ، — ابن العماد : شذرات الذهب جـ٦/ ٨١ — ٨٢ .

(٤) ابن رجب : كتاب الذيل على طبقات الحنابلة جـ ٣٨٩/٤ — ٣٩١ لبن العماد : شذرات الذهب جـ٦/ ٨٢/٨١ .

(٥) الألوسى : جلاء العينين ص ٢٣ .

(٦) الصلاح الصفدى : أعيان العصر (مخطوط) نقلها عنه د /صلاح الدين المنجد فى كتابه " شيخ الإسلام ابن تيمية سيرته و أخباره عند المؤرخين ص ٤٩ . دار الكتاب الجديد — بيروت . ط ١ ديسمبر ١٩٧٦ م .

منه مناظر إلا و هو يشكو من الأين و النصب " (١) •

قال الذهبى : " و لقد نصر السنة المحضة ، و الطريقة السلفية و احتج لها ببراهين و مقدمات ، و أمور لم يسبق إليها ، و أطلق عبارات أحجم عنها الأولون و الآخرون و هابوا ، و جسر هو عليها " (٢) •

و هكذا ، مما تقدم يتبين جليا ، مدى المكانة التى إرتقى إليها ابن تيمية و منزلته بين علماء عصره حتى استحق لقب " شيخ الإسلام " بجدارة •

٥ ـ وفاته :ـ

إنها النهاية لكل حى مهما علا قدره ، و مهما رفع ذكره•إنه بعد حياة حافلة بالجهاد ، و النصح للعباد ، و السجن و الابتلاءات ، وكان مقدارها سبعة و ستين عاما ، و فى ليلة الأثنين و العشرين من ذى القعدة سنة ثمانية وعشرين و سبعمائة (٧٢٨هـ) توفى شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد ابن تيمية ، معتقلا بقلعة دمشق ، وكان يوماً مشهوداً ضاقت بجنازته الطريق ، وانتابها المسلمون من كل فج عميق ، حتى حزرت النساء بخمسة عشر ألفاً ، و الرجال كانوا مائتى ألف • (٣)

و قيل شيعه خلق أقل ما حزروا بستين ألفا ، و لم يخلف بعده من يقاربه فى العلم و الفضل (٤)•

---

(١) المصدر السابق ص/ ٥٠•

(٢) ابن رجب : كتاب الذيل جـ٤ / ص ٣٩٤•

(٣) د / صلاح الدين المنجد :شيخ الإسلام ابن تيمية سيرته و أخباره عند المؤرخين ، ص / ١٦ع نقلا عن تاريخ ابن الوردى جـ/ ٢ ـ ٤٠٦ ، ٤١٣•

(٤) الذهبى : دول الإسلام جـ٢ / ٢٣٧ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م •

ثانيا : عصر ابن تيمية

رحل ابن تيمية مع والده وإخوته من حران إلى دمشق فارين من التتار عند استيلائهم على البلاد سنة ٦٦٧هـ . (١)

وتفتحت عيناه على عصر كاد ظلامه يطمس وجه الحقيقة، وانحرافاته الإعتقادية تغمر عقول الناس وتغشى أبصارهم وبصائرهم ، إلا من ومضات نور كانت باقية في بعض الأسر ، كأسرة شيخ الإسلام ابن تيمية .

إن الباحث لا يكاد يضع قدميه فى تلك الحقبة من الزمن التى شب فيها ابن تيمية ، حتى يشعر بهبوط عام فى معظم النواحى ، ولعل هذه الظلمة الشديدة ، والانحطاط العام هو الذى دفع به لأن يكون جذوة مستعرة وشعلة متقدة ، محاولا انتشال أمته مما يراه وحلا سقطت فيه ، ولجة حارت فيها .

" فكثرة الفساد تحمل على التفكير الجدى فى الإصلاح ، وكثرة الشر تحمل على استحصاد العزائم للخير ، وقد تكون دافعة المصلح لأن يفكر فى أسباب الشر فيقتلعها ، وفى نواة الخير فيغذيها ، وكذلك كانت المجاوبة بين شيخ الإسلام ابن تيمية وبين عصره (٢)

ولكى يكتمل تصور الإنسان عن عصر ابن تيمية ينبغى أن نتناول دراسة ذلك العصر من ثلاث نواح :—

(١) الناحية السياسية :

ويبين من خلالها حالة الدولة التى نشأ فيها

---

(١) ابن رجب : كتاب الذيل على طبقات الحنابلة ج٤ / ٣٨٧ .
الالوسى : جلاء العينين ص١٨ .

(٢) الشيخ : محمد أبو زهرة : ابن تيمية حياته وعصره ص ١٢٤ . دار الفكر العربى .



الإمام ابن تيمية الداخلية و من تولى حكمها من الولاة و الأمراء ، و أيًا منهم عاصره ابن تيمية ، وطبيعة العلاقة بينهما ، و ما كان يسودها من أنظمة .

و كذلك الناحية الخارجية من الحروب و المنازعات و المعاهدات بما يوضح علاقة الدولة بمن جاورها من الدول الأخرى ، و ذلك كله على سبيل الإجمال ووجه الإلمام ، و من الزاوية التى تهم الباحث فى العقيدة .

(٢) الناحية الاجتماعية :

يوضح فيها طبيعة المجتمع الذى نشأ فيه ابن تيمية وتعلم فيه ، و حالة الناس الاقتصادية ، و ما فشى فيهم من أخلاق حميدة أو ذميمة .

(٣) الناحية العلمية :

نتناول من خلالها حالة العلماء ، و المتعلمين و ما هم عليه من جمود أو ابتكار ، و ما ساد بيئة ابن تيمية حينئذ من مذاهب اعتقادية و أفكار و ما وهو وضع أهل السنة فى ذلك العصر ، و موقفهم من الأديان و الملل و النحل و المذاهب و الفرق ، سيما و أن شيخ الإسلام ابن تيمية كان هو إمام اهل السنة و الجماعة فى عصره بلا منازع . (١)

---

(١) ابن ناصر الدمشقى : الرد الوافر على من زعم أن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر ، الكتاب بمجموعة فى إثبات امامة ابن تيمية و ثناء العلماء عليه بذلك.المكتب الإسلامى — ط ١/ ١٤٠٠هـ .

١ ـ الناحية السياسية

ولد ابن تيمية بعد سقوط بغداد في يد المغولي "هولاكوخان" (١) وبعد تدميرها وتقتيل أهلها، بخمس سنوات، وعند ما بلغ السادسة قدم به والده إلى دمشق فارين من زحف التتر واستيلائهم على مسقط رأسه وكانت مصر والشام آنذاك تحت حكم المماليك وقد عاصر شيخ الإسلام ابن تيمية من سلاطين المماليك "الظاهر بيبرس" (٢) وهو أول ملك قوى بعد

---

(١) هولاكوخان : هو أحد ملوك التتار الذين أغاروا على بلاد الاسلام، وسقطت بغداد عاصمة الخلافة العباسية على يده فدمروها وخربوها وقتلوا اهلها بوحشية وقتل الخليفة المستعصم اخر الخلفاء العباسيين بين يديه، بمعاونة واشارة كل من الوزيرين الرافضيين الطوسي وزير هولاكو، وابن العلقمي وزير الخليفة عام ٦٥٦هـ. انظر ابن كثير : البداية والنهاية حوادث سنه ٦٥٦ هـ.

(٢) الظاهر بيبرس : هو احد ملوك المماليك البحرية على مصر تركي الاصل من مواليد بلاد "القفجاق ـ القوقاز" في جنوب روسيا، ونشأ بها حتى استولى عليها التتار سنة ٦٣٧ هـ فكان بيبرس من جملة الاسرى، ثم اشتراه احد تجار الرقيق وباعه في حماة للامير "علاء الدين البندقدارى" ثم وفد الى مصر واصبح بيبرس من خواص "الملك الصالح نجم الدين ايوب" وبعد وفاة نجم الدين ايوب اغار الصليبيون على مصر بقيادة "لويس التاسع" ملك فرنسا" فقام المماليك البحرية لصد العدوان بقيادة "الظاهر بيبرس" ومن يومها قوى نفوذه وسلطانه ثم تعاون "الظاهر بيبرس مع "سيف الدين قطز" في قتال التتار في موقعة "عين جالوت" بين نابلس" و "بيسان" عام ٦٥٥ هـ وفي عودتهما الى القاهرة غدر "بيبرس بقطز" فقتله ونصب نفسه ملكا على مصر في نفس العام ـ ٦٥٥ هـ واستمر في الحكم سبعة عشر عاما ٦٧٦ هـ. ابن شاكر : فوات الوفيات جـ١/ ٨٥، النجوم الزاهرة جـ٧/ ٩٤ ـ الاعلام جـ٢/ ٧٩.

صلاح الدين " (١) اعتنى بأمر الجهاد ، وتوفى " الظاهر بيبرس " وعمر ابن تيمية يومئذ خمس عشرة سنة ، ثم عاصر من جاء بعده من السلاطين وكان من أشهرهم " الناصر محمد قلاوون " الذى تولى حكم مصر ثلاث فترات كانت الأولى مابين عامي (٦٩٣ ـ ٦٩٤ هـ) ، والثانية مابين عامي (٦٩٨ ـ ٧٠٨ هـ) ، والثالثة ما بين عامي (٧٠٩ ـ ٧٤٠ هـ) . (٢) .

نشأ ابن تيمية في تلك الفترة وعايشها ، والتي يعتبرها كثير من الباحثين فترة مضطربة سياسيا ، واقتصاديا ، وعسكريا ، وقد كانت مضطربة أيضا في العادات والأخلاق (٣) .

===================

(١) صلاح الدين الايوبي : هو يوسف بن أيوب بن شاذى بن مروان ، كردى الأصل اشتهر بالفروسية ، والشجاعة ، والاقدام كبقية قومه . غلب لقبه " صلاح الدين " على اسمه " يوسف " والده " نجم الدين ايوب " الملك الصالح . ولد صلاح الدين في قلعة تكريت على الحدود العراقية الفارسية التركية عام (٥٣٢ هـ) وقدم الى مصر مع عمه " شيركوه " وهو قائد أعلى للقوات ، فلما توفي " أسد الدين شيركوه " نصب صلاح الدين واليا على مصر ، فقضى على بدع الشيعة التي أسسها الفاطميون في مصر ، وقاد الجيوش ضد الصليبيين فهزمهم في موقعة حطين عام (٥٨٣ هـ) بعد توحيد مصر والشام . توفي عام (٥٨٩ هـ) وقد بلغ من العمر سبعا وخمسين عاما . انظر : وفيات الاعيان جـ٢ / ٣٧٦ ، طبقات السبكي : جـ٤ / ٣٢٥ ، النجوم الزاهرة جـ٦ / ٣ ، شذرات الذهب : جـ٤ / ٢٩٨ .

(٢) لين بول : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الاسر الحاكمة نقله إلى العربية عن التركية أحمد السعيد سليمان جـ١ / ١٦٢ ، دار المعارف بمصر بدون تاريخ .

(٣) انظر في ذلك : عبد السلام هاشم حافظ : الإمام ابن تيمية ص١٨ ، والشيخ محمد أبو زهرة : ابن تيمية ص ١٢٥ ، والدكتور محمد يوسف موسى : ابن تيمية ص ٧ .

فقد كان المسلمون يعانون الأمرين من تلاحق الفتن الخارجية والداخلية .

فمن الخارج كانت الحروب الصليبية التي بدأت غزوها لبلاد الإسلام عام (٤٩٠ هـ) (١) واستمرت أمداً طويلاً ، وذلك زهاء قرنين من الزمان . وكانت كذلك غارات التتار (٢) التي ارعبت العالم آنذاك بما في ذلك المسلمون ، بل خصت المسلمين بالرعب والقتل والنهب والشتات .

لقد كانت حملات التتار حملات شرسة تقتل وتدمر وتخرب بقسوة وضراوة لم يعهد الناس مثلها في تاريخ البشرية كما يذكر ذلك ابن الأثير في تاريخه (٣) حيث يقول : " إن هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى ، والمصيبة الكبرى ، التي عقمت الأيام والليالي عن مثلها ، عمت الخلائق وخصت المسلمين ... ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا إلا يأجوج ومأجوج " (٤)

==========================

(١) ابن الاثير : الكامل جـ ١ عند حوادث عام (٤٩١ هـ) .

(٢) التتار هم قوم من مغول فارس ، وبلادهم تمتد من اطراف الصين الى أواسط آسيا ، وملكهم " جنكيز خان " وديانتهم السجود للشمس ، والاباحية المطلقة في المطعم والمشرب والمنكح ، قادهم " هولاكو خان " واستولى بهم على بلاد المسلمين مع التقتيل والتدمير والتخريب والتحريق والفساد . انظر ابن الاثير : الكامل في التاريخ في حوادث عام (٦١٧ هـ) ، وابن كثير : البداية والنهاية جـ١٣ / ٨٦ ، ٨٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ١٢ / ٣٨٥ وما بعدها في ذكر حوادث عام (٦١٧ هـ) ، وابن كثير : البداية والنهاية جـ١٣ / ٨٦ ، ٨٧ . والشيخ ياسين خير الله الموصلي : غاية المرام في تأريخ بغداد دار السلام منشورات البصري ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م بغداد .

(٤) ابن الأثير : الكامل جـ١٢ / ٣٨٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية عند تأريخه لعام (٦٥٦ هـ) .

وقد أسفرت غارات التتار عن استيلائهم على معظم بلاد ما وراء النهـر ثم بغداد ، ثم زحفوا على بلاد الشام (١) . وقتل المستعصم آخر الخلفـاء العباسييـن . (٢)

أما حالة البلاد الداخلية فقد كانت غاية في القلق و الاضطراب ، حيث كانت البلاد الإسلامية عبارة عن ممالك صغيرة يحكمها أمراء غير خاضعيـن لسلطان الخلافة الإسلامية ، وكثيرا ما كان يحفزهم الطمع في سعة الملك وعظمـة السلطان إلى قتال بعضهم بعضا ، وإهلاك الأموال ، وإهدار الدمـاء بل والاستعانة في بعض الأحيان بالروم النصارى ، والتتر المغول ، وغيرهـم من أعداء الإسلام والمسلمين على أبناء ملتهم من المسلمين (٣) .

وإن النتيجة الأكيدة لهذا التفرق ، و الانقسام هو ضعف المسلميـن وذلهم ، وعجزهم عن صد أعدائهم من الصليبيين و التتار ، فضلا عن قيامهم بالغزو والجهاد لإعلاء كلمة الله ، و فتح البلاد التي لم يصل إليها المسلمون من قبل .

==========================

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) هو : المستعصم بالله أبو أحمد عبد الله بن منصور ، آخر الخلفاء من بني العباس ، ولد عام (٦٠٩ هـ) وقتل عام (٦٥٦ هـ) على يد هولاكو قائـد التتار عند احتلاله لبغداد و تقتيل أهلها ، وتدميرها ، وتخريب عمرانهـا و مكتباتها ، وكان المستعصم سنيا حسن الاعتقاد . ابن كثير : البدايـة و النهاية ج١٣/٢٠٤ دار الكتب العلمية ط١ / ١٤٠٥ هـ بتحقيق مجموعة .

(٣) د : محمد خليل هراس : باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ، بتصرف يسير ص ١٤ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ط١ / ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

كانت هذه هي حال المسلمين السياسية خارجيا وداخليا في عصر شيخ الإسلام ابن تيمية ، وقد رأينا أنها حروب في الخارج ، وقلق واضطرابات وانقلابات في الداخل ، مما أدى إلى أن تصبح الحاجة ملحة لتوجيه المسلمين إلى الإصلاح ، بالعودة إلى السنة التي كان الخروج منها مدعاة لغضب الله .

وهذا هو ما قرره ابن تيمية نفسه حين قال : " ... فلما ظهر النفاق و البدع و الفجور ، المخالف لدين الرسول ، سلطت عليهم الأعداء فخرجت الروم النصارى إلى الشام والجزيرة مرة بعد مرة وأخذوا الثغور الشامية شيئا بعد شيء ، إلى أن أخذ بيت المقدس ... وبعد هذا بمدة حاصروا دمشق ، وكان الشام بأسوأ حال بين الكفار النصارى ، و المنافقين الملاحدة " (١) .

وهكذا يرد شيخ الإسلام ابن تيمية خذلان المسلمين وهزيمتهم أمام أعدائهم ، وعجزهم عن الدفاع عن أرضهم و أعراضهم ، إلى سبب رئيسي وجوهري ألا وهو بعدهم عن دينهم ، وظهور النفاق والبدع و الفجور المخالف لما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم – و هو كما قال – رحمه

========================

(١) ابن تيمية : مجموعة الرسائل الكبرى ، الرسالة الأولى : الفرقان بين الحق والباطل جـ ١ /١٣٣ دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان بدون تاريخ .

الله ـ فما يصيب المسلمين من الانحطاط و الهزائم ، و تسليط الأعداء هوبسبب بعدهم و إنحرافاتهم عن عقيدتهم ، و انطفاء جذوتها فى قلوبهم و تشتتهم فرقا و أحزابا متدابرين .

٢ ـ الناحية الإجتماعية

إن الضعف و التمزق ،و التشتت ،و التفرق السياسى أدى إلى تمزق إجتماعى ،حيث كل أمير ينازع الآخر الملك و السلطان ،فيغير بعضهم على بعض ، و يقتل بعضهم بعضا ،و يتلف بعضهم أموال و ديار البعض الآخر ـ كما ألمحنا سابقا ـ (١) حتى أصبح الناس يعيشون فى حالة من القلق وعدم الإستقرار ، فكان المجتمع فى ذلك الحين مجتمعا يموج بالقلق و الاضطراب .

ثم إن هذا المجتمع الذى طحنته الحروب و المنازعات قد اختلطت فيه الأجناس البشرية ، و اختلفت طبقاتهم الإجتماعية .

" فقد وجدنا فى الحروب الصليبية الشرق يمتزج بالغرب ، و تتلاقى حضارات و ديانات ، و عادات ،و أفكار و مهما تكن العلاقة من عداوة و محاربة ، فإن العدوى النفسية ،و العدوى الفكرية ،و العدوى فى العادات تسرى مع اشتجار السيوف ، و اختلاط الدماء" (٢)

و مع تلاقى الصليبيين الغربيين بالمسلمين ، تلاقى التتار الشرقيون أيضا بالمسلمين ، ولكل عقيدته ، و عاداته و تقاليده ، فكان هذا

---

(١) انظر : ما قدمناه عن حالة البلاد الداخلية فى الناحية السياسية .

(٢) ابو زهرة : ابن تيمية حياته وعصره ص١٤٨ ،دار الفكر العربى .

اللقاء بين تلك الكتل الثلاث (التتار - المسلمون - الصليبيون) وفى ظروف غير عادية لقاء اضطراب فى العادات والمنازع (١).

ذلك فضلا عن أن أهل الأمصار الإسلامية أنفسهم قد اختلط بعضهم ببعض، فترى "أهل العراق يفرون إلى الشام عندما يغير التتار عليه، وأهل الموصل وما حولها يفرون إلى دمشق، وأهل دمشق وما حولها ينتقلون إلى مصر بل إلى بلاد المغرب" (٢).

هذا الخلط الإجبارى للأجناس أدى إلى وجود طبقات اجتماعية متباينة. فكانت طبقة الأمراء هى صاحبة النفوذ والجاه، وقد كانوا هم الحكام باسم السلاطين الذين لم يكن لهم خليفة، فقد سقطت الخلافة بسقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ (٣)، وقد كان هَمّ هؤلاء الأمراء هو تثبيت حكمهم، وتوسيع ملكهم. والحرص على الإمارة. بيد أنه كان لديهم من الجرأة وقوة النفوذ ما يجعل حياة السلاطين رهنا برضاهم، فمن رضوا عنه أفسحوا له المجال فى الحكم، ومن سخطوا عليه أوقعوا به ألوانا من العذاب والنكال، كما نلحظ أن ثمة صراعا عنيفا بين السلاطين والأمراء، وكذلك بين الأمراء بعضهم

---

(١) انظر: أبو زهرة: ابن تيمية ص ١٤٨. دار الفكر العربى.
(٢) أبو زهرة: ابن تيمية ص ١٤٨.
(٣) انظر الكلام عن الناحية السياسية. تقدم.

مع بعض سببه الحرص على تقلد مهام الحكم (١) .

وقد وجد بجانب طبقة الأمراء ، طبقة العلماء و الفقهاء ،

وكان نفوذهم مستمدا من الدين باعتبارهم علماؤه و حاملوه و قد كان نفوذهم يقوى على الأمراء و السلاطين أحيانا . كما يروى فى كتب التاريخ عن سلطان العلماء " العز بن عبد السلام " (٢) (ت ٦٦٠هـ) و مواقفه القوية امام الملك المظفر (٣) .

---

(١) انظر / د : على حسنى الخربوطلى . الاسلام و الخلافة ص ٢٧٣ و ما بعدها . دار بيروت للطباعة و النشر ١٩٦٩ بيروت - و انظر ايضا د / أحمد مختار العبادى ، قيام دولة المماليك الاولى فى مصر و الشام ص ١٣٣ ، دار النهضة العربية . بيروت ١٩٦٩م .

(٢) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن بن محمد المهذب و الشيخ عز الدين أبو محمد السلمى الدمشقى الشافعى شيخ المذهب و مفيد أهله ، وله مصنفات حسان ، منها التفسير ، و اختصار النهاية ، و القواعد الكبرى و الصغرى ، ولد سنة سبع أو ثمان و سبعين و خمسمائة (٥٧٧ هـ) حصل العلوم على مشايخ عصره ، ودرس بدمشق ، ثم رحل إلى مصر وافدا على نجم الدين أيوب فأكرمه وولاه قضاء مصر و ابن دقيق العيد هو الذى لقبه " سلطان العلماء " ، توفى بمصر عام ٦٦٠هـ ، و لما بلغ السلطان خبر موته قال : " لم يستقر ملكى إلا الساعة لأنه لو أمر الناس فىّ بما أراد لبادروا إلى امتثال أمره " ابن كثير : البداية و النهاية جـ١٣ / ٢٣٥ ، حوادث (٦٦٠هـ) ابن العماد : الشذرات جـ٥ / ٣٠٠ . و ابن السبكى : طبقات الشافعية جـ٨ / ٢١٥ ، ٢١٦ ط١ . عيسى البابى الحلبى - بمصر .

(٣) السلطان الملك المظفر سيف الدين قطز : الثالث من ملوك الترك بالديار المصرية تسلطن بعد خلع ابن استاذه الملك منصور فى سنة سبع و خمسين و ستمائة (٦٥٧هـ) قاد الجيوش الإسلامية فى موقعة شهيرة ضد التتار وهى موقعة " عين جالوت " وكان نصر الله على يديه . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - جـ ٧ / ٧٢ حوادث سنة ٦٥٧ هـ . طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب .

وكذلك ما كان من الامام محيي الدين النووى (١) مع الظاهر بيبرس (٢) من مواقف مشهورة عن طريق رسائله التي يطالبه فيها بالعدل في الرعية ، ورفع المكوس الظالمة (٣) (٤) ، وبجانب كل من طبقة العلماء والامراء كانت هناك طبقة العامة من تجار وصناع وزراع ، وهم الذين عليهم الكد والكدح ولكن كدهم ، وكدحهم يذهب ادراج الرياح وذلك بسبب ما يفرض عليهم من المكوس .

---

(١) هو : يحيى بن شرف ، محيي الدين ، ابو زكريا ، النووى ثم الدمشقي الشافعي العلامة شيخ مذهب الشافعية ، وكبير الفقهاء في زمانه ، ولد عام ٦٣١هـ بنوى ، وقدم الى دمشق عام ٦٤٩هـ ، له الكثير من المصنفات المشهورة منها : شرح جليل على صحيح الامام مسلم بن الحجاج ، ورياض الصالحين ، والروضة ، وغيرها كشرح المهذب الذى سماه المجموع ولم يتمه ، باشر تدريس الاقبالية نيابة عن ابن خلكان ، وولي مشيخة دار الحديث بالاشرفية ت/ ٦٧٦هـ رحمه الله .

انظر في ذلك : ابن كثير :

البداية والنهاية حوادث عام ٦٧٦هـ جـ١٣/ ٢٧٨ ، ابن العماد : الشذرات جـ٥/ ٣٥٤ـ ٣٥٦ . ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٧ /٢٧٨ حوادث عام ٦٧٦هـ طبقات السبكي :جـ٥ / ١٦٥ ، والذهبي : تذكرة الحفاظ جـ٤/ ١٤٧٠ .

(٢) انظر : الذهبي تذكرة الحفاظ جـ٤ / ١٤٧٣ ، والظاهر بيبرس مضت ترجمته ص/ ١٢ .

(٣) المكوس : جمع مكس وهو النقص او الظلم ، وهي في الاصل دراهم كانت توخذ من بائعي السلع في الاسواق في الجاهلية . ابن منظور : لسان العرب جـ٦/ ٢٢٠ .

(٤) السيوطي : حسن المحاضرة حـ٢ / ٨٧ ـ ٨٩ مطبعة ادارة الوطن بمصر ١٢٩٩م .

وبسبب سوء الحالة الاقتصادية لهذه الطبقة انتشر الغلاء بينهم وفشى فيهم الغش في المبايعات ، واحتكار الأقوات ، وتطفيف المكاييل والموازين وغير ذلك مما يصاحب عادة عهود الجوع والفاقة (١) . مما حدا بشيخ الإسلام ابن تيمية إلى وضع كتاب الحسبة في الإسلام أوجب فيه على ولات الأمر وا لمحتسبين النظر في المصالح العامة ، بمنع الغش وفرض العقوبات عليه ، وفرض التسعيرات الجبرية عند اشتداد الغلاء ومعاقبة المطففين والمحتكرين (٢).

كما أنه في كتابه هذا أنكر ذلك المنكر من العقود المحرمة كالربا (٣) ....

---

(١) انظر: د / محمد خليل هراس : ابن تيمية السلفي ص ١٧ . دار الكتب العلمية .

(٢) انظر : ابن تيمية : الحسبة في الإسلام ص ١٨ و ما بعدها ، ت : سيد ابن محمد ابن أبي سعدة ط ١ / ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية ــ السعودية .

(٣) الربا : لغة هو الزيادة ، وشرعا : هو زيادة مخصوصة في شيء مخصوص منصور بن يونس البهوتي : الروض المربع ص ٢٢٦ ــ عالم الكتب ــ بيروت بدون تاريخ ، " والمقصود به الزيادة على رأس المال ، قلت او كثرت ، قال تعالى (وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم) وهو محرم في جميع الأديان السماوية ، وهو قسمان : ١ ــ ربا النسيئة : أى التأجيل و التأخير أى الربا الذى يكون بسبب التأجيل ، وهو زيادة عن رأس المال مشروطة يأخذها الدائن من المدين نظير التأجيل . ٢ ــ ربا الفضل : وهو بيع النقود بالنقود ، أو الطعام بالطعام مع الزيادة ، سيد سابق : فقه السنة مجلد ٣ / ١٧٦ وما بعدها . دار الفكر ط٢ / ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.

والميسر (١) ، وبيع الغرر (٢) ....

(١) الميسر : هو كل قمار (الطاهر الزاوى ـ ترتيب القاموس المحيط جـ٤ / ٦٧٥ توزيع دار الباز بمكة ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م)
قال في لسان العرب : الميسر : اللعب بالقداح ... وفي التنزيل " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ " قال مجاهد : كل شيء فيه قمار فهو من الميسر ، حتى لعب الصبيان بالجوز ، ونقل عن الجوهرى : الميسر قمار العرب بالازلام ، فالميسر هو القمار بعينه ، وهو مصدر ميمي من يسر كالموعد والمرجع ، واشتقاقه إما من اليسر ، لأنه أخذ المال بيسر وسهولة ، أو من التجزئة والاقتسام ، يقال يسروا الشيء إذا اقتسموه ، وكان في الجاهلية على نوعين ، الأول : أن يخاطر الرجل على أهله وماله فأيهما قامر صاحبه ذهب بماله وأهله ، والثاني : أنهم كانوا يذبحون جزورا يجزئونها بطريقة معينة ذكرها المفسرون ويطول شرحها ، ومن الميسر اليانصيب ، وهو عبارة عن مال كثير تجمعه الهيئات أو الشركات أو الجمعيات المختصة بالقمار وخاصة في البلاد التي تأثرت بالقوانين الوضعية ، تجمع هذا المال من ألوف من الناس فتجعل جزءاً كبيراً منه لعدد قليل من دافعي المال ، يقسم بينهم بطريق الميسر وتأخذ هي الباقي .
لتفصيل ذلك انظر : محمد عبده ، تفسير المنار جـ٢ / ٣٢٩ مطبعة المنار ١٣٥٠ هـ القاهرة ، وابو حيان : البحر المحيط جـ٢ / ١٥٤ دار الفكر ط٢ ـ ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م ، الطنطاوى الجوهرى : الجواهر في تفسير القران ـ مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ محرم ١٣٤١ هـ ، الألوسي : روح المعاني جـ٢ / ١١٣ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

(٢) بيع الغرر أى المغرور ، وهو الخداع الذى هو مظنة عدم الرضا به عند تحققه ، فيكون من باب أكل أموال الناس بالباطل ، وهو كل بيع احتوى جهالة أو تضمن مخاطرة أو قمارا وقد نهى عنه الشارع ومنع منه (سيد سابق : فقه السنة مجلد ٣ / ١٤٤ ـ دار الفكر بيروت ط٢ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م) " ومن جملة الغرر : بيع السمك في الماء ، وبيع الطير في الهواء ، ... والمعدوم والمجهول والآبق ، وكل ما دخل فيه الغرر بوجه من الوجوه " الشوكاني : نيل الأوطار جـ٥ / ٢٤٤ ـ دار الجيل ـ بيروت ١٩٧٣ م .

و الملامسة (١) و المنابذة (٢) وكذلك النجش (٣) وتصرية الدابة اللبون (٤)

---

(١) الملامسة : نوع من عقود البيع ، وهو أن يقول بعتك ثوبى هذا على أنك متى لمسته فهو عليك بكذا ، أو يقول : أى ثوب لمسته فهو لك بكذا (منصور البهوتى — الروض المربع) و هو محرم للحديث المتفق عليه عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : " إن النبى — صلى الله عليه و سلم — نهى عن الملامسة و المنابذة " و انظر الشوكانى — نيل الأوطار جـ٥/٢٤٧ .

(٢) المنابذة : و هو نوع أيضا من عقود البيع : و هو أن يقول : أى ثوب نبذته إلى — أى طرحته — فعليك بكذا ، و هو محرم أيضا للحديث المتقدم المتفق عليه ، و كذلك بيع الحصاة ، كا رميها فعلى أى ثوب وقعت فلك بكذا ، فهو مثل سابقه . منصور بن يونس البهوتى — الروض المربع . عالم الكتب — بيروت .

(٣) النجْش : بفتح النون و سكون الجيم بعدها معجمة ، و هو نوع من أنواع التحايل و الغش فى البيع و الشراء للحصول على مال أكثر مما يستحقه السلعة المباعة فهو أكل لأموال الناس بالباطل ، أو هو تنفير المشترى عن سلعة لصرفه إلى غيرها . قال فى القاموس : " و هو أن تواطئ رجلا إذا أراد بيعها أن تمدحه أو أن يريد الإنسان أن يبيع بياعة فتساومه فيها بثمن كثير ، لينظر إليك ناظر فيقع فيها ، أو ينفر الناس عن الشئ لينصرفوا إلى غيره ، و التناجش : التزايد فى البيع " الطاهر الزاوى ترتيب القاموس المحيط جـ ٤ / ٣٣٠ — دار الكتب العلمية — بيروت ١٣٩٩هـ — ١٩٧٩م . و قال الشوكانى : هو الزيادة فى السلعة و يقع بمواطأة البائع فيشتركان فى الإثم . انظر : نيل الأوطار جـ٥/٢٦٦ . دار الجيل — بيروت .

(٤) تصرية الدابة اللبون : هو حبس لبن الدابة ذات اللبن فى ضرعها يوما أو يومين ، وعدم حلبها إذا أراد بيعها ، لتظهر أمام المشترى بأنها ذات لبن كثير ، فيرغب فيها بالثمن الكثير ، و هو نوع من الغش .

و تلقى السلع قبل أن تجيء إلى السوق ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠إلخ ما ذكره فى كتابه (١) ٠

كما وجدت طبقة التتار ، الذين أسروا فى الحروب بينهم و بين المسلمين و قد اعتنق كثير منهم الإسلام ، و نشأ كثير منهم من أبنائهم فى ديار المسلمين ومع ذلك فقد كان لهم نظام خاص بهم فى الحكم و القضاء ٠

فكانوا يتحاكموا إلى " الياسق " الذى وضعه لهم ملكهم " جنكيزخان " و كانوا يقدسون ذلك تقديسا عظيما ، " و الياسق " عبارة عن قانون ، مرقع من شتى النحل و المذاهب ، مختلطة ببعض الأفكار الوضعية البشرية يقول ابن كثير " ٠٠٠٠٠٠٠٠٠ وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم " جنكيزخان " الذى وضع لهم الياسق و هو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى من اليهودية ، و النصرانية ، و الملة الإسلامية ، و فيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره و هواه ، فصارت فى بنيه شرعا متبعا يقدمونها على الحكم بكتاب الله و سنة رسوله ـ صلى الله عليه و سلم ـ فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله و رسوله ، فلا يحكم سواه فى قليل و لا كثير ٠٠٠٠٠٠٠ (٢) ٠

" و إنه لمن الغريب أن يترك مثل هؤلاء التتار يتحاكمون إلى غير كتاب الله و سنة رسوله ، و هم بين ظهرانى المسلمين و فى ديارهم التى يعلوها كتاب الله ، و لا يعلى عليه قانون آخر سواه ، سيما و أن الكثير منهم ـ كما قدمنا ـ قد نشأ بين المسلمين و أن هذا التحاكم لغير

---

(١) ابن تيمية : الحسبة فى الاسلام ص ٢٠ ـ

(٢) ابن كثير : تفسير القران العظيم جـ٢ / ٦٧ ـ عند تفسير الآية (٥٠) من سورة المائدة ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٣٨٨هـ ٠

شريعة اللـه تعالى ، هو بهم كفر كما ذكر ذلك ابن كثير فيما تقدم (١).

---

(١) قال الشيخ : محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية سابقا (ت ١٣٨٩ هـ) في رسالة " تحكيم القوانين " : ـ

" إن من الكفر الأكبر المستبين ، تنزيل القانون اللعين ، منزلة ما نزل به الروح الأمين ، على قلب محمد ـ صلى اللـه عليه و سلم ـ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين ، في الحكم به بين العالمين ، و الرد إليه عند تنازع المتنازعين ، مناقضة و معاندة لقول اللـه عز و جل (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ ، إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا) النساء ـ ٥١ .

و قد نفى اللـه سبحانه و تعالى الإيمان عمن لم يحكموا النبي ـ صلى اللـه عليه و سلم ـ فيما شجر بينهم نفيا مؤكدا بتكرار أداة النفي و بالقسم قال تعالى (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَ يُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) النساء ـ ٦٥ .

و لم يكتف تعالى و تقدس منهم بمجرد التحكيم للرسول ـ صلى اللـه عليه و سلم ـ حتى يضيفوا إلى ذلك عدم وجود شيء من الحرج في نفوسهم .... و حتى يضموا إليهما التسليم و هو كمال الإنقياد ، لحكمه ـ صلى اللـه عليه و سلم ـ و لهذا أكد ذلك بالمصدر المؤكد و هو قوله جل شأنه (تَسْلِيمًا) المبين أنه لا يكتفى ها هنا بالتسليم بل لا بد من التسليم المطلق .... و قد نفى اللـه الإيمان عمن أراد التحاكم إلى غير ما جاء به الرسول ـ صلى اللـه عليه و سلم ـ كما قال تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَ يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا) فإن قوله (يَزْعُمُونَ) تكذيب لهم فيما ادعوا من الإيمان .... و تأمل قوله (وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ) تعرف منه معاندة القانونيين ، و إرادتهم خلاف مراد اللـه منهم .... ثم تأمل قوله (وَ يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا) كيف دل على أن ذلك ضلال ، و هؤلاء القانونيون يرونه من الهدى ،

....

= كما دلت الآية على أنه من إرادة الشيطان ، عكس ما يتصوره القانونيون من بعدهم من الشيطان ، وأن فيه مصلحة الإنسان ، فتكون على زعمهم مرادات الشيطان هي صلاح الإنسان ، ومراد الرحمن ، وما بعث به سيد ولد عدنان معزولا من هذا الوصف ومنحى عن هذا الشأن . وقد قال تعالى منكرا على هذا الضرب من الناس ، ومقررا ابتغاءهم أحكام الجاهلية وموضحا أنه لا حكم أحسن من حكمه (أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) فتأمل .... وكيف دلت على أن قسمة الحكم ثنائية ، وأنه ليس بعد حكم الله تعالى إلا حكم الجاهلية الموضح أن القانونيين في زمرة أهل الجاهلية شاءوا أم أبوا ، بل هم أسوأ منهم حالا ، وأكذب منهم مقالا ، ذلك أن أهل الجاهلية لا تناقض لديهم حول هذا الصدد ، وأما القانونيون فمتناقضون حيث يزعمون الإيمان بما جاء به الرسول — صلى الله عليه وسلم — ويناقضون ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا وقد قال الله في أمثال هؤلاء (أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا) . اهـ
ط٢ — الرياض ١٤٠٣ هـ .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى الضعف والخوف والرعب الذى كان فى قلوب الناس المسلمين من هؤلاء التتر حتى وهم أسارى وأن معظمهم يدعى الإسلام .

يقول د / محمد يوسف موسى : " وذلك بأن التتار الذين كثروا بمصر والشام بسبب الأسر أو غيره ، ثم أقاموا فى هذين البلدين ، ونشئوا على الإسلام ، أحلهم ملوك مصر محلا ممتازا ، لما كان لهم من عظمة وهيبة فى القلوب ، ومنهم من وصل إلى أن صار من ملوك مصر وحكامها " (١) .

وكذلك بجانب هؤلاء وأولئك ، وجدت طبقة أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكانت تنظمهم أحكام أهل الذمة .

---

(١) د / محمد يوسف موسى : اعلام العرب (٥) ابن تيمية ص٣٤ـ القاهرة ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢ م ، مكتبة مصر ـ القاهرة .

٣ ـ الناحية العلمية

إن الباحث للناحية العلمية فى عصر شيخ الإسلام ابن تيمية يلحظ أنه قد غلب على علماء ذلك العصر سمة التقليد لكلام من تقدمهم من العلماء ، كما أنه لا يرى شيئا من النتاج العلمى الذى يعد من قبيل التجديد ، وإن كانوا قد صنفوا مطولات و مختصرات و لكن بغير ابتكار .

حيث " .... عمد العلماء إلى جمع المعلومات المتعلقة بكل فن فن ، فنظموها فى سلك واحد ، و ألفوا فيها كتبا مطولة أحيانا ، و مختصرة أحيانا ، و سلكوا منهجا حسنا فى التأليف ، و لكن لا أثر فيه للإبتكار و التجديد " . (١)

و قد كان من نتاج ذلك أن جمدوا على المذاهب الفقهية الأربعة المعروفة ، يوجبون تقليد واحد منها ، و كان ذلك الإيجاب أثراً من آثار الفقهاء الذين سبقوهم حيث حكموا بسد باب الاجتهاد فى القرن الرابع (٢) .

و مما يؤكد ذلك ما حكاه ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) فى مقدمته ، حيث يرى أن باب الإجتهاد قد أغلق حتى صار الناس مقلدين تماما للأئمة الأربعة إلى عصره الذى يتحدث فيه ، فيقول : " ووقف التقليد فى الأمصار عند هؤلاء الأربعة ، و درس المقلدون لمن سواهم .

---

(١) د / محمد خليل هراس : باعث النهضة الإسلامية ـ ابن تيمية السلفى ص١٩ دار الكتب العلمية ـ بيروت ط١ ـ ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .

(٢) انظر : د / محمد يوسف موسى / ابن تيمية ص٤٦

وسد الناس باب الخلاف وطرقه .... وردوا الناس إلى تقليد هؤلاء .... ولم يبق إلا نقل مذاهبهم وعمل كل مقلد بمذهب من قلده منهم بعد تصحيح الأصول واتصال سندها بالرواية ، لا محصول اليوم للفقه غير هذا ، ومدعى الاجتهاد لهذا العهد مردود على عقبه ، مهجور تقليده ، وقد صار أهل الإسلام اليوم على تقليد هؤلاء الأئمة الأربعة " (١)

هذا من جهة الفروع .

أما من جهة العقائد فان الجمهرة الغالبة من العلماء جمدوا على تقليد مذهب الأشاعرة ، (٢) والذى اعتنقه

---

(١) عبد الرحمن ابن خلدون الحضرمى : المقدمة . ص ٤٤٨ ، الفصل السابع فى علم الفقه وما يتبعه من الفرائض . دار القلم — بيروت . ط ٤ .

(٢) الأشاعرة : هم حاملوا لواء المذهب الأشعرى ، نسبة إلى مؤسسه الإمام أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى ، وهو من نسل الصحابى الجليل أبى موسى الأشعرى — رضى الله عنه — ولد أبو الحسن الأشعرى (٢٦٠ هـ) بالبصرة ، وتوفى (٣٢٤ هـ) ونشأ بها وهى مركز الإعتزال فى حجر زوج أمه أبى على محمد بن عبد الوهاب الجبائى (ت ٣٠٣ هـ) شيخ المعتزلة وقتئذ ، وتتلمذ عليه ، فتشرب الاعتزال واعتنقه ، ثم ناظر أبو الحسن شيخه أبا على الجبائى مناظرة قطع بها حجته فى الاعتزال ، ومن ثم عمد إلى ترك مذهب الاعتزال إلى مذهب عبد الله ابن كلاب ، وهو مذهب يحاول التوفيق — كما زعموا — بين مذهب الاعتزال ، وبين عقيدة أهل السنة التى اعتقدها أحمد ابن حنبل واعتقدها السلف والأئمة من قبله ، وهذا المذهب — اعنى مذهب ابن كلاب هو الذى اشتهر به الأشاعرة أتباع الإمام أبى الحسن من بعده .

ونصره بشدة في ذلك العصر "صلاح الدين الأيوبي" (١) وأولاده من بعده في مصر والشام ، ثم في أيام مواليهم الملوك الأتراك (٢).

يقول المقريزي (ت ٨٤٥ هـ) بعد ما شرح حقيقة مذهب الأشعري : "فهذه جملة من أصول عقيدته التي عليها الآن جماهير أهل الأمصار الإسلامية ، والتي من جهر بخلافه أريق دمه" (٣).

فهكذا إلى هذه الدرجة من التعصب ، والتي تصل إلى حد أراقة الدماء في حق من يجهر بخلاف مذهب الأشعري.

= فكان هذا هو الطور الثاني في عقيدة الإمام أبي الحسن بعد تركه مذهب الاعتزال . إلا أن متأخري الأشاعرة قد أدخلوا على مذهب ابن كلاب كثيرا من مذهب المعتزلة والفلاسفة في مسائل الاعتقاد . ثم أراد الله تعالى لأبي الحسن الأشعري الهداية فرجع عن كل ذلك إلى عقيدة أهل السنة والجماعة فكانت هي الطور الثالث في تقلبات أبي الحسن الأشعري من جهة الاعتقاد ، واعتنق آخر عمره عقيدة الاسلام الصحيحة ، وأعلن أنه على عقيدة إمام السنة أحمد ابن حنبل وذكر ذلك في كتاب الإبانة عن أصول الديانة " وقد ذكر تلك الأطوار الثلاثة عنه ـ السيد محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى الزبيدي في كتابه " اتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين " جـ ٢ / ٤ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت لبنان ـ بدون تاريخ ـ انظر ترجمته كاملة في مقدمة الإبانة تقديم الشيخ حماد الأنصاري طبعة الجامعة الإسلامية . والإبانة أيضا ، بتقديم وتحقيق وتعليق د /فوقية حسين محمود ـ دار الأنصار ـ القاهرة . ط ١ / ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م .

(١) مضت ترجمته عند الكلام عن الناحية السياسية .

(٢) المقريزي : الخطط جـ ١ / ١٥٤ ـ ١٥٨ .

(٣) نفس المصدر جـ ٢ / ٣٥٨ ـ ٣٦٠ .

ولذا نلحظ أن الحالة العلمية في عصر ابن تيمية كانت في ركود وجمود . ولقد كان لذلك أسباب :-

أولها وأعظمها : هو إعراض الكثير من العلماء عن الرجوع إلى المصادر الصحيحة الأصلية في استنباط الأحكام ، وهي الكتاب والسنة واعتمادهم على الفلسفة ، وعلم الكلام والمنطق .

ثانيها : بالإضافة إلى ما أصابهم من الناحية السياسية خارجيا فتن وحروب ومنازعات وداخليا ، قلق واضطراب وصراعات ، وعدم استقرار ، فتقدم العلوم ، وازدهار الحضارات لا يتأتى إلا في جو من الأمن والاستقرار .

ثالثا : ثم إن دعوة البعض إلى سد باب الاجتهاد كان أيضاً من الأسباب التي أدت إلى ركود في الناحية العلمية الأمر الذي جعل ابن تيمية يقوم بكل ما أوتي من قوة وعزم ، وذكاء وعلم ، وحيوية وفطنة ليزيح بعض ما تراكم على الأمة من انقاض التقليد والجمود . فرأيناه علما فذا في شتى نواحي المعرفة والعلوم المتصلة من قريب أو بعيد بعلوم الإسلام . (١)

---

(١) انظر في ذلك : ابو الحسن الندوي : رجال الفكر والدعوة في الإسلام جـ ٢ ص ١٦٢ ، دار القلم ، الكويت ط٤/١٤٠٧ - ١٩٨٧ م .

كما أنــه مــع وجود الأشاعرة وجد المعتزلة ، والشيعة ، وأهــل الإلحاد والزندقة ، والمتفلسفة والصوفية ، وكان لكل مذهب من هذه المذاهب معتنقوه ، وعلماؤه ، ومتكلموه ، إلا أن شيخ الإسلام ابن تيمية لم يترك واحدا منها إلا تصدى لأصوله بالرد والإبطال والتفنيــد .

وتجدر بنا ونحن بصدد الكلام عــن الناحية العلمية فــى عصر ابن تيمية أن نتكلم عــن تلك المذاهب العقدية ، والفرق المختلفة والتى وجدت فى ذلك العصر بشىء مــن الاختصار والايجاز .

فالأشعرية أصبحت مذهب الجمهرة الغفيرة مــن العلماء فــى ذلك العصر ــ كمــا تقــدم ــ وإن ممــا زاد انتشار ذلك المذهب بين العلمــاء هو اعتناق صلاح الدين لــه ، ودعوته إليه ، وشىء آخــر قــد كان سببا أيضا لانتــشــار مذهب الأشعرية ألا وهو زعم الأشاعرة بأنهم هم أهــل السنة ، مــع أن الحقيقة هى خلاف ذلك ، لأن الأشعريين كانوا يــســيرون إلــى حــد مــا فى فلك الفــلاسفــة والمناطقة فــى إثبات عقائدهم (١) .

وهذا مذهب لا يرضى عنه شيخ الإسلام ابن تيمية باعتباره إمام أهل السنة فــى ذلك العصر ، والذى يدعى الأشاعرة الانتساب إليهم .

وعلى هــذا فقد كان لكل فريق مدارســه ومناهجه ، فنرى مــن مدارس أهل السنة المدرسة " الجــوزيــة "و" الــسكريــة " ، والتى تخــرج

---

(١) انظر : د / محمد خليل هراس : باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفى/ ص ٢٢-دار الكتب العلمية ــ بيروت ط١/٤٠٤ هـ ــ ١٩٨٤ م . وكذلك ابراهيــم خليل بركة : ابن تيمية وجهوده فى التفسير ص ٣٨ المكتب الاسلامى .

فيها ابـن تيميـة حيث اتجهت بكليتها إلـى دراسة الحديث النبـوى الشريف وعلومـه ، فدرسوا الصحاح والمسانيد ، وغيرهـا من دواوين السنة ، كمـا درسوا كتب الجرح والتعديل ، وتواريخ الرجال ، ومن ثم حافظت على معتقداتها الصحيحة وتمسكت بآثار السلف (١) الصالحين وكرهت الابتداع فـى الـدين ، بينما الاشاعرة منشلغين بالخوض فـى مسائل عـلم الكلام المتولـد عـن الفلسفـة والمنطق .

وكان مـن البدهى أن ينتصر كل فريق لمعتقده ومنهجه لذلك لم يتـوان الأشاعـرة عـن استعمـال سـلاح التكـفـير

---

(١) السلف : هـم أصحاب القرون المفضلة الثلاثة الأولى الصحابـة والتابعون ، وتابعوهم ، والمذهب السلفى نسبة إلى السلف وهو مـا كان عليـه الصحـابة الكرام ، وتابعوهـم ، وأتباعهـم ، وأئمـة الـدين ممـن شهد له بالإمامة ، وعرف عظم شأنه فى الدين وتلـقى النـاس لكلامهم خلفـا عـن سلف كالائمة الأربعة والسفيانيـن والليث بـن سعد ، وابـن المبارك ، والنخـعى ، والبـخـارى ومسـلم وسـائر أصحـاب السـنن ، دون مـن رمـى ببدعـة أو شهـر بلقب غير مـرضى مثل الخوارج " والروافض " والمـرجئـة والجبرية و " الجهمية و " المعتزلة . وسائر الفرق الضالة . انظـر د / محمـود أحمد خفاجى ، فى العقيدة الإسلامية بين السلفيـة والمعتزلة جـ١ / ١٩ وما بعدها مطبعة الأمانة القاهرة ط ١ . وكـذلك د / على عبد الحليم محمود : السلفية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب مكتبات عكاظ ص ٩ . المملكة العربية السعودية . ط١/١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

و التفسيق لغيرهم في شتى المناسبات (١) ، و لذلك كانت لابن تيمية معهم جولات كثيرة عبر كتبه و مصنفاته و مجادلاته و مناظراته ، يلين كلامه فيهم عند المسائل التي وافقوا فيها أهل السنة ، في الاستدلال أو النتيجة ، و يشتد نقده لهم في المسائل التي يراهم فيها قد ابتعدوا عن الكتاب و السنة ، و من أمثلة ذلك ما نراه في لهجته العنيفة ضد أحد أئمتهم و هو " أبو محمد الجويني (٢) ، والد امام الحرمين أبي المعالي حيث يقول :

" .... و أيضا فيقال لهؤلاء الجهمية الكلابية كصاحب هذا الكلام أبي محمد و أمثاله ، كيف تدعون طريقة السلف و غاية ما عند السلف ان يكونوا موافقين لرسول الله - صلى الله عليه و سلم -" (٣)

ثم يقول :

" .... و أبو محمد و أمثاله قد سلكوا مسلك الملاحدة الذين يقولون : إن الرسول لم يبين الحق في باب التوحيد (٤) ".

---

(١) ابراهيم خليل بركة : ابن تيمية و جهوده في التفسير ص ٣٨ ، المكتب الاسلامي ط ١ - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .

(٢) هو أبو محمد عبد الله الجويني ، و الد إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك توفي أبو محمد (٤٤٠ هـ) و قد رجع في آخر عمره إلى عقيدة السلف ، و شهد بذلك ابن تيمية في مواضع ، و كتب توبته بعنوان " النصيحة " طبعها المكتب الإسلامي منسوبة إلى ابن شيخ الحزاميين و هو خطأ . أفاده الشيخ سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، منهج الأشاعرة في العقيدة ، رسالة نشرت في مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة العدد ٦٢ السنة ١٦ - ص ٦٧ .

(٣) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج٤ / ١٥٨ ، جمع عبد الرحمن بن قاسم ، و إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين .

(٤) نفس المصدر ج٤ / ١٥٩ .

لقد تصدى ابن تيمية للمذهب الأشعرى بشدة ذلك لأنه تمكن من نفوس العلماء و استولى على عقولهم ، على أنه هو مذهب أهل السنة و الجماعة ، فتصدى شيخ الإسلام ابن تيمية لذلك حتى يمحو من الأذهان ذلك السلطان المسيطر ، الذى ساد به المذهب الأشعرى فى معظم الأقطار (١) . و بين شيخ الإسلام معنى لفظ " الأشاعرة " . و مدلول كلمة " أهل السنة " و أن بينهما فوارق من وجوه كثيرة منها :—

١ـ أن الأشاعرة أنفسهم يفرقون من خلال مؤلفاتهم بين منهجهم و معتقداتهم و بين أهل السنة و السلف . فكيف يدعون أنهم منهم ؟؟ .

و قد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن بعضهم شيئا من هذا التفريق فى مجموع الفتاوى حيث قال : " ...... يوضح ذلك أن كثيرا من أصحاب أبى الحسن الأشعرى يصرحون بمخالفة السلف ، فى مثل مسألة الإيمان ، و مسألة تاويل الآيات و الأحاديث ، يقولون : .... مذهب السلف أن الإيمان قول وعمل ، يزيد و ينقص ، و أما المتكلمون من أصحابنا فمذهبهم كيت و كيت .... و كذلك يقولون : مذهب

---

(١) د / محمد خليل هراس : باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفى ص ٢٤ ،

السلف ان هذه الآيات و الأحاديث الواردة في الصفات ، لا تتأول ، و المتكلمون يريدون تأويلها إما وجوبا ، وإما جوازا ، ويذكرون الخلاف بين السلف وبين أصحابهم المتكلمين ، هذا منطوق ألسنتهم ، و مسطور كتبهم " (١) .

٢- أن مصطلح " أهل السنة " من المصطلحات العامة التي يلتبس فهمها على الناس ، أو أن البعض يتعمد تلبيس ذلك الفهم على الناس

ذلك أن مصطلح "أهل السنة " له مدلولان مدلول عام ، وآخر خاص

فالمدلول العام :

هو ما يقابل مصطلح " الشيعة " (٢) فيقال

المنتسبون للإسلام قسمان :

شيعة ، و سنة .

---

(١) شيخ الاسلام ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ ٤ / ١٥٦ .

(٢) الشيعة : هم الذين شايعوا عليا بن أبي طالب - رضي الله عنه - على الخصوص ، و يقدمونه على سائر أصحاب رسول الله - صلى الله عليه و سلم - و قالوا بامامته و خلافته نصا و وصية أما جليا وأما خفيا ، و اعتقدوا أن الامامة لا تخرج من أولاده و ان خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بتقية من عنده ، و قالوا ليست الامامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة ، و ينتصب الامام بنصبهم بل هي قضية اصولية ، و هي ركن الدين ، لا يجوز للرسل عليهم السلام اغفاله و اهماله و لا تفويضه إلى العامة و إرساله ، و يجمعهم القول بوجوب التعيين و التنصيص و ثبوت عصمة الأنبياء و الأئمة وجوبا

فكل من لم يقل بمقالة الشيعة فى تكفير الصحابة بعد النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو من أهل السنة فى هذا المعنى العام ٠ وهو ما صرح به ابن تيمية فى كتابه " منهاج السنة النبوية " (١) ٠

وأما المدلول الخاص :

وهو اتباع الكتاب والسنة والأثر ومنهاج سلف الأمة ، وهو المعنى الذى يقابل طوائف المبتدعة وأهل الأهواء ، فإن الأشاعرة ليسوا من أهل السنة قطعا بهذا المعنى ٠ حيث إن أهل السنة المتبعين للسلف لا يلوون على غير الكتاب والسنة ولا يعتمدون غير السنة والرواية ، ولا يؤولون الآيات والأحاديث تأويلا يفضى إلى التعطيل ، ولا يختلقون تعارضا

= عن الكبائر والصغائر ، والقول بالتولى ، والتبرى قولا وفعلا ، وعقدا إلا فى حال التقية ، ويخالفهم بعض الزيدية فى ذلك ، ولهم فى تعدية الإمام كلام وخلاف كثير ، وعند كل تعدية وتوقف : مقالة ، ومذهب وخبط ، وهم خمس فرق " كيسانية ، وزيدية ، وإمامية ، وغلاة ، وإسماعيلية ٠ انظر الملل والنحل ص ١٤٦ ٠ دار الفكر ـ بيروت ـ ت : عبد العزيز محمد الوكيل ، بدون تاريخ ، وأبو الحسن الأشعرى : مقالات الإسلاميين ص ٥ ـ دار إحياء التراث العربى ـ بيروت ـ هيلموت ريتر ـ ط ٣ ٠ بدون تاريخ ٠

(١) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية جـ ٢ / ٢٢١ ، بتحقيق د / محمد رشاد سالم ٠ط ١/ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م ٠

موهوما بين دليل العقل ، ونصوص الوحي كما فعل الرازي (١) . ووضع لهم قانونا في ذلك (٢) .

فالحاصل من ذلك أن الأشاعرة ليسوا من أهل السنة بهذا المعنى الأخص . وقد نص الإمام أحمد وابن المديني على أن من خاض في شيء من علم الكلام لا يعتبر من أهل السنة ، وإن أصاب بكلامه السنة ، حتى يدع الجدل ويسلم للنصوص فلم يشترطوا موافقة السنة فحسب بل التلقي والاستمداد منها (٣) .

---

(١) الرازي : هو فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين ، التيمي البكري الرازي ، ويعرف بابن خطيب الري ، ولد سنة (٥٤٤) هـ ، وتوفي سنة (٦٠٦) هـ من أئمة الأشاعرة الذين مزجوا المذهب الأشعري بالفلسفة والاعتزال - ابن تيمية - درء تعارض العقل والنقل - جـ١/ ١٧٧ - وهو واضع القانون الكلي للأشاعرة وله مصنفات عدة منها " التفسير الكبير " و " المحصول في علم الأصول " وتأسيس التقديس ، وغيرها. انظر ترجمته / ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ٤/ ٢٤٨ - ٢٥٢ - دار صادر - بيروت . ابن العماد : شذرات الذهب جـ٥/ ٢١ . دار الافاق الجديدة - بيروت . الزركلي : الأعلام جـ٦/ ٣١٣ .

(٢) انظر : ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل جـ١/ ٤ : ت : د / محمد رشاد سالم ط١/ ١٣٩٩م ، ج الإمام محمد بن سعود وهو القانون الكلي عند المبتدعة كما عنون له المحقق .

(٣) أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، جـ١ / ١٥٧ - ١٦٥ ، تحقيق / أحمد سعد حمدان ، دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض - بدون تاريخ .

فمن تلقى من السنة فهو من أهلها وإن أخطأ ، ومن تلقى من غيرها فقد أخطأ وإن أصاب ووافقها في النتيجة (١) .

٣ ـ ثم إن قولهم : بأن " طريقة السلف أسلم ، وطريقة الخلف أحكم وأعلم " دليل على تفريقهم بين كل من مذهب السلف ومذهبهم الكلامي الأمر الذي يدل على أن قولهم بأنهم من أهل السنة لا يقصدون به الانتساب إلى السلف ولا إلى طريقتهم ومنهجهم ، وأن هذا هو الذي دعا شيخ الإسلام ابن تيمية لأن يصفهم بنوع من الرفض ، مبينا أن فحوى كلامهم هذا انتقاص للصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أو تجهيل لهم أو تخطئة ، وتضليل حيث قال :

" ولا ريب أن هذا شعبة من الرفض (٢) ، فإنه وإن لم يكن تكفيرا للسلف كما يقوله من يقوله من الرافضة ، والخوارج ولا تفسيقا لهم كما يقوله من يقوله من المعتزلة والزيدية وغيرهم كان تجهيلا لهم ، وتخطئة وتضليلا ، ونسبة لهم إلى الذنوب والمعاصي ، وإن لم يكن فسقا ، فزعما أن أهل القرون المفضولة في

---

(١) انظر : سفر الحوالي : منهج الأشاعرة في العقيدة ، مجلة الجامعة الإسلامية ، عدد ٦٢ السنة ١٦ ـ ١٤٠٤ هـ .

(٢) قلت :
سواء علموا ذلك فتعمدوه ، أم جهلوه ، فإن كانوا قد جهلوه فتلك مصيبة عظمى إذ أنهم ادعوا الإحكام والعلم والتحقيق ، فيكون كلام شيخ الإسلام فيهم ـ والحال هذه ـ في وصفهم بأنهم على شعبة من الرفض تنبيها لهم وتعليما أولا ونصيحة لأن يرجعوا عن ذلك القول والاعتقاد ، ويكون ثانيا : تحذيرا من الوقوع جهلا في هذه الشعبة من الرفض ، وإن كانوا قد علموا فتعمدوا نسبة السلف من الصحابة والتابعين إلى الجهل وقلة العلم والتخطئة ، والتضليل فهو شعبة من الرفض حقيقة كما قال شيخ الإسلام .

الشريعـــة أعلم و أفضل من أهل القرون الفاضلة (١) ٠

و لا يزال ابن تيمية يفند مزاعم الأشاعرة في ادعائهم بأنهم أهل السنة ، مبينا أنه لا يوصف بأنه من أهـل السنة أو أنه على طريقة السلف إلا من كان متبعا لرسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ بـــل يقرر ابن تيمية أنهم سلكوا مسلك الملاحدة الذين يتهمون الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ بعدم بيان الحق في باب "التوحيد" ٠ و تقدمت الإشارة إلى ذلك ٠

لقد صنف شيخ الإسلام ابن تيمية مصنفات عديدة يرد فيــها بالأصالة على المذهب الأشعري و منها :ـ

١ ـ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية أو نقض تأسيس الجهميـة ٠

٢ ـ درء تعارض العقل و النقل ، و هو كله رد عليهم بالأصالة كمـا نص في بدايته بذكر قانونهم الكلي (٢) ٠

٣ ـ الرسالة التسعينية ، و هي التي كتبها في الأشهر الأخيرة مـن حياته ، جوابا عن محاكمة الأشعرية له ، و هي أول رسالة في المجلد الخامس من الفتاوى الكبرى ٠

٤ ـ النبوات : و هو نقض للأشاعرة في باب النبوات ٠

٥ ـ الإيمان : و هو نقد لهم في باب الإيمان وذكر بقية المرجئة تبعا ٠

---

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ٤/١٥٧ ٠ جمع و ترتيب ابن قاسم النجدي إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين ٠ بدون تاريخ ٠

(٢) قانونهم الكلي يرجع في معرفته إلى درء تعارض العقل و النقل جـ١ / ٤ ، والقانون الكلي هذا هو من وضع الفخر الرازي يؤصل به طريقة الاشاعرة ومنهجهم في العقيدة وقد رد عليه ابن تيمية مفصلا في الموضع الذي ذكرنـا ٠

وغيرها من الكتب والرسائل التي ألفها أصلا في الرد عليهم فضلا عن ردوده عليهم في ثنايا كتبه الاخرى .

وبسبب هذه المؤلفات والمناظرات ، كانت تعقد له المحاكمات والمجالس والتي رمى فيها بأنه زنديق أو مبتدع ، والبعض كفره (١) .
ولكنه لم يؤثر عنه أنه كفر معينا منهم ، ويحاكم آراءهم وكلامهم ويحكم على الكلام في ذاته ، دون الحكم على أعيانهم .

بل إنه نقل توبة بعضهم ورجوعهم إلى عقيدة أهل السنة .

٤ ـ ثم إن من كبار الأشاعرة من أعلن حيرته وتوبته ورجوعه إلى مذهب السلف كما في تراجم بعضهم من كتب الأشعرية ، مثل طبقات الشافعية .
" فإن كانوا من أصلهم على عقيدة أهل السنة والجماعة فعن أي شئ رجعوا ولماذا رجعوا ؟ وإلى أي عقيدة رجعوا ؟ (٢) .

وكما كانت تلك الجولات بين ابن تيمية وبين الأشاعرة كانت له أيضا جولات عديدة ضد المعتزلة ، كما نرى ذلك عبر مؤلفاته .
كما أنه تصدى للشيعة بشدة في كتابه الجليل " منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية " ومن خلاله رد على كثير من أصول المعتزلة باعتبارها الفرقة القدرية .

كما كانت هناك فرق كثيرة للصوفية ، كالرفاعية ، والجيلانية ، والشاذلية ، وكان لابن تيمية وقفات عدة ومساجلات كثيرة ، لما هاله مما

---

(١) انظر : ابن ناصر الدين الدمشقي : الرد الوافر ـ المكتب الإسلامي " ومن ذلك قول صاحب حواشي على شرح الكبرى للسنوسي : " ابن تيمية ... أي الحنبلي المشهور زنديق وبغضه للدين وأهله لا يخفى " ص٦٢ . مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر/١٣٥٤ـ١٩٣٦م ط١ .
(٢) سفر الحوالي : منهج الأشاعرة في العقيدة ، تعقيب على مقالات الصابوني مجلة الجامعة الإسلامية ، العدد ـ ٦٢ ـ السنة ١٦ ـ عام ١٤٠٤ هـ .

ورد على السنة البعض منهم فى مسائل الحلول والاتحاد ، ووحدة الوجود التى نادى بها ابن عربى (١) ، المتوفى سنة ٦٣٨ هـ .

فتصدى لهؤلاء المتصوفة نظريا فى كتبه فألف كتاب "الاستقامة" الذى نقض فيه كثيرا من أصول الصوفية وبين فيه أن عقيدة أئمة السلوك المعتبرين هى مذهب السلف (٢) .

وله كلام طويل عن الصوفية والفقراء ضمن مجموع الفتاوى (٣) .

وكما كانت من شيخ الاسلام ابن تيمية مساجلات ومناظرات بينه وبين الأشاعرة كان بعضها محاكمات تنتهى بسجنه ، كان كذلك بينه وبين الصوفية أيضا فكان يقول فى كثير من أحوال المشايخ إنها شيطانية أو نفسانية فينظر فى متابعة الشيخ الكتاب والسنة فإن كان كذلك فحاله صحيح وكشفه رحمانى وما هو

---

(١) هو : محمد بن على بن محمد بن عربى : أبو عبد الله محى الدين ، الطائى الأندلسى . فيلسوف كبير ، وفقيه ، وشاعر رمزى ، ومؤلف مكثر ، ولد فى سنة ٥٦٠ هـ طاف بالبلاد وأقام بمكة مدة ، وضع بها كتابه الموسوم "بالفتوحات المكية" فى عشرين مجلدا وله "فصوص الحكم" وديوان شعر رائق ، رحل إلى بغداد والموصل ، ثم مصر ، فانكر عليه أهلها آراءه فأحل بعضهم دمه ، وحبس ثم خلصه بعضهم من الحبس فهرب عن مصر واستقر فى دمشق ، وتوفى بها سنة ٦٣٨ هـ .
قال الذهبى : عنه "هذا قدوة القائلين بوحدة الوجود وهو أحد الذين شغلوا المسلمين حتى اليوم ، فالناس بين مادحين هو عندهم الشيخ الأكبر ، وقادحين هو عندهم الشيخ الأكفر " اهـ .
ونقل ابن تيمية فى مجموعة الرسائل والمسائل جـ ٤ / ٨١ عن بعضهم قوله " رأيت ابن عربى وهو شيخ نجس يكذب بكل كتاب أنزله الله وبكل نبى أرسله الله ولقد صدق فيما قال . انظر ترجمته / ابن شاكر : فوات الوفيات جـ ٣ / ٤٣٥ ـ دار صادر بيروت ـ لبنان .
ابن العماد : الشذرات : جـ ٥ / ١٩٠ ـ ٢٠٢ ـ دار الآفاق الجديدة بيروت . لبنان .
ابن كثير : البداية والنهاية : جـ ١٣ / ١٤٧ مطبعة المتوسط ـ بيروت . لبنان .

(٢) سفر الحوالى : منهج الأشاعرة فى العقيدة مجلة الجامعة الاسلامية . عدد ٦٢ السنة ١٦ ـ ص ٦٨ .

(٣) المجلد الحادى عشر : من مجموع الفتاوى . معظمه فى الكلام عن الصوفية والفقراء .

بالمعصوم (١) .

وقد ذكر ابن كثير طرفاً مما جرى بينه وبين الأحمدية وكيف عقدت له المجالس الثلاثة لمناظرته في عقيدته وما يقوله في ابن عربى (٢) .

وطلبوا منه أن يكف عنهم ـ أى عن الأحمدية ـ ويسلم لهم حالهم فقال : هذا ما يمكن ، ولا بد لكل أحد أن يدخل تحت الكتاب والسنة قولا وفعلا ، ومن خرج عنهما وجب الإنكار عليه " فأرادوا أن يفعلوا شيئا من أحوالهم الشيطانية التى يتعاطونها فى سماعاتهم فقال الشيخ ابن تيمية " تلك أحوال شيطانية باطلة وأكثر أحوالهم من باب الحيل والبهتان ومن أراد منهم أن يدخل النار فليدخل أولا إلى الحمام وليغسل جسده غسلا جيدا ويدلكه بالخل والأشنان ثم يدخل بعد ذلك إلى النار إن كان صادقا (٣) .

وهكذا يبين لهم بطلان أحوالهم بطريقة عملية ، بعد ما أبطلها بطريقة علمية نظرية . حين رد على فلاسفة الصوفية الكبار ونقض أصولهم .

أما الفلسفة اليونانية القديمة فقد عرفها بدليل ما ينقله من آراء كل من أفلاطون وأرسطو ومقارنته بينهما ، وكذلك عرف المنطق الأرسطى ونقده (٤) .

---

(١) د / صلاح الدين المنجد : شيخ الإسلام ابن تيمية ـ سيرته وأخباره عند المؤرخين ص ٢٢ ـ ط/دار الكتاب الجديد ـ بيروت ـ ١٩٧٦ م . نقلا عن تاريخ ابن الوردى ج٢ ص٤٠٦ ـ ٤١٣ ـ فوات الوفيات ج١ / ٧٤ .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) ابن كثير ج١٤ / ٣١ حوادث سنة ٧٠٥ ـ البداية والنهاية .

(٤) د / محمد خليل هراس : ابن تيمية السلفى ص ٢٨ ، ولابن تيمية ـ كتاب الرد على المنطقيين ، ونقض المنطق والأخير ضمن مجموع الفتاوى .

كما أنــه استوعب ما كتبه متفلسفة الإسلام كابن سينا ، وابــن رشـد والفارابي ومحص ما كتبوه ورد عليهم (١)

ولعلنا نجد من خلال بحث النبــوة الآتي ، وبيان رد شيخ الإسلام على المخالفين فيها من المتكلمين والفلاسفة ما يوضح ويشهد له بالبراعة والغزارة وسعة الاطلاع في ميــدان الجدل ، والقدرة على مناقشة الخصوم .

---

(١) ابن تيمية السلفي ص ٢٨ .

الباب الأول

منهج الإمام ابن تيمية في إثبات النبوة.

الفصل الأول : مفهوم النبوة .

المبحث الأول : تعريف النبوة و الرسالة ، و النبي و الرسول و العلاقة بينهما .

أولا : النبــوة و النبى فــى اللـــغــة

أصــل النبوة فــى اللــغة يــدور عــلى ثلاثــة معــان :-

١- الأول : " النبأ " وهو بمعنى الأخبار ، قال ابن منظور : " النبأ " الخبر ، و الجمع أنباء ، و إن لفلان نبأ : أى خبــرا و حكى عن الجوهرى أن " النبى " : المخبر عن الله " (١)

و ذكــر ابن فارس : أن " نبأ ... قياسه الإتيان من مكــان إلى مكان " و " من هذا القياس النبأ " : الخبر لأنه يــأتى من مكان إلى مكان ، و المنبىء : المخــبر " (٢) .

و قال الفيروز ابادى : "النبــأ محركة : الخبر ... و النبىء المخبر عن الله ، و ترك الهمز المختار جمعه أنبياء ، و نبــآء و أنباء ، و النبيئون ، و الاســـم : النبــوءة ، وتنبــأ ادعــاهــا " (٣) أى ادعى النبوة .

٢- الثــانى : " النبــوة او النباوة " بمعنى الارتفاع " .

قال ابن منظور : " وقيل النبى مشتق من النباوة و هى الشىء

---

(١) جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور : لسان العرب جـ١/١٦٢ ، مطبعة دار صادر و دار بيروت- ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .

(٢) ابــو الحسين احمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة جـ٥ / ٣٨٥ . ط٢ مصطفى الحلبى - ت / عبد السلام هارون .

(٣) الطاهر أحمد الزاوى : ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير ، و أساس البلاغة جـ٤ /٣٠٨ . دار الكتب العلمية - بيروت- ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩م

المرتفع (١) .

وقال ابن فارس: "نبو — بتسكين الباء — ....أصل صحيح يدل على ارتفاع الشيء عن غيره ....ويقال إن النبي — صلى الله عليه وسلم — اسمه من النَّبْوة — بتشديد النون المفتوحة وتسكين الباء — وهو الارتفاع ، كأنه مفضل على سائر الناس برفع منزلته (٢) .

وقال الفيروزآبادي : "ونبأ كمنع ، نبئا ونبوءا : ارتفع (٣).

٣ — الثالث : " النبي ، أو النبيء" : هو الطريق الواضح (٤) .

قال في اللسان : "والنبي الطريق الواضح (٥).

وقال في المعجم : " النبي الطريق (٦) بدون همز وبتشديد الياء .

وعلى ذلك فالنبي مأخوذ إما من النبأ وهو الخبر ، أو يكون مأخوذا من النبيء بالهمزة وسكون الباء ، أو النبوة أو النباوة بالواو وكلها بمعنى الإرتفاع والظهور ، وذلك لرفعة قدر النبي وظهور شأنه وعلو منزلته (٧).

وذكر القاضي عياض (ت ٥٤٤ هـ) أنه من النبأ بمعنى الخبر ، ولا يمنع أن يكون مأخوذاً من الرفعة ، فالمعنيان في حقه مؤتلفان (٨).

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ج١/١٦٣.
(٢) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ج٥/٣٨٥. ط٢ — الحلبي .
(٣) الطاهر أحمد الزاوى : ترتيب القاموس المحيط ج٤/٣٠٨ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) ابن منظور : لسان العرب ج١/١٦٤ .
(٦) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ج ٥/ ٣٨٥ .
(٧) انظر الشيخ عبد الرزاق عفيفي ،مذكرة التوحيد ص ٣٣، المكتب الإسلامي ط١ ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م . بيروت — لبنان .
(٨) انظر القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١/ ٢١٠، مطبعة محمد على صبح المدني واولاده بمصر.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية المعنيين السابقين في أصل اشتقاق النبي ، وهما :((النبأ بمعنى الخبر ، والنَّبوة بمعنى الارتفاع والعلو)) وبين أن الإنباء في عامة موارد استعماله أخص من مطلق الإخبار ، فهو يستعمل في الإخبار بالأمور الغائبة المختصة ، دون المشاهدة المشتركة ، واستدل على ذلك بآيات كثيرة ، كما في قوله تعالى (وأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ) . (١) (٢)

ثم ذكر المعنى الثاني وهو النبوة أي الارتفاع والعلو ، وبين انه داخل في المعنى الأول وهو الإنباء أو الاخبار ، وعلل ذلك بأن من أنبأه الله وجعله منبئا عنه فلا يكون إلا رفيع القدر عليا ، ثم قال : " وأما لفظ العلو فلا يدل على خصوص النبوة إذ كان هذا يوصف به من ليس بنبي ، بل يوصف بأنه الأعلى كما قال تعالى : (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ). (٣ ، ٤)

ويقول الكسائي : " النبي الطريق ، والأنبياء طرق الهدى (٥) .

قال أبو معاذ النحوي : سمعت أعرابيا يقول : من يدلني على النبي أي على الطريق (٦)

والنبي على وزن فعيل ، معلول الآخر ، وهو مهموز ، وقد زعم سيبويه أن الهمز في النبي لغة رديئة ، قال سيبويه : " ليس أحد من العرب إلا ويقول تنبأ مسيلمة بالهمز ، غير أنهم تركوا الهمز في النبي كما تركوه في الذرية

---

(١) سورة آل عمران / ٤٩ .
(٢) ابن تيمية : النبوات ص / ٢٢٢ .
(٣) سورة آل عمران / ١٣٩ .
(٤) ابن تيمية : النبوات ص / ٢٢٣ .
(٥) محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس جـ ١ / ٣٥٤ ، منشورات دار الحياة ـ بيروت لبنان ، بدون تاريخ .
(٦) انظر : ابن منظور : لسان العرب جـ ١ / ١٦٤ .

والبرية ، والخابية ، إلا أهل مكة ، فإنهم يهمزون هذه الأحرف ، ولا يهمزون غيرها ، ويخالفون العرب فى ذلك ، قال : والهمز فى النبىء لغة رديئة (١).

وقال الزجاج : " القراءة المجمع عليها فى النبيين والأنبياء طرح الهمزة ، وقد همز جماعة من أهل المدينة جميع ما فى القرآن من هذا (٢).

كما زعم الراغب الأصفهانى أن النبى بغير الهمز أبلغ من النبىء بالهمز ، لأنه ليس كل منبأ رفيع القدر والمحل ، وأورد عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : " لست بنبىء الله ولكن نبى الله " لما رأى أن الرجل خاطبه بالهمز ليغض منه (٣).

وهذا الكلام فيه نظر وبعضه مردود . أما المردود فهو الحديث الذى أورده عن النبى — صلى الله عليه وسلم — ولا يثبت ، وقد رده شيخ الإسلام ابن تيمية وسيأتى ذكر ذلك قريبا . وأما قوله : " ليس كل منبأ رفيع القدر والمحل " فينبغى أن يقيد أو يضاف إليه ما يوضحه ، فإن المنبأ إذا نبىء عن الله فهو رفيع القدر والمنزلة ، وإذا لم ينبأ عن الله بل نبىء من أى مصدر آخر للأنبياء فليس بلازم أن يكون رفيع القدر والمنزلة ، فتكون

(١) ابن منظور : لسان العرب جـ١/١٦٢.
(٢) نفس المصدر والصفحة .
(٣) قلت : وقد أورد هذا الحديث صاحب اللسان بقوله : " ألا ترى إلى قول سيدنا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقد قيل يا نبىء الله ، فقال : لا تنبر باسمى ، فانما أنا نبى الله ، وفى رواية : فقال لست بنبىء الله ولكنى نبى الله " جـ١/١٦٢.

العبارة هكذا : ليس كل منبأ رفيع القدر والمحل ، فإن كان منبأ عن الله لزم أن يكون رفيع القدر و المحل ، و إذا نبئ عن غير الله ، فلا يلزم أن يكون رفيع القدر و المحل ، وبذلك تستقيم العبارة ، و يتضح المعنى .

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية يبسط القول فى هذه المسألة بسطا وافيا ، مستعينا فى ذلك بأدلة قوية ، تقنع من وقف عليها بالتسليم لرأيه ، حيث يسوى بين لغة الهمز فى النبى ، وبين عدمه ، و يقرر أن اللفظين مشتركان فى الاشتقاق الأكبر ، بل إنه ذهب إلى أبعد من ذلك حيث قطع بأن النبى أصله الهمز ، وما كان أصله الهمز جاز تليين الهمزة فيه لكثرة استعماله ، فيقال نبئ ونبى عند كثرة الاستعمال ، أما ما كان آخر أصله علة ، كما فى على ووصى ، وولى ، فإنه لا يجوز أن يقال أن أصله مهموز ، فلا يقال علئ ، ولا وصئ ولا ولئ بالهمز ، وإليك كلامه بنصه ، قال :

"....... فعيل إذا كان معتلا أو مضاعفا جمع على أفعلاء ، بخلاف حكيم وحكماء ، وعليم وعلماء ، وهو من النبأ ، وأصله الهمز ، وقد قرئ به ، وهى قراءة نافع ، يقرأ النبئ ، ولكن لما كثر استعماله لينت همزته كما فعل مثل ذلك فى الذرية وفى البرية ..... وقراءة الهمز قاطعة بأنه مهموز ، وما روى عن النبى — صلى الله عليه وسلم — انه قال : "أنا نبى الله ولست بنبئ الله" فما رأيت له إسنادا لا مسندا ولا مرسلا ، ولا رأيته فى شئ من كتب الحديث ولا السير المعروفة ، ومثل هذا لا يعتمد عليه ، واللفظان مشتركان فى الاشتقاق الأكبر ، فكلاهما فيه النون والباء ، وفى هذه الهمزة وفى هذا

الحرف المعتل ، لكن الهمزة أشرف فإنها أقـــوى . . . . .
بخلاف المعتل فإنه لا يجعل همزة ، فلو كان أصله نبى مثل على ،
ووصى ، وولى ، لم يجز أن يقال بالهمز كما لا يقال علئ ، ووصئ
وولىء بالهمز وإذا كان أصله الهمز ، جاز تليين الهمزة وإن لـم
يكثر استعماله ، . . . وأيضا فإنه تصريفه انبأه ونبأ ، ينبـئ
وينبىء بالهمزة ، ولم يستعمل فيه نبا ينبو ، وإنما يقال هذا ينبـو
عنه ، والماء ينبو عن القدم إذا كان يجفو عنها ، ويقال النَّبْوة ،
وفى فلان نبوة عنا أى مجانبة ، فيجب القطع بأن النبى مأخوذ من
الإنباء لا من النَّبْـــوة (١) .

ومن هذا النص نرى مدى قوة الأدلة التى ساقها ابن تيمية
فى ترجيح أصل الهمز فى النبى خلافا لما ذهب إليه سيبويه وغيره
من أن الهمز فيه لغة رديئة .

وبإمعان النظر فى كلام شيخ الإسلام نجد أنه رجح الهمز
فى أصل اشتقاق النبى من وجوه :

١ ـ أنه من النبأ ، وأن النبأ أصله الهمـــزة .
٢ ـ أن قراءة نافع المدنى وهى متواترة قاطعة بأنه مهمـــوز .

---

(١) ابن تيمية : النبوات ص / ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

٣ ـ ان ما روى عن النبى ـ صلى الله عليه و سلم ـ أنه قال " أنا نبى الله و لست بنبىء الله " ليس له اسناد ، لا متصل و لا مرسل و ليس له أصل فى كتب الحديث ، و لا السير المعروفة وعليه فهو ليس بحديث أصلا ، و مثله لا يعتمد عليه ، و التواتر فى قراءة نافع ترد ذلك .

٤ ـ أن معنى العلو والارتفاع داخل فى المعنى الأول و هو النبأ بمعنى الخبر ، إذ أن العلو و الارتفاع بمجرده لا يدل على خصوص النبوة التى هى اصطفاء من الله و اختيار ، و قد يوصف بالعلو و الارتفاع من ليس بنبى ، اى يوصف بذلك النبى ، و غير النبى فلم يكن فى ذلك المعنى ما يميز به النبى عن غيره ، فدل ذلك على أن الإنباء و الإخبار عن الله متضمن للرفعة و العلو و الرفعة و العلو من مستلزمات الإنباء و الإخبار عن الله ، وهذا مما يرجح أن الأصل فيه هو الإنباء لا النبوة .

٥ ـ اشتراك اللفظين ـ النبىء ، و النبى ـ فى الاشتقاق الأكبر الذى هو أصل بنية الكلمة ، كما اتفقت على ذلك جميع المعاجم اللغوية، فكلاهما فيه النون و الباء ، و فى أحدهما الهمزة و فى الآخر حرف العلة إلا أن الهمزة أقوى و أشرف كما صرح بذلك شيخ الإسلام .

٦ ـ أن اللفظ الذى يكون آخره مهموزا يجوز أن تلين همزته فتصير حرف علة ، فيعبر عنه باللفظين ، وذلك بخلاف اللفظ المعتل

الآخر فانه لا يجعل همزة ، كوصى ، فلا يقال وصئ ، وولى فلا يقال ولئ ، وعلى لا يقال علئ .

٧ ـ أن تصريف النبى من أنبأ الرباعى ينبئ ، و من نبأ الثلاثى ينبئ كضرب يضرب و صرف يصرف ، و لم يستعمل فيه نبا ينبو ، فينبو بمعنى يجفو ، و فى فلان نبوة عنا أى مجانبة ، و ليس فى هذا من معنى النبوّة شئ .

فلهذه الوجوه السبعة التى تقدمت وجب القطع بأن النبى مأخوذ من الأنباء لا من النبوة .

و النبى سمى نبيا لأنه يجمع المعانى المذكورة كلها فهو ينبئ بخبر السماء ، و هو الرفيع المنزلة ا رتفع قدره لأنه شرف على سائر الخلق ، و هو الطريق الوحيد إلى مرضاة الله عز و جل و كلها راجعة إلى كونه ينبئ عن الله أمره و نهيه و أحكامه و حلاله و حرامه .

و قد اختلف العلماء فى النبى هل هو فعيل بمعنى فاعل أم بمعنى مفعول ؟

فمنهم من ذهب إلى أنه بمعنى اسم الفاعل و منهم من ذهب إلى اعتباره بمعنى اسم المفعول ، و منهم من جمع فيه المعنيين معا بالنظر إلى أصل الاشتقاق اللغوى .

وقد مال إلى الرأى الأول وهو اعتباره بمعنى اسم الفاعل العلامة الآلوسى فى تفسيره لقوله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ ...) (١) الآية فقال : " (الرسول) الذى أرسله الله تعالى لتبليغ الأحكام (النبى) الذى أنبأ الخلق عن الله تعالى ، فالأول تعتبر فيه الإضافة إلى الله تعالى (بقصد الرسول) والثانى تعتبر فيه الإضافة إلى الخلق " (٢) يعنى النبى .

وصرح بذلك الرأى ابن منظور فى اللسان عن ابن برى فقال : " قال ابن برى : صوابه أن يقول : فعيل بمعنى مفعل مثل نذير بمعنى منذر ، وأليم بمعنى مؤلم ، وفى النهاية : فعيل بمعنى فاعل للمبالغة " (٣).

وأما الرأى الثانى وهو إعتباره بمعنى اسم المفعول فقد ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية ورجحه فقال :

" .... فكذلك نبى الله هو بمعنى مفعول أى منبأ الله الذى نبأه الله ، وهذا أجود من أن يقال إنه بمعنى فاعل أي منبئ ، فإنه إذا أنبأه الله فهو نبى الله ، سواء أنبأ بذلك غيره أو لم ينبئه (٤).

وأما من ذهب مذهب الجمع بين المعنيين فقال : إنه فعيل بمعنى مفعول أى منبأ أى أن الله تعالى أطلعه على غيبه ، وأعلمه أنه نبيه

---

(١) سورة الاعراف / ١٥٧ .

(٢) السيد محمود أفندى الألوسى : روح المعانى جـ٩ / ٧٨ ، ٧٩ ـ دار الفكر ـ ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م .

(٣) ابن منظور : لسان العرب جـ ١ / ١٦٢ .

(٤) ابن تيمية : النبوات ص / ١٦٦ .

فيكون نبي منبأ ، فعيل بمعنى مفعول ، أو يكون مخبرا عما بعثه الله

تعالى به ، ومنبأ بما أطلعه عليه فعيل بمعنى فاعل .

وذكر ذلك القاضي عياض (١) ، وهو ما ذهب إليه أيضا

الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) صاحب المفردات ، وكذا الشمس

الأصفهاني (ت ٧٤٩ هـ) وأيد هذا الرأي الشيخ/عبد الرزاق عفيفي (٢) .

قال الراغب الاصفهاني : " ويصح أن يكون فعيلا بمعنى فاعل

لقوله تعالى (نَبِّئْ عِبَادِي (٣) - قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ) (٤) وأن يكون بمعنى

المفعول لقوله (نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ) (٥) .

والمتأمل في كلام الراغب يرى انه في قوله " بمعنى فاعل ... الخ "

يرى أنه قد لحظ في معنى النبي الإنباء المضاف إلى الخلق كما تقدم ذلك عن

الآلوسي ، فهو فاعل بهذا المعنى ، ولكن إنباء الله له بهذا الأمر (نَبِّئْ

عبادي) (٣) سابق على إنباء النبي للعباد ، فالمفعولية سابقة على الفاعلية

وكذلك يقال ، في قوله (قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ) (٤) فهو لا يكون منبئا للخلق إلا بعد

إنباء الله له وإعلامه بما ينبئ به عباده .

---

(١) الشفا جـ١/ ٢١٠ مطبعة محمد علي المدني ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م .

(٢) مذكرة التوحيد ص/ ٣٣ - المكتب الاسلامي
ط١ / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م . بيروت .

(٣) سورة الحجر / ٤٩ .

(٤) سورة ال عمران / ١٥ .

(٥) سورة التحريم / ٣ .

أما شمس الدين الأصفهانى فيرى أنه بمعنى مفعول إذا كان من النَّبْوة وهو ما ارتفع من الأرض ، ويكون فعيلا بمعنى فاعل إذا كان من النبأ وهو الخبر (١) .

والملاحظ أن الراغب جمع كلا المعنيين من أصل النبأ ، وكذلك فعل الشيخ عبد الرزاق عفيفى حين قال : " النبى : مشتق من النبأ بمعنى الخبر ، فإن كان المراد أنه يخبر أمته بما أوحى إليه فهو فعيل بمعنى فاعل وإن كان المراد ان الله يخبره بما اوحى اليه فهو فعيل بمعنى مفعول " (٢) .

فقوله : " ان كان المراد أنه يخبر أمته بما أوحى الله إليه فهو فعيل بمعنى فاعل " فإنه يرد عليه ما يرد على كلام الراغب الأصفهانى ، وهو أن النبى لا يخبر أمته ابتداء من عند نفسه ، وإنما هو يخبر بما أخبر به من قبل فسبق اخبارَه للأمة ، اخبارُ الله له فهو مخبَر (بفتح الباء) قبل أن يكون مخبِرا (بكسر الباء) .

غير أن الشمس الأصفهانى فى شرح مطالع الأنظار أرجع اسم المفعول إلى كونه من النَّبْوة وهى الارتفاع فيكون النبى فعيلا أى مرفوع القدر والمنزلة ، وذلك خلاف ما ذهب إليه تقى الدين ابن تيمية من أنه مأخوذ من النبأ ، لا من النَّبوة ، وقد ذكرنا كلامه آنفا فى أن الإنباء يتضمن الرفعة

---

(١) انظر ـ شمس الدين الاصفهانى : شرح مطالع الانظار على متن طوالع الانوار للقاضى عبد الله البيضاوى . (ت ٦٨٥ هـ) ص / ١٩٨ .

(٢) الشيخ عبد الرزاق عفيفى : مذكرة التوحيد . ص / ٣٣ ـ المكتب الاسلامى ط١ / ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

والعلو ، وأن المعنى الثاني داخل في المعنى الأول ٠

وقد ترجح لدى من مجموع ما سبق من الأقوال أن النبي فعيل بمعنى مفعول كما قال تقي الدين ابن تيمية ومن وافقه ، وذلك من وجهين :

الأول :
أنه يلاحظ في تعريف النبي في الاصطلاح كونه منبأ عن الله ، كما سيأتي تعريفه قريبا " إنسان أوحى إليه بشرع ٠٠٠٠٠٠٠ الخ فلأجل المساوقة ، وإثبات النسبة بين كل من المعنى اللغوي والاصطلاحي ينبغي أن يحمل النبي على أنه فعيل بمعنى مفعول ٠

الثاني :
أن النبي إنما يظهر امتيازه على سائر الخلق بكونه منبأ عن الله لا بكونه منبئًا للناس ، فامتيازه راجع إلى مقام التلقي عن الله أنباءه ، فالعلماء الوارثون للأنبياء هم من غير الأنبياء ومع ذلك فهم ينبئون الناس عن الله أوامره ونواهيه وأحكامه ، مثلهم في ذلك مثل الأنبياء في إبلاغ الامم ، وإنبائهم ، ولكنهم لم يكونوا منبئين عن الله تعالى ٠ وذلك مستفاد من قول شيخ الاسلام ، وقد تقدم قبل قليل ٠ وهو " ٠٠٠٠ فهو نبي الله سواء أنبأ بذلك غيره أو لم ينبئه ، فالذي صار به النبي نبيا أن ينبئه الله وهذا مما يبين ما امتاز به عن غيره " (١) ٠

---

(١) ابن تيمية : النبوات ص ١٦٦ ٠

ثانيا : الرسول في اللغة :

الرسول مفعول من أرسل الرباعي ، فهو مرسل بفتح السين ـ و يطلق الرسول في اللغة على ثلاثة معان :

الأول : الإرسال بمعنى التوجيه .

الثاني : بمعنى المتابعة .

الثالث : الانبعاث على التؤدة .

١ ـ أما إنه من الإرسال أي التوجيه فذلك واضح ، وبه فسر إرسال الله أنبياءه (١) و قد أرسل إليه أو وجه ، قال تعالى عن ملكة سبأ (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) (٢) .

و الاسم الرسالة ، و الرِّسالة ـ بكسر الراء وفتحها ـ (٣) ، و الرسول و الرسيل الأخيرة عن ثعلب و أنشد :

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم

بسر ، و لا أرسلتهم برسيل

وروى : برسول (٤) .

و الرسول يطلق على الرسالة ، يؤنث ويذكر ، ويطلق على المرسل و يستوي في رسول المذكر و المؤنث و الواحد و الجمع (٥) مثل عدو

---

(١) ابن منظور : لسان العرب جـ١١/ ٢٨٣ ـ مادة رسل و الزبيدي : تاج العروس جـ٧/ ٣٤٤ ـ مادة رسل .

(٢) سورة النمل / ٣٥ .

(٣) الطاهر الزاوي : ترتيب القاموس جـ٢/ ٣٣٨ .

(٤) ابن منظور : اللسان جـ١١/ ٢٨٣ .

(٥) الطاهر الزاوي : ترتيب القاموس المحيط جـ٢/ ٣٣٨ وانظر الراغب الاصفهاني : المفردات ص/ ١٩٥ .

وصديق (١) ، قال تعالى : (إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (٢) (٣) .

وقال أبو ذؤيب الهذلي :

ألكنى إليها وخير الرسو ل أعلمهم بنواحى الخبر (٤)

أراد خير الرسل ، فوضع الواحد موضع الجمع ، كقولهم : كثر الدينار والدرهم أى كثرت الدراهم والدنانير . (٥)

٢ ـ وأما المتابعة فيقول ابن الأنبارى : " أن الرسول معناه فى اللغة الذى يتابع أخبار الذى بعثه ، أخذاً من قولهم جاءت الأبل رسلا ، أى متابعة (٦) . قال تعالى : (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ، كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ ، فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ) (٧) . قال ابن عباس فى تفسير (تترا) يعنى " يتبع بعضهم بعضا . " (٨)

وقد أخذ هذا المعنى من قولهم : جاءت الإبل رسلا أى متابعة وقيل فى معنى المتابعة : " إن من يوحى إليه متابع للإخبار عن الله عز وجل ، فالرسول يتابع أخبار الذى بعثه ، أخذاً من قولهم السابق والذى ذكرناه عن ابن الانبارى .

---

(١) انظر : ابن منظور : لسان العرب (مادة رسل) .

(٢) سورة الشعراء / ١٦ .

(٣) انظر : ابن منظور لسان العرب مادة (رسل) .

(٤) قال فى اللسان : وقول الشعراء : ألكنى إلى فلان كن رسولى وتحمل رسالتى إليه " ابن منظور اللسان جـ ١/ ٤٨٥ ـ مادة " لوك " .

(٥) انظر : ابن منظور : لسان العرب مادة (رسل) .

(٦) ابن منظور لسان العرب جـ ١١/ ٢٨٤ و مادة (رسل) . والزبيدى تاج العروس جـ٧ / ٣٤٤ رسل) .

(٧) سورة المؤمنون / ٤٤ .

(٨) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ٣/ ٢٤٥ .

وقيل متابعة الاخبار يعنى سردها قال ابن منظور : (" ويقال هو يتابع الحديث اذا كان يسرده " (١) .

٣ ـ وأما الانبعاث على التؤدة : فقد قال الراغب الأصفهانى : " أصل الرسل الإنبعاث على التؤدة .... ومنه الرسول المنبعث .... والرسول يقال تارة للقول المتحمل ، وتارة لمتحمل القول والرسالة (٢) . قال : " وجمع الرسول رسل ، ورسل الله تارة يراد بها الملائكة ، وتارة يراد بها الأنبياء (٣)

ومن المعانى التى يطلق عليها الرسول ويراد بها الرسالة كما قال الراغب " القول المتحمل " قوله تعالى : (إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (٤) . أى إنا رسالة رب العالمين ، أى ذو رسالة رب العالمين ، كذا قاله أبو اسحاق " (٥) .

ومما ورد فى القرآن من أن الرسول بمعنى الملك والرسل بمعنى الملائكة قوله تعالى : (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ) (٦) أى جبريل ـ عليه السلام ـ قاله ابن عباس ، والشعبى و ميمون بن مهران ، والحسن ، وقتادة ، والربيع ابن انس ، والضحاك ، وغيرهم (٧) . وقوله تعالى : (إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ) (٨) . وقوله تعالى (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ ....) (٩)

---

(١) ابن منظور : لسان العرب جـ ٨ / ٣١ ـ مادة تبع .

(٢ ، ٣) الراغب الاصفهانى : المفردات ص / ١٩٥ .

(٤) سورة الشعراء / ١٦ .

(٥) ابن منظور : لسان العرب جـ ١١ / ٢٨٤ . (مادة رسل) ـ وانظر د / سلمان العايد ـ مجلة البيان العدد ٧ .

(٦) سورة التكوير / ١٩ .

(٧) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ ٤ / ٤٧٩ .

(٨) سورة هود / ٨١ .

(٩) سورة هود / ٧٧ .

وقوله تعالى (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ ......) (١) . وغيرها مـن الآيات .

أما ورود الرسل فى القرآن بمعنى الأنبياء ، قوله تعالى (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ....) (٢) . ، وقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ .....) (٣) .

وقد وردت بعض الآيات التى قد تحمل على رسله من الملائكة والإنس معا وذلك قوله تعالى : (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ .....) (٤) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " لكن الرسول المضاف إلى اللـــه إذا قيل رسول الله فهم من يأتى برسالة من الله من الملائكة والبشر كما قال (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ) (٥) ... " (٦) .

وقد قيل فى قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا) (٧) قيل عنى به الرسول وصفوة أصحابه ، فسماهم رسلا لضمهم إليه ، كتسميتهم المهلب

---

(١) سورة هود / ٦٩ .

(٢) سـورة ال عمران / ١٤٤ .

(٣) سورة المـائدة / ٦٧ .

(٤) سورة الانعام / ٤٨ ، و سورة الكهف / ٥٦ .

(٥) سورة الحج / ٧٥ .

(٦) ابن تيمية : النبوات ص ١٧٤ . دار الفكر .

(٧) سورة المومنـون / ٥١ .

و أولاده المهالبـة (١) .

ولا يمنع أن يكون الرسول جامعا لكل المعانى الثلاثة المتقدمة ، الإرسال ومتابعة الأخبار ، والانبعاث ، فهو قد بعثه الله تعالى بوجهه إلى عباده ليدعوهـم إليه ، وهو الذى يتابع الإخبار ويسردها عن الله وقد ورد فى القرآن الكريم ما يشهد لذلك ويدل عليه قال تعالى : (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ .....) (٢) ، وقال (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ....) (٣) ، وقال تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا الله واجتنبوا الطاغوت) (٤) ، وغيرهـا من الآيات فى ذلك .

ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية أن الإرسال اسم عام يتناول جميع ما أخبر الله تعالى عن إرساله فى القرآن الكريم ، كالملائكة والرياح والشياطين والنار . فيقـول :

" .... والإرسال اسم عام يتناول ارسال الملائكة ، وإرسـال الشياطين ، وإرسال الرياح ، وإرسال النار ، قال تعالى : (يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ) (٥) . وقال تعالى : (جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ ....) (٦)..... وقال تعالى : (هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) (٧) . وقال تعالى : (... أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ

---

(١) الراغب الاصفهانى : المفردات ص / ١٩٥ .

(٢) سورة البقرة / ١٢٩ .

(٣) سورة يونس / ٧٤ .

(٤) سورة النحل / ٣٦.

(٥) سورة الرحمن / ٣٥ .

(٦) سورة فاطر / ١ .

(٧) سورة الاعراف / ٥٧ .

عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) (١) .... وأما عموم الملائكة و الرياح و الجن فإن إرسالها لتفعل فعلا لا لتبلغ رساله ، قال تعالى : (..... اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) (٢) ...... " (٣) .

ثم إننا نجد أن شيخ الإسلام يفرق بين الإرسال الكوني ، و الإرسال الشرعي الديني فيقول . " .... وأما لفظ الإرسال فقال في الإرسال الكوني : (أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا) (٤) . وقال تعالى : (وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) (٥) . وقال في الديني : (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) (٦) ، وقال تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ) (٧) ، وقال تعالى : (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا ، شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا) (٨) . وقال تعالى : (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ) (٩) " (١٠) .

وبهذا يتبين لنا أن لفظ الإرسال من الألفاظ التي تحمل معنى كونيا قدريا ، و معنى آخر شرعيا دينيا مثل الأمر ، و الإرادة ، و القضاء و الإذن ، و التحريم ، و الكلام ، و الجعل (١١) ، و البعث (١٢) .

---

(١) سورة مريم / ٨٣ .
(٢) سورة الأحزاب / ٩ .
(٣) ابن تيمية : النبوات ص ١٧٤ .
(٤) سورة مريم / ٨٣ .
(٥) سورة الفرقان / ٤٨ .
(٦) سورة الأحزاب / ٤٥ .
(٧) سورة نوح / ١ .
(٨) سورة المزمل / ١٥ .
(٩) سورة الحج / ٧٥ .
(١٠) ابن تيمية : الفرقان بين أولياء الرحمن ، و أولياء الشيطان ص ١١٢ ـ المكتب الإسلامي ط ٥ / ١٤٠١ ـ بيروت ـ لبنان .
(١١) المصدر السابق .

ثالثا : النبى و الرسول فى الإصطلاح :

اختلف العلماء حول التعريف الإصطلاحى للنبى و الرسول .

أولا : رأى المعتزلة :

يرى المعتزلة أنه لا فرق بين النبى و الرسول ، فكل نبى رسول ، وكل رسول نبى . يقول القاضى عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) " اعلم انه لا فرق فى الاصطلاح بين الرسول و النبى " (١) ، و الدليل على ذلك عندهم أن الأنبياء يتميزون عن غيرهم بما يأتون به من المعجزات التى توجب أتباعهم و الرجوع إلى قولهم و فعلهم ، و هذا لا يوجد فيمن ليس برسول ، و ان كان يؤدى عن الله تعالى . (٢)

و قد رد المعتزلة على خصومهم الذين قالوا بالفرق بين النبى و الرسول و استدلوا بقوله تعالى : " وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ... " الاية (٣) و قالوا : " فصل القديم تعالى بين الرسول و النبى ، فيجب أن يكون أحدهما غير الآخر " (٤) .

رد المعتزلة عليهم و استخدموا فى الرد دليل الترادف فقالوا : أن الذى يدل على أن الرسول و النبى بمعنى واحد هو اتفاق الكلمتين فى المعنى " فهما يثبتان معا و يزولان معا فى الاستعمال حتى لو أثبت أحدهما ونفى الآخر لتناقض الكلام ، و هذا هو أمارة اثبات كلتى اللفظتين المتفقين

---

(١) القاضى عبد الجبار بن احمد الهمدانى : شرح الاصول الخمسة ص / ٥٧٧ - ٥٧٨ ، ت . د / عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة - القاهرة ط١ / ١٣٨٤هـ ١٩٦٥م .

(٢) القاضى عبد الجبار : المغنى جـ١٥ / ١٢ .

(٣) سورة الحج : / ٥٢ .

(٤) القاضى عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة ص/ ٥٧٨

فـى الفائدة ، وأما قوله : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ...) الآيـة (١) . فإنه لا يدل على ما ذكروه ، لأن مجرد الفصل لا يدل على اختلاف الجنسين ، ألا ترى أنه تعالى فصل بين نبينا وغيره من الأنبياء ثم لا يدل على أن نبينا ليس من الأنبياء ، وكذلك فإنه تعالى فصل بين الفاكهة وبين النخل والرمان ، ولم يدل على أن النخل والرمان ليسا من الفاكهة ، كذلك هنا " (٢) .

ولم يُسلّم للمعتزلة هذا الفهم ، بل عارضهم كثير من العلماء ، منهم الرازى (ت ٦٠٤ هـ) فرد عليهم بأن :

١ ـ قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى ..) الآية (٣) . هى حجة عند الجمهور كما نقل القاضى عبد الجبار نفسه وليست هى وحدها الدليل على ما ذهبوا إليه ، بل ينضم إليها أدلة أخرى سنوردها عند بيان رأيهم .

٢ ـ أن عطف النبى على الرسول فى الآية ، يقتضى مغايرة إحدى اللفظتين للأخرى ، كما هو معروف ومقرر عند أهل العلم .

٣ ـ أن قوله : " اللفظان يثبتان ويزولان معا فى الاستعمال حتى لو أُثبِتَ أحدهما ونُفِى الآخر لتناقض الكلام " ليس على إطلاقه ، فإن اللفظين يستلزم من إثبات أحدهما وهو (الرسول) إثبات الآخر وهو (النبى) من باب أولى ، ولا يلزم من نفيه أى نفى (الرسول)

---

(١) سورة الحج / ٥٢ .

(٢) القاضى عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة ص ٥٧٨ ، ت د / عبد الكريم عثمان ط١/ ١٣٨٤ ـ ١٩٦٥ م وهبة ـ القاهرة .

(٣) سورة الحج / ٥٢ .

نفى الآخر وهو (النبى) . وهذا ما يدل على اثبات علاقة العموم و الخصوص المطلق بين النبى و الرسول .

٤ ـ أما استدلاله بفصل نبينا عن الأنبياء ، و لا يدل على أنه ليس منهم ، فلا حجة فيه لانه عطف للخاص على العام ، فالعام يثبت معنى زائدا عن الخاص ، فإذا قلنا (أنبياء الله) ، دخل فيهم نبينا محمد ـ صلى الله عليه و سلم ـ ، و إذا قلنا (نبينا ـ صلى الله عليه و سلم ـ) لم يدخل فى الكلام باقى الأنبياء و كذلك يجاب على قوله بعطف النخل و الرمان على الفاكهة فالفاكهة عام يشمل النخل و الرمان و غيرهما زيادة عليهما ، بل يشمل جميع أصناف الفاكهة و أنواعها ، أما إذا قلت (نخل ورمان) فلا تدخل بقية الفاكهة فى ذلك ، و هكذا فى أية الحج ، فالرسول نبى و لكنه يحمل معنى زائدا على النبى ، فهو يتناول النبى و زيادة ، فالرسول نبى من باب أولى ، و لا يلزم أن النبى رسولا ، و هذه هى علاقة العموم و الخصوص المطلق ـ كما قدمنا ـ .

و لقد حكى الرازى فى تفسيره (١) عن المعتزلة أنهم لا يفرقون بين النبى و الرسول و ساق أدلتهم فقال : " ... و قالت المعتزلة كل رسول نبى ، وكل نبى رسول ، و لا فرق بينهما ، و احتجوا على فساد القول الأول (٢) بوجوه :

١ ـ هذه الآية قوله (و ما أرسلنا من قبلك من رسول و لا نبى إلا اذا

---

(١) الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ١٢/ ٥٠ ـ دار الفكر للطباعة و النشر ط١ ـ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م ـ بيروت ـ لبنان .

(٢) أى القول بالتفريق بين النبى و الرسول .

تمنى ..) الآية (١) . فإنها آية دالة على أن النبي قد يكون مرسلا ،
وكذا بقوله (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ ....) (٢) .

٢ ـ أن الله خاطب محمداً مرة بالنبي ، ومرة بالرسول فدل على أنه لا منافاة بين الأمرين ، وعلى القول الأول فالمنافاة حاصلة .

٣ ـ أنه تعالى نص على أنه خاتم النبيين .

٤ ـ أن اشتقاق لفظ النبي إما من النبأ وهو الخبر ، أو من قولهم نبا اذا ارتفع ، والمعنيان لا يحصلان إلا بقبول الرسالة . (٣)

ثم عقب الرازي عليهم برد كلامهم وابطاله فقال : " فاعلم أن شيئا من تلك الوجوه لا يبطله ، بل هذه الآية دالة عليه لأنه عطف النبي على الرسول ، وذلك يوجب المغايرة ، وهو من باب عطف العام على الخاص ، وقال في موضع آخر : (وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ) (٤) وذلك يدل على أنه كان نبيا فجعله الله مرسلا وهو يدل على قولنا " (٥) بالفرق بين النبي والرسول . وهكذا رأينا كلام الرازي في أن هذه الوجوه المتقدمة التي ساقها عن المعتزلة ولا واحدا منها كافيا لإبطال أدلة من قال بالتفريق ، ويضاف إلى ذلك أن قوله بأن الله تعالى خاطب محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرة بالنبي ومرة أخرى بالرسول فليس فيه ما يدل على مدعى المعتزلة من عدم الفرق إذ أن المعلوم أن نبينا محمدا ـ صلى الله

---

(١) سورة الحج / ٥٢ .

(٢) سورة الاعراف اية / ٩٥ .

(٣) الفخر الرازي : التفسير الكبير جـ ١٢ / ٥٠ . دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان ـ . ط١ / ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م .

(٤) سورة الزخرف / ٦ .

(٥) الفخر الرازي : التفسير الكبير جـ١٢ / ٥٠ .

عليه و سلم — نبى رسول ، فإذا خاطبه بالنبى فذلك حق ، ولا يلزم من ذلك أن يكون النبى رسولا وإن كان محمد رسولا .

وإذا خاطبه بالرسول فذلك أيضا حق وقد تضمن خطابه بالنبوة وكأنه قال : يا أيها النبى الرسول فان كان محمد رسولا فهو من باب أولى نبى ، والله تعالى يخاطبه فى كل موضع بما يناسبه من مقام الخطاب

وأما قوله بأن الله تعالى نص على أنه خاتم النبيين فهو كذلك لينبه بالأدنى على الأعلى ، فاذا ختم النبيون به فقد ختم به المرسلون أيضا ، فلا نبى بعده بل ولا رسول .

وأما قوله إن اشتقاق لفظ النبى إما من النبأ ، أو من نبا إذا ارتفع والمعنيان لا يحصلان إلا بقبول الرسالة ، قلنا هذا غير مسلم لأن النبى المنبأ من الله قد جمع بمجرد ذلك جميع المعانى التى اشتق منها اسمه ، وقد حصلت له الرفعة وعلو الشأن ، وان لم يحصل له الرسالة . وبذلك يظهر بطلان ما ذهبت إليه المعتزلة من عدم التفريق بين النبى والرسول ، وستأتى أدلة الجمهور على ذلك التفريق .

غير ان من المعتزلة أنفسهم من يرى رأى جمهور المسلمين فى التفريق بين النبى والرسول فقد ذكر صاحب شرح المقاصد سعد الدين التفتازانى ان بعض المعتزلة يفرق بين النبى والرسول فيقول : " وفى كلام بعض المعتزلة ان الرسول هو صاحب الوحى بواسطة الملك ، والنبى هو المخبر عن الله بكتاب أو إلهام أو تنبيه فى المنام " (١)

---

(١) سعد الدين التفتازانى : شرح المقاصد جـ٢/ ص ٨٧٣ .

كما أننا وجدنا أن أبا القاسم الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) ذهب إلى هذا الرأى أيضا ، فى تفسيره فقد قال فى تفسير قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ .....) الآية (١) . قال : " دليل بيّن على تغاير الرسول و النبى ...... و الفرق بينهما أن الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه ، و النبى غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب و إنما أُمِرَ أن يدعو الناس إلى شريعة من قبله " (٢) . فهذا كلام الزمخشرى المعتزلى و قد رأيته يفرق بين كل من النبى و الرسول خلافا للمعتـزلة .

ب) أما المثبتون للفرق بين النبى و الرسول فهم السلف ووافقهم فى ذلك الأشاعرة إلا أنه بين هـؤلاء وأولئك خلاف فى وجه الفرق بين النبى و الرسول و إليك كل رأى بادلته .

---

(١) سورة الحج /٥٢ .

(٢) أبو القاسم محمود الزمخشرى : الكشاف جـ٣/ ٣٧ . دار المعرفة — بيروت

ثانيا: رأى الأشـــاعـــرة :

ذكرنا فيما تقدم أن الرازى (ت٦٠٦هـ) قد أثبت الفرق بين النبى و الرسول عند ما عقب على كلام المعتزلة الذى حكاه فى تفسيره و أبطله .

و قد استدل الرازى على رأيه فى التفريق بأدلة منهـــا :ـ

(١) قـوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ .....) الآية (١) ووجه استدلاله من الآية هو أن النبى عطف على الرسول و هذا العطف يقتضى المغايرة فهو من باب عطف العام على الخاص .

(٢) قوله تعالى (كَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ......) (٢) و هذا يدل على أن النبى أرسل بعد أن لم يكن مرسلا فهو قبل أن يرسل نبى فقط ، فلما أرسله اللـه جعله نبيا رسولا .

(٣) استدل أيضا بحديث النبى ـ صلى الله عليه و سلم ـ الوارد فى عدد الأنبياء والمرسلين و الذى يثبت أن عدد الأنبياء أكثر من عدد المرسلين و أن المرسلين من الأنبياء . و ذلك بقوله : " و قيل لرسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ كـــم المـرسلون ؟ فقال : ثلاثمائة و ثلاثة عشرة ، فقيل : و كـم الأنبياء ؟ فقـــال مائة ألف وأربعة و عشرون ألفا الجم الغفير " (٣) .

والفرق بين النبي والرسول عند الرازى ان مـــن جاءه الملك ظاهرا وامره بدعوة الخلق فهـــو الرسول ، ومن لم يكن كذلك بل راى فى المنام كونه رســـولا

(١) سورة الحج / ٥٢ . (٢) سورة الزخرف / ٦

(٣) الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ١٢/ ٥٠ ، والحديث رواه الامام احمد فـــي المسند جـ٥ / ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٦٦ ، وله شواهد ، وذكره صاحب مشكاة المصابيح جـ٣/ ١٢٢ ، وصححه الشيخ محمد ناصر الدين الالباني في تحقيق المشـــكاة .

أو أخبره أحد من الرسل بأنه رسول الله فهو النبى الذى لا يكون رسولا ، قال : وهذا هو الأولى . (١) وعلى هذا القول الذى جعله الرازى هو الأولى لا يكون بين النبى والرسول عموم وخصوص مطلق ، كما ذكر هو نفسه من أن العطف فى الآية عطف العام على الخاص ، وإنما تكون العلاقة بينهما على ذلك علاقة تباين فليس الرسول نبيا وليس النبى رسولا . فالرسول عنده هو من يأتيه الملك ظاهرا يقظة فقط ، والنبى هو الذى يأتيه الوحى مناما مطلقا ولا حظ له فى أن يرى الملك حقيقة فى اليقظة ، وعلى هذا فالنبى وحيه وحى منامى فقط لا غير . بيد أننا لو ذهبنا نلتمس للفخر الرازى دليلا على ما ذهب إليه فلن نجد له دليلا يستند إليه ، وكل رأى لا يعضده دليل صحيح فهو رأى ساقط لا يعتمد به .

لذا يتضح لك مدى إضطراب الرازى فى تحديد العلاقة بين النبى والرسول وبيان وجه الفرق بينهما .

ومما يرد قول الرازى أيضا أن النبى إذا رأى نفسه فى المنام رسولا فهو نبى فى الواقع وليس برسول ، لم تكن رؤياه موافقة للواقع . ولم تكن حقا كرؤيا سائر الأنبياء أو حتى الناس الصالحين من غير الأنبياء فلم تعدو إلا أن تكون أضغاث أحلام .

ومن اللوازم الباطلة فى كلام الرازى أن الرسول الذى أخبره فى المنام بأنه رسول الله لا يكون صادقا إذ أن الواقع أنه نبى وليس رسولا . أو على الأقل إن لم يلزم كذب الرسول المخبر له فى المنام فيلزم جهله بما أخبره ، حيث كان يظنه رسولا وهو فى الحقيقة لا يعد وكونه نبيا .

ولضعف الرأى الذى ذهب إليه الرازى قال بعضهم :—

---

(١) الرازى : التفسير الكبير جـ١٢ / ٥٠ .

النبى من أوحى إليه بشرع و لم يؤمر بالتبليغ ، و الرسول من أوحى إليه بشرع و امر بالتبليغ . (١)

فالفارق بين النبى و الرسول على هذا الرأى هو الأمر بتبليغ ما أوحاه الله إليه ، فمن أمره الله بإبلاغ الشرع الذى أوحاه إليه فهو النبى الرسول و أما من لم يؤمر بالبلاغ فهو نبى فقط . و استدلوا على رأيهم بقوله تعالى (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ) الآية (٢) . إذ قالوا فى تأويل الآية المعنى : و ما أرسلنا من رسول إلى أمة ، أو نبى و ليس بمرسل إلى أحد (٣) كما استدلوا كذلك بالمدلول اللغوى للفظ النبى ، و لفظ الرسول ، حيث لفظ النبى من النبأ و هو الخبر ، و الرسول من البعث ، و التوجيه كما قدمنا .

و هذا الرأى أيضا يرد عليه كثير من الإعتراضات :

الأول : أن الله تعالى نص على إرسال الرسل و كذلك الأنبياء جميعا فى نفس الآية (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ .) فالرسل و الأنبياء مرسلون ، و الإرسال فى هذه الآية يعم النوعين (٤) . فحمل الإرسال على الرسل دون الأنبياء تخصيص بلا مخصص وبغير دليل بل هو خلاف ما دل عليه الدليل و هو هذه الآية السابقة .

الثانى : أن الله تعالى يقول (وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ) (٥) . و تقول

---

(١) محمد بن أحمد السفارينى : لوامع الأنوار البهية جـ١/ ٤٩ .
و إبراهيم الباجورى : شرح جوهرة التوحيد ص/ ١٧ .
و على بن على بن أبى العز الحنفى : شرح العقيدة الطحاوية ص/ ١٦٧ ط ٦/ ١٤٠٠ هـ — الكتب الاسلامى .
و انظر أيضا : أبوعبد الله الحسين بن حسن الحليمى الأشعرى : كتاب المنهاج فى شعب الإيمان جـ١ / ٢٣٩ .

(٢) سورة الحج / ٥٢ .

(٣) القاضى عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى جـ١ / ٢٥١ بحاشية مزيل الخفا- دار الكتب العلمية — بيروت — لبنان — بدون تاريخ . انظر : ابن جرير : جامع البيان جـ ١٧/ ١٨٩ .

(٤) ابن تيمية : النبوات ص ١٧٣ .

الملائكة : (﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾) (١) . والرحمة من معانيها النبوة .

قال تعالى (﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾) (٢) .

قال الشوكاني : " يعني النبوة ... " (٣) . وقال تعالى : (﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً﴾ ...) (٤) . قال الشوكاني : " قيل الرحمة النبوة " (٥) . وقال أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله (﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾) قال : أعطيناه الهدى والنبوة (٦) .

وفي ترك البلاغ من قبل النبي والإنذار كتمان لرحمة الله وتضييق لها ، وتحجير لواسعها ، وجحد لنعمة الله التي أمر نبيه أن يحدث بها (﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾) (٧) .

وأعظم رحمة ، وأكبر نعمة هي رحمة الهداية ، ولم يثبت بقول صريح في نص صحيح أن الله أختص نبيا من الأنبياء وأوحى إليه وحيا ، وقال له : هذا لك خاصة لا يشركك فيه الناس . (٨)

الثالث : أن نصوص القرآن والسنة تبين أن الأنبياء كانوا يقاتلون في سبيل الله

---

(١) سورة غافر / ٧ .

(٢) سورة الزخرف / ٣٢ .

(٣) محمد بن علي الشوكاني : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير جـ٤/ ٥٥٤ الناشر محفوظ العلي ـ بيروت . بدون تاريخ .

(٤) سورة الكهف / ٦٥ .

(٥) محمد بن علي الشوكاني : فتح القدير جـ٣/ ٢٩٩ .

(٦) الشوكاني : فتح القدير جـ٣/ ٠٠هـ وانظر الشنقيطي : أضواء البيان في ايضاح القران جـ٤/ ١٥٨ في الكلام على الخضر عليه السلام .

(٧) سورة الضحى : / ١١ .

(٨) د / سليمان العايد مقالة بعنوان (النبي والرسول) مجلة البيان . العدد ٧ أغسطس ١٩٨٧م . ص / ١٩ . بتصرف يسير .

والقتال من أكبر وأعظم واجبات الدعوة والتبليغ ، قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... ﴾ (١) .

وقال تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ... ﴾ الآية (٢)

وقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — " غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما يبن ، ولا آخر قد بنى بنيانا ولم يرفع سقفها ، ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو منتظر ولادها قال : فغزا ، فأدنى للقرية حين صلاة العصر ، أو قريبا من ذلك ، فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها على شيئا .... " الحديث (٣) .

وهذا النبي الذي ذكر في الحديث هو يوشع بن نون — عليه السلام — وهو ليس برسول ، وقد بلغ وحي الله وغزا في سبيله (٤) .

---

(١) سورة البقرة / ٢٤٦ — ٢٥٢ .

(٢) سورة المائدة / ٤٤ .

(٣) الحديث رواه الشيخان وغيرهما وهذا اللفظ من صحيح مسلم ...
صحيح البخاري — كتاب فرض الخمس — باب احلت لكم الغنائم وكذلك في كتاب النكاح باب من احب البناء قبل الغزو .
انظر صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري جـ٦ / ٢٢٠ ، جـ٩ / ٢٢٣ .
ورواه مسلم — كتاب الجهاد والسير — باب تحليل الغنائم لهذه الامة خاصة

صحيح مسلم جـ٣ / ١٣٦٦ .

ورواه الامام احمد في مسنده جـ٢ رقم / ٣١٨ .

(٤) قال ابن حجر : " وهذا النبي هو يوشع بن نون كما رواه الحاكم من طريق =

الرابع : أن البخارى قد روى و مسلما أيضا من حديث ابن عباس أنه قال : قال النبى — صلى الله عليه و سلم — " عرضت على الأمم ، فأخذ النبى يمر معه الأمة و النبى يمر معه النفر ، النبى يمر معه العشرة ، و النبى يمر معه الخمسة ، و النبى يمر وحده ، فنظرت فإذا سواد كثير ، قلت يا جبريل هؤلاء أمتى ؟ قال لا ، و لكن انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سواد كثير ، قال هؤلاء أمتك ، و هؤلاء سبعون ألفا قدامهم لا حساب عليهم و لا عذاب ... " الحديث (١) . و اللفظ للبخارى .

فهذا الحديث يدل على تفاوت الإجابة من الأمم ، و هذا لا يكون إلا بعد دعوة من الأنبياء لأممهم ، فهو كالعزاء للرسول محمد — صلى الله عليه و سلم — لقلة من أجابه من الناس و آمن به ، و هو تبشير له كذلك . فناسب عرض الأمم السابقة ، و كأن الحديث يقول :

=كعب الاحبار ، و بين تسمية القرية كما سيأتى و قد ورد من طريق مرفوعة صحيحة أخرجها أحمد من طريق هشام عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله — صلى الله عليه و سلم — " أن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع بن نون ليالى سار إلى بيت المقدس " . هـ . (انظر : ابن حجر : فتح البارى جـ٦ / ٢٢١ .)

(١) رواه البخارى : كتاب الرقاق — باب : يدخل الجنة سبعون ألفا بغير حساب ، ط السلفية — دار الفكر .
ورواه مسلم : كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب و لا عذاب ، حديث رقم (٣٧٤) صحيح مسلم — ت : محمد فؤاد عبد الباقى جـ١ / ١٩٩ — دار إحياء التراث العربى — بيروت ط بدون تاريخ .

إن هؤلاء الأنبياء الذين سبقوك على ما بذلوه من جهد كبير فى الدعوة ، و منهم من لم يؤمن به أحد — أنت أكثر منهم تابعا و أعظم منهم أمة . (١)

فإن قيل إن هذا الدليل لا يدل على كون الذين عرضوا على الرسول — صلى الله عليه و سلم هم الأنبياء دون المرسلين ، و إنما يحتمل أن يكون هؤلاء الذين عرضوا عليه هم المرسلون .

و يجاب عن ذلك بأن الحديث إذا كان من المحتمل أنه لا يتناول إلا المرسلين فقط ، فإنه من المحتمل أيضا أن يستغرق الأنبياء معهم ، سيما و أن لفظ الحديث يقول : " فأخذ النبى يمر معه الأمة و النبى ... و النبى ... " الخ و لفظة النبى — تشمل النبى و الرسول معا ، و هو المطلوب .

ثم إن هذا الحديث لا يستدل بمفرده على المقصود ، وإنما هو دليل ينضاف إليه غيره من الأدلة السابقة و التى تليه .

الخامس: أن أتباع الأنبياء و هم العلماء ، و هم لا يوحى إليهم — مطالبون بالتبليغ ، و الدعوة ، و الجهاد ، فكيف بالأنبياء و هم أفضل ، و قد اختصهم الله تعالى بالوحى ، قال تعالى : (قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ...) (٢) .

و قال تعالى (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ، وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ) (٣) .

---

(١) د / سليمان العايد — النبى و الرسول " مجلة البيان بتصرف موسع فى العبارة العدد ٢ اغسطس (١٩٨٧) م .

(٢) سورة يوسف / ١٠٨ .

(٣) سورة فصلت / ٣٣ .

وقال تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ...) الآية (١) .

وقال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) (٢) .

وقال - صلى الله عليه وسلم - " بلغوا عني ولو آية " (٣) .

وقال : " فليبلغ الشاهد الغائب فإنه رب مبلغ يبلغه من هو أوعى له " (٤) .

وقال - عليه الصلاة والسلام - " من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار " (٥) .

وقال - صلى الله عليه وسلم - " لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم " (٦) . وقال أيضا " من مات ولم يحدث نفسه

---

(١) سورة ال عمران / ١٨٧ .

(٢) سورة البقرة / ١٥٩ .

(٣) رواه البخاري : كتاب الانبياء ، باب رقم (٥٠) ما ذكر عن بني إسرائيل جـ٦/ ٤٩٤ - دار الفكر - الطبعة السلفية .

(٤) البخاري : كتاب الفتن ، باب رقم (٨) قوله - صلى الله عليه وسلم " لا ترجعوا بعدي كفارا " جـ ١٣/ ٥٢٦ وكتاب الحج باب رقم (١٣٢) الخطبة أيام منى جـ٣/ ٥٧٣ . والترمذي - كتاب العلم - باب رقم (٧) ما جاء في الحث على تبليغ السماع جـ٥/ ٣٣ . ط الحلبي .
وروى بعضه مسلم جـ٣/ ١٣٠٦ . باب تغليظ تحريم الدماء والأموال - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي ط = ١ - ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م .

(٥) الترمذي : كتاب العلم ، باب رقم (٣) ما جاء في كتمان العلم جـ ٥ / ٥٩ وأحمد جـ٢/ ٤٩٥ ، ٤٩٩ ، ٥٠٨ ، ابن ماجة في المقدمة ٣٤ . قال ابن كثير في تفسيره جـ١/ ٢٠٠ : وقد ورد في الحديث المسند من طرق يشد بعضها بعضا عن أبي هريرة وغيره أن النبي - صلى الله عليه وسلم قال : وذكره " .

(٦) متفق عليه . قد رواه البخاري ، كتاب الجهاد ، باب رقم (١٠٢) =

يغزو مات على شعبة من النفاق " (١) .

فلما وردت تلك الإعتراضات على الرأى السابق — قال بعضهم أن الرسول من أوحى إليه بشرع جديد ، والنبى من لم يوح إليه بشرع جديد ، وإن أمر بالبلاغ والإنذار . (٢)

وقد ضرب أصحاب هذا الرأى صفحا عن مسألة الأمر بالبلاغ والإنذار فى التفريق وتعلقوا بكونه الرسول مرسلا بشرع جديد وكتاب منزل عليه دون النبى وإن كان كل منهما مأمورا بالبلاغ والإنذار .

وهذا الرأى لأول وهلة لا دليل عليه إلا عملية استقراء للأنبياء والمرسلين والتى خرجوا منها بهذا الرأى .

وهو رأى منقوض بمثل رسول الله يوسف — عليه السلام — فقد كان رسولا وكان على ملة ابراهيم ، قال تعالى (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ...) (٣) . (٤) .

= ورواه مسلم — انظر صحيح مسلم — ت / محمد عبد الباقى جـ٤ / ١٨٧٢ كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل على بن أبى طالب .

(١) مسلم : تحقيق / محمد عبد الباقى جـ٣ / ١٥١٧ كتاب الإمارة — باب ذم من مات ولم يغزو النسائى : كتاب الجهاد — باب التشديد فى ترك الجهاد جـ٦ / ٨ ت / عبد الفتاح أبو غده ط ١ ، بيروت ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م . أبو داود كتاب الجهاد ، وأحمد جـ٢ / ٣٧٤ .

(٢) انظر : القاضى عياض — الشفا جـ١ / ٢٥١ . والألوسى : روح المعانى جـ١٧ / ١٧٣ انظر الرازى : التفسير الكبير جـ١٢ / ٥٠ وهذا الرأى هو الذى اختاره د / عمر سليمان الأشقر فى كتابه القيم الرسل والرسالات ص / ١٥ مكتبة الفلاح — الكويت ط٣ / ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م .

(٣) سورة غافر / ٣٤ .

(٤) انظر : ابن تيمية : النبوات ص / ١٧٣ ، والعبارة بتصرف من د / سليمان العايد : مجلة البيان العدد / ٧ ذو الحجة ١٤٠٧ هـ .

وكذلك داود وسليمان كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة . قال تعالى : (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ، وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ، وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا) (١) .

قال الرازى : "الثانى : أن من كان صاحب المعجزة وصاحب الكتاب ونسخ شرع من قبله فهو الرسول ، ومن لم يكن مستجمعا لهذه الخصال فهو النبى غير الرسول ، وهؤلاء يلزمهم ألا يجعلوا إسحاق ويعقوب وأيوب وهارون وداود وسليمان رسلا ، لأنهم ما جاءوا بكتاب ناسخ " (٢) . وعلى ذلك فهذا الرأى أيضا لا يستقيم حيث قد أخرج مجموعة من الرسل نص عليهم القرآن على أنهم رسل كما تقدم .

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وليس من شرط الرسول أن يأتى بشريعة جديدة فإن يوسف كان رسولا وكان على ملة إبراهيم وداود وسليمان كانا رسولين وكانا على شريعة التوراة ..... " (٣) .

ومحصل القول أن كلام الأشاعرة فى التفريق بين النبى والرسول صحيح ، وهو موافق لرأى السلف للأدلة التى تقدمت ، غير أن كلامهم فى وجه الفرق بين النبى والرسول كلام مردود لما سبق بيانه من الإعتراضات واللوازم الباطلة .

---

(١) سورة النساء ١٦٣ / ١٦٤ . انظر : ابن تيمية : النبوات / ١٧٣ .

(٢) الرازى : التفسير الكبير جـ١٢ / ٥٠ .

(٣) ابن تيمية : النبوات ص ١٧٣ . دار الفكر . بدون تاريخ .

و هناك أقوال عديدة في التفريق بين النبي و الرسول عند الأشاعرة أيضا : —

فقد قيل " إن كل من نزل عليه الوحي من الله تعالى على لسان ملك من الملائكة ، وكان مؤيدًا بنوع من الكرامات الناقضة للعادات فهو نبي ، و من حصلت له هذه الصفة و خص أيضا بشرع جديد أو بنسخ بعض أحكام شريعة كانت قبله فهو رسول " (١) .

و قيل إن الرسول من بعثه الله بشريعة جديدة يدعو الناس إليها ، و النبي يعمه ، و من بعثه لتقرير شرع من قبله كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى — عليهما السلام — فالنبي على هذا الرأي اعم من الرسول ، و يدل عليه أنه — صلى الله عليه و سلم — سئل عن عدد الأنبياء فقال : " مائة ألف و أربعة وعشرون ألفا ، الرسل من ذلك ثلاثمائة و خمسة عشر جما غفيرا " (٢) .

و قيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه ، و النبي غير الرسول من لا كتاب له . (٣) .

وقيل : الرسول إنسان بعثه الله تعالى لتبليغ ما أوحى اليه ، و خص بشريعة وكتاب أو نسخ بعض أحكام الشريعة السابقة ، والنبي هو

---

(١) عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٣٤٢ ت : محمد محي الدين عبد الحميد . دار المعرفة — بيروت — لبنان بدون تاريخ . و انظر كذلك اصول الدين له ص ١٥٤ .

(٢) رواه أحمد جـ٥/ ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢٦٦ ، وله شواهد ، وذكره صاحب مشكاة المصابيح جـ٣/ ١٢٢ ، وصححه الالباني في تحقيق المشكاة . سيأتي تخريجه مفصلا في ص / ٨٤ .

(٣) حاشية شرح العقائد النسفية ص ٣١ .

المختص بسماع وحي من الله ولم يؤمر بالتبليغ ، فالرسول إذن أخص من النبي مطلقا ، فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا . (١)

وقد وجه إلى هذه التعريفات جملة من الإعتراضات ، وضحنا أهم هذه الإعتراضات فيما تقدم .

---

(١) شرح المقاصد : جـ٢ / ١٧٣ . شرح العقائد النسفية ص/ ٣١ .

ثالثا : رأى علماء السنة :ـ

وإذا كان هذا هو ما ذهب إليه الأشاعرة ، فما هو رأى علماء السلف فى المسألة ؟؟ إننا إذا ذهبنا نستقصى آراء علماء السلف فى ذلك فإننا نجدها لم تتفق اتفاقا كاملا فى وجه الفرق بين النبى والرسول ، ولذا فاننا نعرض لبعض الآراء المشهورة ثم نختار منها الرأى الذى نراه فى نظرنا هو الأرجح والأقرب إلى الحقيقة .

فمن علماء السلف من ذهب إلى أن الفرق بين النبى والرسول هو كون الرسول أمر بالتبليغ والنبى لم يؤمر ، وهذا الرأى قد أثبتناه آنفا حكاية عن الأشاعرة ومن وافقهم . وممن قال بهذا الرأى من أئمة السلف ابن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ) وابن القيم (ت ٧٥١ هـ) وابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) وشارح الطحاوية (ت ٧٩١ هـ) والسفارينى (ت ١١٨٨ هـ) ومنهم من ذهب إلى أن الفرق هو كون الرسول مرسلا إلى مخالفين أى كفار والنبى مرسل الى موافقين بما يدعوهم إليه ، وأن الإرسال والبلاغ يعم النوعين ، وهو الرأى الذى ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وفيما يلى كل رأى على التفصيل :

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ) فى تفسير قوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ...) الآية (١) .

---

(١) سورة الحج / ٥٢ .

قال :

" .... فتأويل الكلام و لم يرسل يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم ، و لا نبى محدث ليس بمرسل إلا إذا تمنى .... " إلخ (١) .

و يفهم من كلام الطبرى هذا أنه يجعل الفرق بين النبى و الرسول كالفرق عند الأشاعرة ، بأن الرسول من أمر بالتبليغ ، وأن النبى هو المنبأ أو المحدث دون أمره بالبلاغ فالنبى عنده غير مرسل .

وقال ابن القيم (ت ٧٥١ هـ) : " وكذلك اختياره سبحانه للأنبياء من ولد ادم ـ عليه الصلاة و السلام ـ وهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا و اختياره الرسل منهم و هم ثلاثمائة وخمسة عشر على ما فى حديث أبى ذر الذى رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه . (٢)

و اختياره أولى العزم منهم

---

(١) ابن جرير الطبرى : جامع البيان . جـ١٧ / ١٨٩ ط ٣/١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨ م . شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابى الحلبى ـ بمصر

(٢) قال : شعيب الارنووط وعبد القادر الأرنووط ، محققا كتاب " زاد المعاد " : اخرجه احمد فى المسند ١٧٨/٥ ، ١٧٩ وفى سنده ثلاثة ضعفاء ، و اخرجه ابن حبان رقم (٩٤) مطولا و فى سنده إبراهيم بن هشام الغسانى ، قال ابو حاتم وغيره : كذاب ، وأخرجه أحمد ٥/ ٢٦٥ ، ٢٦٦ من حديث أبى أمامة و فى سنده ثلاثة ضعفاء أيضا " قلت : قال العلامة الألوسى فى روح المعانى : وزعم ابن الجوزى أنه موضوع ، و ليس كذلك ، نعم قيل فى سنده ضعف جبر بالمتابعة " روح المعانى جـ ١٧/ ١٧٢ ـ دار الفكر ط ١٣٩٨هـ/١٩٧٨ وقال : محققا زاد المعاد :وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٢٦٢/٢ من حديث أبى أمامة أن رجلا قال : يا رسول الله : أنبى كان آدم ؟ قال : نعم معلم و مكلم "قال : كم بينه وبين نوح ؟ قال : عشرة قرون " قالوا : يا رسول الله كم كانت الرسل ؟ قال : ثلاثمائة و خمس عشرة جما غفيرا =

وهـم خمسـة (١) .

وقال : " فصل فى مراتب المكلفين فى الدار الاخرة ،

وطبقاتهم فيها ، وهم ثمان عشرة طبقة .

الطبـقة الاولـى : وهى العليا على الإطلاق مرتبة الرسالة ، فأكرم الخلق على الله وأخصهم بالزلفى لديه رسله ..." (٢) .

قال :" وأعلاهم منزلة أولوا العزم منهم المذكورين فى قوله تعالى (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ...) (٣) . وهؤلاء هـم الطبقـة العليـا (٤) .

الطبـقة الثـانية : من عداهم من الرسل على مراتبهم من تفضيلهم بعضهم علـى بعض .

الطبـقة الثـالثة : الذين لم يرسلوا إلى أممهم وإنما كانت لهم النبوة دون الرسالة ، فاختصوا عن الأمة بايحاء الله لهم وإرساله ملائكته إليهم ، واختصت الرسل عنهم بإرسالهم إلى الأمة يدعونهم إلى الله بشريعته وأمره واشتركوا فى الوحى ونزول الملائكة عليهم " (٥) .

= سنده صحيح على شرط مسلم كما قال الحاكم ووافقه الذهبى ١٠هـ من هامش زاد المعاد جـ١ / ٤٣ ، وذكر الحديث صاحب مشكاة المصابيح ، وصححه الألباني في تحقيقها جـ٣/ ١٢٢

(١) ابن القيم زاد المعاد فى هدى خير العباد جـ١/ ٤٣ ت: شعيب الارنووط وعبد القادر الارنووط — موسسة الرسالة ط ٣/ ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م .

(٢) ابن القيم : طريق الهجرتين وباب السعادتين ص ٣٤٩ — ط ١/ ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م . دار الكتب العلمية — بيروت .

(٣) سـورة الشورى / ١٣ .

(٤) ابن القيم : طريق الهجرتين ص/ ٣٥٠ .

(٥) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة .

وإننا لنجد أن ابن القيم قد اتفق رأيه مع رأى ابن جرير الطبرى ـ الذى تقدم ذكره ـ فى التفريق بين النبى والرسول ، فإنا رأيناه قد أثبت أولا الفرق بينهما ثم جعل وجه الفرق أن الرسول أرسل للبلاغ ، وأن النبى إنما اختص عن الأمة بالوحى وإرسال الله ملائكته إليه ، والرسول اختص عن النبى بإرساله إلى الأمة يدعوهم إلى الله بشريعته وأمره ، وعلى ذلك فالإرسال لا يعمهما وكان اشتراك النبى والرسول فى الوحى ونزول الملائكة يعنى فى النبوة ، ثم اختص الرسول وحده بالبلاغ والإنذار .

كما أننا نرى ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) يميل إلى ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ...) الآية (١) .

قال : " هذه الآية نص فى أنه لا نبى بعده ، وإذا كان لا نبى بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأحرى ، ولأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة ، فإن كل رسول نبى ولا ينعكس . (٢)

فابن كثير يقرر فى ذلك أن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة مطلقا ، وأن الرسالة تشمل النبوة وزيادة ، بخلاف النبوة فإنها لا تشمل الرسالة .

وهذا المعنى هو معنى كلام شارح الطحاوية على بن على بن محمد بن أبى العز الحنفى (ت ٧٩٢ هـ) حيث يقول : " وقد ذكروا فروقا بين النبى والرسول ، وأحسنها : أن من نبأه الله بخبر السماء إن أمره أن يبلغ غيره فهو نبى رسول وإن لم يؤمر أن يبلغ غيره ، فهو نبى وليس برسول فالرسول أخص من النبى ، فكل رسول نبى ، وليس كل نبى رسولا ، ولكن الرسالة أعم من

---

(١) سورة الأحزاب / ٤٠ .
(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ٣ / ٤٩٣ . دار إحياء التراث العربى ـ بيروت ـ ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩ م .

جهة نفسها ، فالنبوة جزء من الرسالة إذ الرسالة تتناول النبوة و غيرها بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء و غيرهم ، بل الأمر بالعكس فالرسالة أعم من جهة نفسها و أخص من جهة أهلها " (١) .

و يتابع العلامة السفارينى هذا الرأى أيضا و يقرره ، فنجده يعرف النبى فيقول : " هو إنسان أوحى إليه بشرع و إن لم يؤمر بتبليغه فإن أمر بتبليغه فهو رسول أيضا على المشهور ، فبين النبى و الرسول عموم و خصوص مطلق فكل رسول نبى و ليس كل نبى رسولا " (٢) .

و هكذا يذهب كثير من السلف مذهب الجمهور فى التفريق بين النبى و الرسول ، و لكنه يرد عليه نفس الإعتراضات الخمسة التى رددنا بها هذا الرأى عند تقريرنا لمذهب الأشاعرة فيما تقدم .

و لذا فإننا نجد لشيخ الإسلام ابن تيمية رأيا فذا فى ذلك لم يسبق إليه ، و هو يسلم أيضا من الإعتراضات الواردة على ما تقدم من الآراء .

---

(١) على بن على بن محمد بن ابى العز الحنفى : شرح العقيدة الطحاوية ص / ١٦٧ ط ٦ - ١٤٠٠ هـ - بيروت - المكتب الاسلامى .

(٢) محمد بن أحمد السفارينى : لوامع الأنوار البهية جـ١ / ٤٩ ، منشورات مؤسسة الخافقين - و مكتبتها محمد سعيد الخيمى ، دمشق .

رأى شيخ الإسلام ابن تيمية :

لقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن الرسول هو من يبعث إلى مخالفين أى إلى قوم كافرين ، فيدعوهم إلى الإسلام ، والنبى هو من يرسل إلى موافقين يقيم فيهم حكم الله الذى يعرفونه ويؤمنون به ، ولم يشترط كون الرسول مبعوثا بشرع جديد أو أنزل عليه كتاب ، وله على ذلك أدلة قوية من القرآن والسنة وأقوال الصحابة ، فقد قال " النبى هو الذى ينبئه الله ، وهو ينبئ بما أنبأ الله به ، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول ، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبى وليس برسول ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ (١) . وقوله ﴿ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ فذكر إرسالا يعم النوعين ، وقد خص أحدهما بأنه رسول ، فإن هذا هو الرسول المطلق الذى أمر بتبليغ رسالته إلى من خالف الله كنوح ، وقد ثبت فى الصحيح أنه أول رسول (٢) بعث إلى أهل الأرض ، وقد كان قبله أنبياء كشيث وإدريس وقبلهما آدم كان نبيا مكلما ، قال ابن عباس : " كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام " فأولئك الأنبياء يأتيهم وحى من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم لكونهم مؤمنين بهم ، كما يكون أهل الشريعة الواحدة يقبلون ما يبلغه العلماء عن الرسول وكذلك أنبياء بنى إسرائيل يأمرون بشريعة التوراة وقد يوحى إلى أحدهم وحى خاص فى قصة معينة ولكن كانوا فى شرع التوراة كالعالم الذى يفهمه الله فى قضية معنى يطابق القرآن كما فهم الله سليمان حكم القضية التى حكم فيها هو

---

(١) سورة الحج / ٥٢ .

(٢) من رواية البخارى ـ كتاب الانبياء (٦٠) باب (٣) قول الله عز وجل : (ولقد ارسلنا نوحا الى قومه) هود / ٢٥ .

وداود (١) فالأنبياء ينبئهم الله فيخبرهم بأمره ونهيه وخبره وهم ينبئون المؤمنين بهم ما أنبأهم الله به من الخبر والأمر والنهي ، فإن أرسلوا إلى كفار يدعونهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له ، ولا بد أن يكذب الرسل قوم قال تعالى : (كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) (٢) . وقال : (مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ) (٣) فإن الرسل ترسل إلى مخالفين فيكذبهم بعضهم ، وقال : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) (٤)

ثم قال : فقوله : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ) دليل على أن النبي مرسل ، ولا يسمى رسولا عند الإطلاق لأنه لم يرسل إلى

---

(١) يشير إلى قوله تعالى عن داود وسليمان (وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ۝ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ....) الآية ٧٩ من سور الأنبياء . قال ابن كثير : قال ابن جرير — وساق سنده — عن ابن مسعود في قوله (وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ...) الآية قال كرم قد أنبتت عناقيده فأفسدته قال فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم ، فقال سليمان : غير هذا يا نبي الله ، قال وما ذاك ؟ قال : تدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها ، حتى إذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم إلى صاحبه ودفعت الغنم إلى صاحبها فذلك قوله (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ) اهـ ابن كثير / تفسير القرآن العظيم ج ٣ / ١٨٦ — دار إحياء التراث العربي — بيروت ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٩ م .

(٢) سورة الذاريات / ٥٢ .

(٣) سورة فصلت / ٤٣ .

(٤) سورة يوسف / ١٠٩ — ١١٠ .

إلى قوم بما لا يعرفونه ، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق كالعالم ولهذا قال النبي — صلى الله عليه وسلم — " العلماء ورثة الأنبياء" (١) .

وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة ... " (٢) .

ويمكننا بعد أن نقلنا كلام شيخ الإسلام من كتاب النبوات أن نستنبط أدلته التي استند إليها فيما ذهب إليه في مسألة التفرقة بين النبي والرسول كما يلي :

(١) أنه قرر أن إرسال الله عز وجل يعم الرسل والأنبياء جميعا لقوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ) قال : " فذكر إرسالا يعم النوعين "

(٢) النبي هو من أرسل من قبل الله ليعمل بالشريعة السابقة عليه ، ويدعو قومه المؤمنين بها إليها ويذكرهم بما انحرفوا عنه ، فهو يدعوهم إلى شيء يعرفونه أنه حق جاء به رسول من قبله ، فهم في الأصل موافقون على أصل الملة التي يدعوهم إلى الرجوع إليها أو الاستمرار على تعاليمها ، كما يكون أهل الشريعة الواحدة وفيهم العلماء القائمون بالدعوة والإرشاد والتذكير والتعليم ، والدليل هو أن نوحا كان أول الرسل إلى أهل الأرض وكان قبله عشرة قرون بينه وبين آدم كلهم على الإسلام وكان فيهم شيث — عليه السلام — وهو نبي وكذلك أنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يدعون قومهم إلى شريعة التوراة ويأمرونهم بتعاليمها

(٣) الرسول هو من أرسل إلى من خالف أمر الله ليبلغهم رسالة من الله ، فهو مرسل إلى كافرين مكذبين حتى ولو كان يدعوهم إلى الإيمان على شريعة سابقة فليس من شرطه أن يأتي بشريعة جديدة .

---

(١) سيأتي تخريجه ص/ ٩٣ .

(٢) ابن تيمية : النبوات ص/ ١٧٢ — دار الفكر — بدون تاريخ .

ولا بد ان يكذب الرسول قوم والادلة على ذلك كثيرة قوله تعالى : (كَذَٰلِكَ مَا أَتَى مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) (١) . فقد ذكر الله تعالى هذه الآية في سياق الحديث عن رسل سابقين فقد ذكر قبلها لوطا وتكذيب قومه له وما حل بهم من العقوبة والنكال ، ثم ذكر موسى وما حصل له من تكذيب فرعون وجنوده فعاجلهم الله بالغرق أجمعين ، ثم ذكر عادا وما حل بهم من الريح المدمرة التي استأصلت شأفتهم ، ثم ذكر بعدهم ثمود وعتوهم عن أمر الله فأخذتهم الصاعقة ، ثم ذكر قوم نوح وكانوا من قبل هولاء ، ثم قال سبحانه (كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) (٢) فقوله (مِنْ قَبْلِهِمْ) الضمير راجع على مشركي قريش الذين كذبوا رسول الله محمدا — صلى الله عليه وسلم — فهو تسلية للرسول — صلى الله عليه وسلم — فإنهم إن كانوا قد كذبوك فكذلك كذب الذين من قبلهم واتهموا رسلهم بالسحر أو الجنون ، وقوله (مِنْ رَسُولٍ) نكرة وقعت بعد النفي وهي من صيغ العموم وكأنه قال : ما أتى الذين من قبلهم أي رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون . وهذا الدليل قوي على أن جميع الرسل قد كُذِّبوا .

وكذلك قوله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ، أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ، حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) (٣) .

(١ ، ٢) سورة الذاريات / ٥٢ .

(٣) سورة يوسف / ١٠٩ — ١١٠ .

وغير هذه من الآيات التي تدل على تكذيب الناس للمرسلين مثل

قوله تعالى :

(وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (١) .

وقوله تعالى : (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) (٢)

وقوله تعالى : (كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ) (٣) .

وقوله تعالى : (إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ) (٤) .

(٤) أول الرسل إلى أهل الأرض هو نوح (٥) عليه السلام — ثبت ذلك في صحيح البخاري عن أبي هريرة — رضي الله عنه — وهو حديث الشفاعة وفيه : يقول آدم : " .... اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسماك الله عبدا شكورا ..... " الحديث (٦)

(٥) النبي لا يسمى رسولا عند الإطلاق ، لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق كالعالم ، ولهذا قال النبي — صلى الله عليه وسلم — : " العلماء ورثة الأنبياء " (٧)

---

(١) سورة الحجر / ١١ . (٢) سورة يس / ٣٠ .
(٣) سورة المومنون / ٤٤ . (٤) سورة ص / ١٤ .

(٥) من العلماء من يرى ان ادم عليه السلام رسول ، انظر ص/ ١٥١ من هذا البحث، وانظر شرح العقيدة الواسطية ص/ ١٧ .

(٦) رواه البخاري : كتاب الانبياء (٦٠) باب (٣) جـ ٤/ ١٠٥ .

(٧) رواه ابو داود كتاب العلم ، باب فضل العلم من حديث ابي الدرداء جـ ١٥/ ٣٧٢ بذل المجهود، ورواه الترمذي كتاب العلم ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ـ انظر جـ ٥ / ٤٨ ـ طبعة ٢ الحلبي بمصر ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م وابن حبان وصححه وكذا رواه الدارمي في المقدمة ص/ ٨٣ ، طبعة باكستان — ت/ السيد عبد الله هاشم يماني المدني ، توزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد — السعودية .

أى فى الانتفاع بالعلم و تعليمه و دعوة الناس إليه ، فهم يأمرون أتباعهم بما جاء به الرسول من العدل و القسط و التوحيد دون أن ينزل عليهم وحى من الله . و الناس يسمعون دعوتهم و يعلمون أن ما يأمرونهم به حق

(٦) يثبت ابن تيمية أن العلاقة بين النبى و الرسول هى علاقة عموم و خصوص مطلق فكل رسول نبى و ليس كل نبى رسولا فالنبى أعم و الرسول أخص ، أما النبـوة فهى داخلة فى الرسالة و لذلك يقول : " كما يقال الرسالة و النبوة فالنبوة داخلة فى الرسالة ، و الرسالة أعم من جهة نفسها ، و أخص من جهة أهلها فكل رسول نبى و ليس كل نبى رسولا ، فالأنبياء أعم و النبوة نفسها جزء من الرسالة ، فالرسالة تتناول النبوة و غيرها ، بخلاف النبوة فإنها لا تتناول الرسالة " (١) .

التـــرجيـــح :

و مما تقدم من الآراء فى التفريق بين النبى و الرسول نجد أن من لم يفرق بين النبى و الرسول قد جانبه الصواب — كما سبق — و أن الـــــرأى الصحيح هو التفريق بينهما .

كما أن رأى شيخ الإسلام ابن تيمية هو فى رأينا أرجح الآراء التى فرقت بين النبى و الرسول ، و ذلك لأنه يسلم من الإعتراضات التى وردت على الآراء الأخرى . و هو ما دل عليه الدليل من الكتاب و الســـنة .

---

(١) ابن تيمية : الإيمان — ص / ١٠ الجزء ٧ — من مجموع الفتاوى . توزيع دار الإفتاء — الرياض — السعودية .

المبحث الثانى : الـوحـى —

١ — مفهومه .

٢ — إمكانه .

٣ — طرقه .

١ — مفهوم الوحى : الوحى هو لب النبوة و أساسها ، و لقد دخل كثير من الطاعنين فى النبوة من باب إنكار الوحى ، سواء فى إمكانه أو وقوعه ، بل إن بعضهم من ذهب إلى استحالة أن يتصل البشر بالله عن طريق الوحى ، و من ثم تبطل النبوة و ينهار أساسها . و قبل حديثى عن إمكان الوحى ووقوعه سوف أتحدث عن مفهومه و بيان أنواعه .

أ — الوحى فى اللغة : الوحى لغة الإعلام فى خفاء ، ويقال وحيت إليه ، و أوحيت إليه إذا كلمته بما تخفيه عن غيره . و أصل مادة الوحى من وحى الثلاثى ، أو أوحى الرباعى و الوارد فى القرآن الفعل الرباعى كما فى قوله تعالى (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ)(١) — و قوله (بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا) . (٢) و غيرها

قال أبو الهيثم :

" . . . . و أما اللغة الفاشية فى القرآن فبالألف . و أما فى غير القرآن العظيم فوحيت إلى فلان مشهورة ، و أنشد العجاج :

---

(١) سورة النحل الاية : ٦٨ .

(٢) سورة الزلزلة الاية : ٥ .

" وحى لها القرار فاستقرت " (١) .

ويطلق الوحى فى اللغة على معان متعددة .

فيأتى بمعنى الإلهام الحاصل للإنسان : قال أبو اسحاق :

" .... ولذلك صار الإلهام يسمى وحيا " (٢) .

ومن ذلك قوله تعالى : (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي) (٣)

وقوله : (وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ....) الآية (٤) .

ويأتى بمعنى الإلهام للحيوان ومنه قوله تعالى : (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ....) الآية (٥) .

ويأتى بمعنى الأمر : كما فى قوله تعالى : (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي) (٦) . على قول، وكذا فى قوله تعالى : (بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا) (٧) أى أمرها (٨) .

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ج١٥/ ٣٨١ ، وابن فارس : المعجم ج٦ /ص٩٣ وانظر الجوهرى :الصحاح ج٥/ ٢٠ ٢٥ .

(٢) ابن منظور : لسان العرب ج١٥ / ٣٨١ مادة وحى .

(٣) سورة المائدة الآية / ١١١ .

(٤) سورة القصص الآية / ٧ .

(٥) سورة النحل الآية ٦٨ ، وانظر ابن منظور : اللسان ج١٥/ ٣٨٠ .

(٦) سورة المائدة الآية / ١١١ .

(٧) سورة الزلزلة الآية / ٥ .

(٨) ابن منظور : لسان العرب ج١٥ / ٣٨٠ .

و منه قوله تعالى : (إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ...) (١)

و يأتى الوحى بمعنى أن تكلمه بكلام تخفيه من غيره قال أبو ذؤيب :

فقال لهـا ، وقـد أوحـت إليـه ألا للـه أمـك مـا تعيـف

فأوحت إليه : أى كلمته ، و قريب قوله تعالى : (يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) (٢) . يعنى يسر بعضهم إلى بعض. (٣)

و يأتى أيضا بمعنى الإشارة السريعة على سبيل الرمز و الإيماء ،

قال تعالى : (... فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) (٤) . و المعروف فى تفسير هذه الآية أن زكريا أشار إليهم إشارة وحيه سريعة و لم يتكلم (٥) .

قال الفراء : فى قوله (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ) أى " اشار اليهم " (٦) .

و يأتى الوحى أيضا بمعنى الكتابة و الكتاب و المكتوب ، قال الحرث الأعور : قال علقمة : قرأت القرآن فى سنتين ، فقال الحرث : القرآن هيــن ، الوحى أشد منــه " (٧) .

---

(١) سورة الأنفال الآية / ١٢.

(٢) سورة الأنعام الآية / ١١٢.

(٣) ابن منظور : اللسان جـ١٥ / ٣٨٠ ، و ابن فارس : معجم مقاييس اللغة جـ٦ / ٩٣.

(٤) سورة مريم الآية / ١١.

(٥) انظر ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ٣/ ١١٣ ، و انظر د / صبحى الصالح مباحث فى علوم القرآن ص/ ٢٤ ــ ط١٠/ ١٩٧٧ م . دار العلم للملايين بيروت .

(٦) ابن منظور : اللسان جـ١٥/ ٣٨٠ .

(٧) ابن منظور : اللسان جـ١٥/ ٣٨٠، و ابن فارس : معجم مقاييس اللغــة جـ٦/ ٩٣ . منشورات دار مكتبة الحياة . بيروت ــ بدون تاريخ . و انظر : الشوكانى : فتح القدير : جـ ٣ / ٣٥٤.

أراد بالقرآن القراءة ، وبالوحي الكتابة و الخط ٠

و يأتي الوحي بمعنى الرسالة و البعث ، قال ابن الأعرابي :
وأوحى الرجل إذا بعث برسول ثقه إلى عبد من عبيده ثقة ٠ (١)

و يأتي بمعنى العجلة و السرعة : يقولون : الوحى الوحى ،
و الوحاء الوحاء يعني البدار البدار ، و الوحاء الوحاء يعني الإسراع فيمد ونهما
و يقصر ونهما إذا اجمعوا بينهما ، فإذا أفردوه مدوه ، ولم يقصروه " (٢) ٠

و الوَحِيُّ على فعيل : السريع (٣) ٠ وفي حديث : أبي بكر :
الوحا الوحا ، أي السرعة السرعة (٤) ٠

و يأتي الوحي أيضا بمعنى الإيماء بالجوارح ، قال الشاعر :

نظرت إليها نظرة فتحيرت	دقائق فكرى في بديع صفاتها
فأوحى إليها الطرف أني أحبها	فأثر ذاك الوحي في وجناتها (٥)

و يأتي كذلك بمعنى التصويت شيئا بعد شيء ، تقول بعض العرب :
وحيت لك كذا ، أي أشرت و صوت به رويدا ٠ (٦)

---

(١) ابن منظور : اللسان جـ١٥/ ٣٨٠ وابن فارس : المعجم جـ٦/ ٩٣ ٠
(٢) ابن منظور : اللسان جـ١٥/ ٣٨٢ الزبيدي : تاج العروس جـ١٠/ ٣٨٥ ٠
(٣) ابن منظور : اللسان جـ١٥/ ٣٨٢ ابن فارس : المعجم جـ٦/ ٩٣ ، ٠
وانظر الزبيدي : تاج العروس جـ١٠/ ٣٨٥ ٠
(٤) نفس المصدر السابق ٠
(٥) محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ص ٤٣ ط٩ / ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م
المكتب الاسلامي ٠ و د / صبحي الصالح : مباحث في علوم القران ص ٢٤ /
ط١٠/ ١٩٧٧ م — دار العلم للملايين ٠
(٦) ابن منظور : اللسان جـ١٥/ ٣٨١ ، و ابن فارس : المعجم جـ٦/ ٩٣ وانظر
الجوهري : الصحاح جـ٦/ ٢٥٢٠ — دار الكتاب العربي — بمصر ٠

قال ابن حجر : " ٠٠٠٠٠ وأصله التفيهم " (١) .

وقد عبر القرآن بالوحي عن وسواس الشيطان ، وتزيينه خواطر الشر للإنسان ، قال تعالى : (وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ليجادلوكم ٠٠٠) الاية (٢) .

ومما سبق يتضح أن كل ما دللت به من كلام أو كتابة أو رسالة أو إشارة فهو وحي (٣) .

---

(١) ابن حجر : فتح الباري جـ١/ ٩ دار الفكر ط السلفية .

(٢) سورة الانعام / الاية / ١٢١ .

(٣) ابن حجر : فتح الباري : جـ١ / ٩ دار الفكر ط السلفية .

ب ــ الـــــوحى فــى الاصطـــلاح :

ولقد ذكر العلماء عدة تعريفات للوحى بالمعنى الإصطلاحى سوف نشير إليها إشارة سريعة بما يناسب المقام ، إلا أن جل اهتمامنا سينصب على المعنى الشرعى الذى أقره السلف وانتهوا إليه وارتضيناه .

وأقرب ما رأيته ملخصا موجزا لرأى كل مـــن المتكلمين والسلف ما كتبه الشيخ / محمد محمد أبو شهبه ــ حيث قال ــ " وأما فى الشرع فيطلق ويراد به المعنى الصدرى ، ويطلق ويراد به المعنـــى الحاصل بالصدر ويطلق ويراد به المعنى الموحى به ، ويعرف من الجهة الأولى بانه : إعلام الله أنبياءه بما يريد به أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو غير واسطة ، فهو أخص من المعنى اللغوى لخصوص مصدره ومورده ، فقد خص المصدر بالله سبحانه وتعالى ، وخص المورد بالأنبياء . (١) .

ويعرف من الجهة الثانية : بأنه عرفان (٢) يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من عند الله سواء أكان الوحى بواســـطة أم بغير واسطة .

ويعرف من الجهة الثالثة : بأنه ما أنزل اللـــه على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم ، ومنهم من أعطاه كتابا ومنهم من لم يعطه " (٣) .

وتعريفه من الجهه الثالثة هو التعريف الوارد عن السلف . فقد روى الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجرى (٤) (ت ٣٦٠ هـ)

---

(١) محمد ابو شهبه : المدخل لدراسة القران ص ٤٧ ، انظر / عبد الرزاق عفيفى : مذكرة التوحيد . ص / ٣٤ ــ المكتب الاسلامى ط / ١٤٠٣ هـ .

(٢) وهذا هو تعريف الشيخ / محمد عبده فى رسالة التوحيد ص/١٠٣ ، وهو تعريف فلسفي لا يصح .

(٣) الشيخ د / محمد محمد ابو شهبه : المدخل لدراسة القران الكريم ص/٤٨ ط ٢ .

(٤) هو الامام المحدث الثقة / ابو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادى =

عن الزهرى (١) (ت ١٥٢ هـ) قال :

" الوحى : ما يوحى الله عز وجل إلى النبى من أنبيائه فيثبت الله عز وجل ما أراد من وحيه فى قلب النبى - صلى الله عليه وسلم - يتكلم بـه النـبى - صلى الله عليه و سلم - و يبينه ، و هو كلام الله عز وجل ووحيه . (٢)

و نقل شيخ الإسلام (٧٢٨ هـ) نفس التعريف وعزاه لابن شهاب أى الزهرى أيضا فقال : " .... و الوحى ما يوحى الله إلى النبى من أنبيـائه - عليهم السلام - ليثبت الله عز وجل ما أراد من وحيه فى قلب النبى و يكتبه و هو كلام الله ووحيـه ... " (٣) .

=كان إماما عالما عاملا ،صاحب سنة واتباع محدثا قدوة ،دينا ثقه له ، تصانيف كثيره منها " الأربعون "الآجرية ، و الشريعة " و أخلاق العلماء و غيرها ولد و نشأ فى بغداد . رحل الى مكة المكرمة فعاشرها مجاورا و محـدثا و متعبدا ثلاثين سنة ، روى عنه كثير من علماء الشرق و الغرب و رحلـوا اليه بمكة مدة اقامته بها . توفى فى المحرم سنة ٣٦٠ هـ بمكة و دفن بها - رحمه الله . انظر ترجمته : " الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ٢ / ٢٤٣ . السيوطى : طبقات الحفاظ جـ٣/ ١٣٩ . ، " وابن خلكان : وفيات الاعيان جـ٢ / ٤١٩ . - ت / محمد محى الدين عبد الحميد .

(١) هو الإمام أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشى الزهرى المدنى ، و لد سنة (٥٠ هـ) فـى خلافة معاوية ، حفظ القران فى ثمانين يوما ، و طلب الحديث فى اواخر عصر الصحابة و له نيف وعشرون سنة وروى عن بعضهم كانس بن مالك و غيره ،توفـى لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ١٢٤ اربع وعشروين و مائة عـلـى الارجح فى قرية تسعى " اداما " بين فلسطين و الحجاز .انظر : ترجمتـه كاملة : ابن سعد : الطبقات الكبرى ص/ ١٣٥ قسم ٢ جـ٢ ، و ابن عبد البر جامع بيان العلم وفضله . ص/ ٧٣ ، ٧٦ جـ١ . و أبو نعيم : حلية الاوليـاء جـ٣/ ٣٦٩ . ، و ابن حجر : تقريب التهذيب : جـ٢ / ٢٠٧ . وغيـرهـا .

(٢) الامام ابو بكر محمد بن الحسين الاجرى : الشريعة ص/ ٤٥٢ ، ٤٥٣ ت/ محمد حامد الفقى ط ١/ ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م دار الكتب العلمية .بيروت لبنان . و انظر د / ابو شهبه : المدخل لدراسة القران الكريم - ص/٤٨ .

(٣) ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ١٢ / ٣٩٧ . ط شئون الحرمين .

وقال ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) بعد ما ساق معنى الوحي في اللغة : قال :

" .... وشرعا الاعلام بالشرع ، وقد يطلق ويراد به اسم المفعول منه اى الموحى ، وهو كلام الله المنزل على النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ (١) .

وقد أثبت السيوطي (ت ٩١١ هـ) هذا التعريف أيضا بسنده فقال :

أخرج ابن أبي حاتم من طريق عقيل عن الزهري وسئل عن الوحي فقال : الوحي ما يوحي الله إلى نبي من أنبيائه فيثبته في قلبه ، فيتكلم به ويكتبه وهو كلام الله ومنه مالا يتكلم به ولا يكتبه لأحد ، ولا يأمر بكتابته ، ولكنه يحدث به الناس حديثا ، ويبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس ويبلغهم إياه (٢) .

ومن هذه التعريفات السابقة يتضح لنا أن علماء السلف قد عرفوا الوحي بالكلام وبالمعنى الموحى به من الله ، وهو كلامه سبحانه ، فإن ما يوحى به من الكلام والمعاني يسمى وحيا ، وما ينقله الملك إلى النبي من ذلك فهو كلام الله على الحقيقة ، لأن الله هو الذي تكلم به أولا ، أي تكلم به مبتدئا (٣)

كما أننا نلحظ أن تعريف الوحي في الإصطلاح أخص منه في اللغة وذلك من جهتين :

أحدهما : المصدر ، فمصدره هو الله تعالى .

والثانية : الأشخاص الموحى إليهم وهم الأنبياء والمرسلون

كما أننا نرى أن تعريف السلف قد تناول الوحي المتلو للتعبد وهو المنزل باللفظ والمعنى كالقرآن الكريم ، وتناول أيضا الوحي المنزل بالمعنى دون اللفظ كالحديث النبوي الشريف ، ومما يؤيد أن حديث النبي ـ صلى الله عليه

---

(١) ابن حجر العسقلاني : الفتح جـ١/ ٢٩ ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ط/ السلفية .

(٢) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، وبهامشه إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني جـ١/ ٤٤ . المكتبة الثقافية ـ ١٩٧٣م .

(٣) ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ ٣/ ١٤٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ .

وسلم ـ وحى قوله تعالى : (وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى) [1]
وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعبد الله بن عمرو " اكتب فو الذى نفس بيده ما خرج
منى إلا الحق " (٢) . وقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ "إنى لا أقول إلا حقا" [3]

---

(١) سورة النجم الآية/ ٣ ، ٤ .
(٢) رواه ابو داود كتاب العلم ، باب كتابة العلم ٤٠/ ٦٠ رقم ٣٦٤٦ ، ورواه احمد
٢/ ١٦٢ ، ١٩٢ ، والدارمي في سننه ـ المقدمة باب رقم ٤٣ حديث رقم ٤٩٠
والحديث صححه الالباني انظر صحيح الجامع ١/ ٣٨٥ رقم ١٢٠٧ .
(٣) اخرجه الامام احمد في المسند ٢ / ٣٤٠ عن ابي هريرة .

٢ - إمكان الوحي ووقوعه :

لئن كنا قد قدمنا آنفا تعريفا وافيا للوحي من حيث معناه في اللغة ، ومن حيث ما ورد به الاصطلاح . وانتهينا إلى أنه إعلام الله أنبياءه بحكم شرعي ونحوه أو هو كلام الله وأحكامه الملقاة إلى النبي من الأنبياء ، بواسطة أو بغير واسطة . (١)

وعلى أي وجه كان تعريف الوحي لغة أو اصطلاحا فإنه لا يستحيل في نظر العقل ، ولا يبعد في تقدير الفكر حصول الوحي ووقوعه من الله تعالى القادر على كل شيء إلى أنبيائه وصفوة خلقه .

ولقد أطبق عقلاء الأمم من أهل الأديان على الإقرار بإمكان الوحي بل بوقوعه فعلا .

فما الذي يحيل أن يختص الله عز وجل واهب النعم ومالك القوى والقدر بعض عباده بسعة في الفكر ، ورحابة في الصدر ، وكمال صبر ، وحسن قيادة ، وسلامة في الأخلاق وطهارة في النفس ، وشفافية في الروح ، وكمال في العقل ليعدهم بذلك لتحمل أعباء الرسالة ، ويكشف لهم عما أخفاه عن غيرهم آمرا لهم بأن يكشفوا للعباد عن ذلك ويبينوه ولا يكتمونه ، ويوحي إليهم بما فيه سعادة الخلق وإحقاق الحق ، وصلاح الكون ، رحمة للعالمين ، وإعذارا إلى الكافرين ، وإقامة الحجة على

---

(١) انظر ما تقدم في مبحث التعريفات " مفهوم الوحي " .

الناس أجمعين (١) .

وإن من حاولوا تكلف القول باستحالة الوحي كانوا على طائفتين :

الأولى : أنكرت الوحي مطلقا .

الثانيـة : أنكرت أن يكون الرسول من البشر وظنت ـ خطأ ـ أنه

لا يكون إلا من الملائكة وكلا الطائفتين تكلفت الباطل .

أما كون الرسول لا يكون إلا من الملائكة ، وأن البشر ليس أهلا لتلقى الوحي وحمل الرسالة وهو ما حكاه الله فى القرآن الكريم (... فَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا ...) الآية (٢) .

(كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ، فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ ؟؟؟) الآية (٣) . إلى غير ذلك من الآيات .

فهذا زعم باطل لا ينهض على ساق ، لأن الله عز وجل القادر على أن يجعل الملائكة أهلا لتلقى الوحي وحمل الرسالة ، قادر أيضا على أن يجعل شخصا ما أهلا لذلك فى أى عصر شاء ، وفى أى قوم أراد ، فهـــو القادر على كل شىء ، ولا يعجزه شىء سبحانه وتعالى .

وسيأتى لبيان هذه المسألة مزيد إيضاح وتفصيل ـ إن شاء الله ـ عند الكلام على المنكرين للنبوة . (٤)

فأما الطائفة التى أنكرت الوحي مطلقا ، وذهبت إلى استحالتـه فهى على قســمين :

---

(١) انظر : بتصرف الشيخ : عبد الرزاق عفيفى : مذكرة التوحيد ص/٣٧ . المكتب الإسلامى ـ بيروت ـ ط/ ١ / ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م .

(٢) سورة هود / ٢٧ .

(٣) سورة القمر / ٢٣ ، ٢٤ .

(٤) من ص/ ٥٥٤ الى ص/ ٥٥٧ .

قسم قديم : وهم البراهمة والصابئة(١) وسيأتي الرد على شبههم ـ إن شاء الله ـ
عند الكلام على المنكرين للنبوة ـ أيضا ـ .

قسم حديث : وهم بعض الفلاسفة الغربيين الذين ظهروا في الفترة في أوائل القرن
السادس عشر الميلادي إلى قريب من منتصف القرن التاسع عشر (٢)
وهؤلاء الغربيون قد أنكروا الوحي بناء على إنكارهم وجود اللـــه
تعالى وإنكارهم وجود الروح . وإيمانهم المطلق بالمادة فهؤلاء
نجيبهم أولا :
بإقامة الدليل على وجود الله تعالى ، ثم الدليل على وجود الروح
والتدليل على عالم الغيب الذي أنكروه وجحدوه .
ويدل على وجود الخالق جل وعلا الفطرة المركوزة في الإنسان ،
المتجهة دائما نحو إله يعبد ، ومرجو يقصد .

والأدلة الأخرى على وجود الله تعالى قائمة منصوبة
نقرؤها في كتاب الكون المنظور ، ثم في كتاب الله المسطـــور
كتاب الكون المفتوح دائما أمام أبصارنا وبصائرنا بما فيه مــــن
الآيات العظيمة المحكمة الصنع ، المتناسقة البنيان المحكـــومة
بالسنن الدقيقة ، والعناية الفائقة .

---

(١) إمام الحرمين الجويني : الإرشاد إلى قواطع الأدلة ـ ت/ د /محمد يوسف موسى وغيره ، مكتبة الخانجي ١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م ـ القاهرة .وانظر/ عبد الرحمن ابن أحمد الإيجي : المواقف في علم الكلام بدون تاريخ عالم الكتب ـ بيروت .
(٢) محمد فريد وجدي : دائرة معارف القرن العشرين جـ١/ ٧١٢ ، ٧١٣ .
وانظر ايضا : د / محمد حسين الذهبي : الوحي والقران الكريم ص/ ١٣ ط ١ ـ ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة .

ثم نقروها بعد ذلك منطقا سليما فيما قرره علماء التوحيد و الإيمان فى مباحث الألوهية ، وإن كانت المسألة فى أساسها مسالة فطرية فطر الله الناس عليها .

(قَالَتْ رُسُلُهُمْ : أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ....) الاية (١) .

(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) (٢) .

(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) (٣) .

(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ) (٤)

أما عن وجود الروح ، وقدراتها ، وتصرفاتها فذلك ما أثبته العلم الكونى بالتجارب و المشاهدات .

ذكر الأستاذ / محمد فريد وجدى أن لفيفا من أساتذة الجامعات فى الدول الغربية ألفوا سنة ١٨٨٢ م ، جمعية عرفت باسم " جمعية المباحث النفسية " كان الهدف منها البت فى المسألة الروحية ، وتحقيق حوادثها بأسلوب النقد الصارم ، والحكم بقبولها نهائيا فى العلم إن كانت حقيقة أو تقرير إبعادها عن العلم و الفلسفة إن كانت من الأمور الوهمية " (٥) .

ثم يذكر " أن هذه الجمعية مكثت نحو ثلاثين سنة حققت فى خلالها ألوفا من الحوادث الروحية وعملت من التجارب فى النفس وقواها مالا يكاد

---

(١) سورة ابراهيم / ١٠ .
(٢) سورة الزخرف / ٩ .
(٣) سورة لقمان اية / ٢٥ . وسورة الزمر اية / ٣٨ .
(٤) سورة الطور / ٣٥ ، ٣٦ .
(٥) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين جـ ١٠ / ٧١٣ . مادة الوحى " ونقلها د / محمد حسين الذهبى فى كتابه : الوحى و القران الكريم ص/ ١٤ ، مكتبة وهبه ـ القاهرة .

يدرك ، لولا أنه مدون فى محاضر تلك الجمعية فى نحو أربعين مجلدا ضخما فكان من ثمرات جهادها إثبات شخصية ثانية للإنسان ، أى أننا أحياء مدركون فى حياتنا الحاضرة ، لا بكل قوى الروح التى فينا بل بجزء من تلك القوى سمحت لنا به حواسنا الخمس القاصرة ، ولكن لنا فوق ما تعطيه لنا حواسنا هذه حياة أرقى من هذه الحياة ، لا تظهر بشئ من جلالها إلا إذا تعطلت . فينا هذه الشخصية العادية بالنوم العادى أو النوم الصناعى (المغناطيسى) وقد جربوا ذلك على المنومين نوما مغناطيسيا فوجدوا أن النائم يظهر بمظهر من الحياة الروحية لا يكون له وهو يقظان ، ..... فيخبر عن البعيدين ويبصر ويسمع ، ويحس بغير حواسه الجسمية ويكون وهو فى تلك الحالة على جانب كبير من التعقل والإدراك " (١) .

قالوا : " وتكون هذه حالة الإنسان فى نومه العادى والدليل على ذلك ما يأتيه المصابون بمرض الإنتقال النوى من الأفعال المعجزة والمدارك السامية " (٢) . قالوا : " هذه الشخصية الباطنة أصبحت مدركة بالحس فإن ظهور النائم نوما مغناطيسيا بهذا المظهر من العقل الراجح والفكر الثاقب والنظر البعيد ، وسريانه فى سرائر النفوس واكتشافه لخفايا الأمور ، وجولاته فى الأقطار البعيدة ، بينما يكون جاهلا غبيا فى حالته العادية ، أول دليل على أن للإنسان شخصيه تحجبها هذه الحياة الجسدية ـ ولا تظهر إلا إذا وقع فى نوم طبيعى أو صناعى ، ثم إن الرؤى الصحيحة التى تقع كفلق الصبح ، ويدرك بها الإنسان أمورا غيبية أو يحل فيها مسالة عويصة لم يحلها وهو صاح ، أو انتقاله

---

(١) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين جـ ١/ ٧١٤ ـ مادة الوحى وانظر : د / محمد حسين الذهبى : الوحى والقران الكريم ص/ ١٥ .

(٢) نفس المصدر السابق .

وهو نائم وإتيانه أعمالا لا يستطيع عملها وهو يقظ يدل كذلك على أن له شخصية باطنة أرقى من شخصيته العادية " (١) .

ويذكر أيضا الأستاذ / وجدى ، أن هناك أمورا تدل بالحس على وجود تلك الشخصية ، درستها تلك الجمعية درسا مدققا ، وحققت تجارب من درسها قبلها ، وذكر من أمثله ذلك عبقرية الحاسبين على البديهة لأعوص المسائل الرياضية التى تحتاج إلى زمن كبير فى التفكير والعمل ، فيجيبون عليها على الفور وهم لا يدركون كيف وجدوا هذا الحل فى نفوسهم ، وحديث أحد الشعراء الغربيين عن نفسه ، أنه كان ينام — غالبا — وهو يعمل قطعة من الشعر لم تتم فيستيقظ فيجدها تامة فى اليوم التالى عندما يفكر فيها .... وذكر كثيرا من تلك الوقائع المشابهة التى لا تصدر إلا عن تلك الشخصية الباطنة الملهمة (٢) .

وهكذا ثبت أمام المنكرين حقيقة الروح وآثارها الخطيرة بالتجربة المشاهدة العلمية .

من جهة أخرى فإننا نجد كثيرا من المخترعات الحديثة والأجهزة العلمية قد أثبتت أنها تستطيع إدراك وتسجيل كثيرا جدا من الأحداث التى لا يمكننا سماعها بالطرق السمعية التقليدية ولا رؤيتها بالعين المجردة (٣)

وبمثل هذه الطاقة غير العادية يتمتع بعض الحيوانات أيضا ،

---

(١) محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين جـ ١/ ٧١٤ .

(٢) انظر بتصرف: د/ محمد حسين الذهبى : الوحى والقران الكريم ص/١٥ ، وانظر : محمد فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين جـ ١/ ٧١٤ ، مادة " وحى " وانظر : كذلك / محمد عبد الرحيم الزرقانى : مناهل العرفان جـ١/ ٦٥ .

(٣) انظر بتصرف : وحيد الدين خان ، الاسلام يتحدى ص / ٩٦ . ط ٨ ١٩٨٤ م — القاهرة — المختار الاسلامى .

" فالكلب - مثلا - يستطيع أن يشم ريح الحيوان الذى مر من الطريق ، ومن ثم استغلت الكلاب فى البحث عن الجرائم و المجرمين " (١) .

كذلك فان العلم قد كشف عن حيوانات كثيرة تسمع أصواتا تخرج عن نطاق أسماعنا ، كما أن الأبحاث قد أثبتت فى هذا الميدان أن بعض الحيوانات تتمتع بقوة التخاطر عن بعد وهو ما يسمى " التليباثى " (١) .

وهناك أمثلة أخرى كثيرة تؤكد إمكان وجود وسائل غير مرئية لدى ذوى الحواس الخاصة ، وإذا كان الأمر كذلك فما وجه الغرابة فى ادعاء انسان أنه يسمع صوتا من لدن ربه لا يدركه عامة الناس ؟؟ ما دام من الممكن أن توجد فى هذا العالم حركات و أصوات لا تسمعها آذان الإنسان ولكن تسجلها الآلات ؟ وما دامت هناك وسائل تدركها حيوانات دون أخرى ؟؟ ما هو جانب التعجب و الاستبعاد ؟

إن الله تعالى - لحكمة يعلمها - يرسل رسائله بوسائل خافتة خفية إلى الإنسان المختار للرسالة وبعد أن يودع فيه صلاحية التقاطها و فهمها فليس هناك من تصادم فى الحقيقة ، بين مشاهداتنا و تجاربنا العلمية ، فهو واقع من الوقائع الكثيرة التى نشاهدها و نجربها فى أمكنة و طرق مختلفة ، فالوحى إمكان ، وجدناه فى شكل الواقع بعد التجربة " (٢) .

ويحكى الأستاذ / وحيد الدين خان أنه فى سنة ١٩٥٠ م رفع المسؤلون فى " بافاريا " قضية ضد أحد النساويين واسمه " فرنتر ستروميل " بتهمة

---

(١) وحيد الدين خان : الإسلام يتحدى ص/ ٩٦ ، ط ٨ / ١٩٨٤ م - القاهرة المختار الإسلامى . سنشرح معنى كلمة (التليباثي) في الصفحة التالية .

(٢) نفس المصدر ص/ ٩٧ .

التدخل فى برامج الاذاعة عن طريق تاثير التخاطر عن بعد (التليباثى) (١) ٠

وكان " فرنترسترميل " يستعرض فى أعماله فى " فندق ريجنا " بميونيخ ، عندما ناول أوراق الكوتشينة إلى أحد المتفرجين ، وطلب إليه اختيار ورقه ما ، وادعى أنه سوف ينقل اسم تلك الورقة واسم الفندق مع ترتيبهما ، كما هما فى ذهن المتفرج ، إلى المذيع الذى كان يقرأ الأخبار من إذاعة ميونيخ المحلية دون أن يعرف المذيع نفسه شيئا من ذلك ٠

وبعد ثوان سمع الناس صوت مذيع مرتعش ، وهو يقول : " فندق ريجنا بنت البستونى " وكان الترتيب واسم الورقة صحيحين كما أراد المتفرج ٠

وكان الارتعاش والرهبة واضحين فى صوت المذيع ، ولكنه واصل قراءة الأخبار ، استغرب الكثيرون من المستمعين من سكان ميونيخ واتصل مئات تلفونيا بالإذاعة يستفسرون عن السر الغامض : ٠٠٠٠٠ فكان من الصعب عليهم

(١) التليباثى : Telepathy هو مصطلح انجليزى ترجمته " التخاطر عن بعد " أو اتصال عقل بآخر بطريقة ما " خارجة عن نطاق العادى أو السوى " انظر : الأستاذ / محمد قطب : الإنسان بين المادية والإسلام ط ٦/ ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م ـ دار الشروق ـ بيروت ـ القاهرة ـ ص/ ٣٧ ٠ وقال الأستاذ / محمد قطب فى تعليقه فى هامش تلك الصفحة " التليباثى " كلمة تطلق على التخاطر عن بعد ، ومن الأمثلة التاريخية لها حادثة عمر الشهيرة إذ وقف يصلى بالناس ، يقصد وقف يخطب " ثم إذا به فجأة يقول : " ياسارية الجبل الجبل " فسمعه سارية وانتفع بنصيحته فانتصر على عدوه مع أنه كان يفصل بينهما ألوف الأميال ا ٠ هـ ـ كلام الأستاذ / محمد قطب ٠
وانظر فى ترجمة الكلمة : قاموس المورد القريب ، انجليزى عربى ، تأليف منير البعلبكى ـ ص / ٣٨٨ ٠ دار العلم للملايين ط ١٢/ ١٩٧٨ م ٠

إدراك علاقة الأخبار بـــ " فندق ريجنا " ـ بنت البستوني" ـ وحضر طبيب الإذاعة للكشف على المذيع ، فوجده في حالة اضطراب خطيرة ، وأدلى المذيع ببيانـــه قائلا : " إنني شعرت بصداع شديد في رأسي ولا أعرف ماذا حدث بعد ذلك (١)

وقد ذكر الأستاذ / محمد عبد العظيم الزرقاني في كتاب " مناهل العرفان " حادثة من حوادث التنويم المغناطيسي (٢) بث من خلالها المنوم (بكسر الواو) أفكاره التي يريد أن يبثها في عقل المنوم (بفتح الواو) فلما استيقظ المنوم (بفتح الواو) بدا وكأنه شخص قد صيغ عقله صياغة جديدة ثم يقول الشيخ / الزرقاني بعد ما ساق تفاصيل تلك الحادثة التي عاينها بنفســه :

" وبهذه التجربة ..... ثبتت لي أنا من طريق علمي ، ما قرب إليّ الــوحي عمليا ، وما جعلني أعلله تعليلا علميا : فالــوحي "عن طريق الملك " عبارة عن اتصال الملك بالرسول اتصالا يؤثر به الأول في الثاني ، ويتأثر فــيــه الثاني بالأول ، وذلك باستعداد خاص في كليهما ، فالأول فيه قوة الإلقاء والتأثير لأنه روحاني محض ، والثاني فيه قابلية التلقي عن هذا الملك لصفاء روحانيته ، وطهارة نفسه المناسبة لطهارة الملك ..... اتظن أيها القارئ ...... أن المخلوق يستطيع أن يؤثر في نفس مخلوق آخر ذلك التأثير بواسطة التنويم المغناطيسي ثم لا يستطيع مالك القــوى والقدر أن يؤثر في نفس مـــن شاء من عباده بواسطة الوحي ؟؟.

كـلا ثـم كـلا إنـــه عــلى مــا يشــاء قـــديــر (٣) .

---

(١) وحيد الدين خان : الإسلام يتحدى ص/ ٩٧ ، ٩٨ . المختار الاسلامي

(٢) محمد عبدالعظيم الزرقاني : مناهل العرفان جـ١/ ٦٧ ، ٦٨ . دار الفكر بيروت .

(٣) نفس المصدر .

ثم ان ما ورد عن عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — أنه نادى على سارية قائد جنده ليحتمى بالجبل ، وبلوغ صوت عمر لسارية على الرغم من بعد المسافة بينهما ليدل على ما نحن بصدده من إثبات حقيقة المخاطبة عن بعد دون استخدام أى وسيلة مادية والتى هى أثر من آثار حقيقة الروح وقواها .

روى ابن مردويه عن ابن عمر عن أبيه — رضى الله عنهما — أنه كان يخطب يوم الجمعة فعرض فى خطبته أن قال : ياسارية الجبل ، من استرعى الذئب ظلم ، فالتفت الناس بعضهم إلى بعض ، فقال لهم : على — رضى الله عنه — ليخرجن مما قال ، فلما فرغ سألوه ، فقال : وقع فى خلدى (١) . وفى رواية لأبى نعيم : إنه وقع فى روعى (١) أن المشركين هزموا إخواننا وأنهم يمرون بجبل ، فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجه واحد ، وإن جاوزوا هلكوا ، فخرج منى ما تزعمون أنكم سمعتموه ، وفى روايه أبى نعيم : فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف — رضى الله عنه — وكان يطمئن إليه فقال : أشد ما ألومهم عليك أنك تجعل على نفسك لهم مقالا ، بينا أنت تخطب إذ أنت تصيح يا سارية الجبل ، أى شىء هذا ؟؟ قال : إنى والله ما ملكت ذلك ، رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم ، فلم أملك أن قلت : يا سارية الجبل ليلحقوا بالجبل ، فلبثوا إلى أن جاء رسول سارية بكتابه أن القوم لحقونا يوم الجمعة — فقاتلناهم من حين صلينا الصبح إلى حين حضرت الجمعة . ودار حاجب الشمس ، فسمعنا مناديا ينادى يا سارية الجبل — مرتين ، فلحقنا بالجبل ، فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله وقتلهم ... " (٢)

---

(١) الخلد والروع : بمعنى واحد وهو القلب أو البال أو النفس . انظر : الطاهر أحمد الزاوى : ترتيب القاموس المحيط جـ٢ / ١٠ ٣ ٤ دار الباز — مكة المكرمة — ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م .

(٢) أخرج هذا الأثر البيهقى واللالكائى فى شرح السنة والزين عاقول فى فوائده وابن الأعرابى فى كرامات الاولياء ، وابن حجر فى الإصابه (٢ ، ٣) وأبو نعيم : فى الدلائل (ص / ٢١٠) ، وأبو عبد الرحمن السلمى فى =

" إنه لما كان الإنسان يستطيع تحويل الأفكار بأكملها إلى إنسان آخر ، على بعد غيرعادى وبدون استعمال ٠أى واسطة ما دية ظاهرية فلماذا تستحيل نفس العملية بين الإله وعباده ؟

إن هذا المظهر من كفاءة قوى الإنسان ، وأمثلته كثيرة لا تحصى - ليس إلا قرينة تجريبية تجعلنا نفهم علاقة الألفاظ و المعانى التى تربط العبد بالإله عندما يرسل رسالاته " (١) .

إن مما يزيد الأمر أمامنا وضوحا ، الفتوى الصادرة من شيخ الإسلام ابن تيمية عندما سئل عن هم العبد بالحسنة ، إذا كان هذا الهم سرا بين العبد وبين ربه فكيف تطلع الملائكة عليه ؟ ؟

فأجاب - رحمه الله تعالى -

" الحمد لله ، قد روى عن سفيان بن عيينة فى جواب هذه المسألة قال : " إنه إذا هم بحسنة شم الملك رائحة طيبة ، وإذا هم

= الاربعين ، و الخطيب فى رواة مالك ، و ابن عساكر كما فى المنتخب (٣٨٦/٤) ، و ابن كثير فى البداية و النهاية ج٧/ ١٣١ .
و أخرجه الواقدى عن زيد بن أسلم و يعقوب بن زيد كما فى البداية و النهاية (١٣١/٧) .
قال ابن كثير : " فهذه طرق يشد بعضها بعضا " ا هـ . على أن طريق ابن وهب حسنه ابن كثير ، ثم الحافظ ابن حجر - انظر - محمد يوسف الكاندهلوى : حياة الصحابة ج ٥٦٢/٣ - ٥٦٤ ، ت / الشيخ نايف العباس و محمد على دولة ، دار القلم - دمشق - ط١٤٠٥/٣ هـ - ١٩٨٥ م ، وذكره الالباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم (١١١٠) بتخريجه مفصلا ج ٤/ ١٠١ ، وذكره العجلوني في كشف الخفا ومزيل الالباس ج٢/ ٥٣٢ .
(١) وحيد الدين خان : الاسلام يتحدى ص/٩٨ .

بسيئة شم رائحة خبيثة " (١) .

"والتحقيق (٢) : أن الله قادر أن يعلم الملائكة بما فى نفس العبد كيف شاء كما هو قادر على أن يطلع بعض البشر على ما فى الإنسان ، فإذا كان بعض البشر قد يجعل الله له من الكشف ما يعلم به أحيانا ما فى قلب الانسان ، فالملك الموكل بالعبد أولى بأن يعرفه الله ذلك " (٣) .

وهكذا — مما سبق من الأدلة — يتضح أن الوحى ممكن لا يستحيل عقلا وقوعه ، وقد تبين ذلك — كما تقدم — بالأدلة العلمية التجريبية التى فتن بها كثير من الخلق ، وإلا فاننا قد آمنا بوقوع الوحى وحصوله لنبينا محمد — صلى الله عليه وسلم — بمجرد إخبار الصادق المصدوق لنا بذلك ، ولا يتوقف إيماننا على تلك الأدلة التجريبية الحديثة ، وإنما سقناها للمتحذلقين ، الذين أوغلوا فى المادية ، وهم فى الحقيقة لا يحيون فى هذه الحياة الدنيا بغير أرواح ، ولا يمكن لهم ذلك .

---

(١) اهـ كلام سفيان — رحمه الله — .
(٢) هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية .
(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية : مجموع الفتاوى — جـ٤ / ٢٥٣ .

وقـــوع الـــوحـى :

ولئن كنا بذلك دللنا على إمكان الوحى فإن الوحى قد وقع بالفعل ، ومن آثاره هذه العلوم العظيمة والمعارف الشريفة .

والأدلة على وقوع الوحى هى الأدلة على صدق الرسول الذى أخبر بذلك ، فمن كان فى زمن النبى — صلى الله عليه وسلم — فقد ظهر له صدقــه بيقين سالم عن المعارض ، وهو تأييد الله لرسوله ، وتصديقه وإظهاره على كل من سواه بالمعجزة وبغيرها من وسائل التصديق والتأييد .

ومن كان فى هذا العصر غائبا عن زمان البعثة وظهـــور النبوة ، فدليله على وقوع الوحى هو التواتر الذى يقهر النفس على اليقين بما جاء فيه من أخبار .

وقد نقل هذا الخبر المتواتر عن النبى الصادق الصدوق وكل ما أخبر به فهو واقع يقينا .

ويمكن صياغة الدليل على النحو التالى :

" الوحى ممكن أخبر بوقوعه الصادق المصدوق ، وهو الرسول — أى رسول كان — وكل ما أخبر بوقوعه الصادق المصدوق المعصوم فهو واقع فعلا ويقينا .
إذا فالوحى واقع فعلا ويقينا للأنبياء — عليهم الصلاة والسلام — (١) .

فهذا الدليل ذو مقدمات منطقية ، سائر على أسلوب المنطقيين وهو صادق إذا صدقت مقدماته .

---

(١) محمد عبد العظيم الزرقانى : مناهل العرفان جـ١/ ٧٣ ، د / محمد حسين الذهبى : الوحى والقرآن الكريم ص/ ١٨ .

أما كون الوحى ممكنا ، فذلك ما سبق أن قدمنا الأدلة الدامغة على إمكانه بما يغنى عن إعادتـــه هنا .

وأما أنه قد أخبر بوقوعه الصادق المعصوم فذلك — أى الإخبار — أمر مسلم لا ينكره أحد ممن عاصروا الأنبياء وسمعوا منهم أنهم أنبياء ، يوحى إليهم ، ولا ينكره من جاءوا بعد عصر النبوة والرسالة ، لثبوته بالتواتر الذى قدمنا صفته قبل قليل .

وقد توارثته الأجيال جيلا بعد جيل فضلا عن وروده فى أوثق الكتب الإلهية وهو الكتاب العزيز الذى لا يتطرق إلى قطعية ثبوته أدنى شك .

وأما كون المخبر بوقوع الوحى ، وهو الرسول — أيا كان — صادقا معصوما فذلك ثابت لجميع الرسل بيقين — لأن الرسل جميعا كُذِّبُوا — فما من رسول إلا كان له من قومه مكذبون ، وما كان الله تعالى ليدع أنبياءه يواجهون ذلك التكذيب بغير حجة — دامغة — تثبت نبوتهم ورسالتهم وتفحم الخصوم ، لذلك فإنه قد أيدهم بآيات وبراهين دلت على صدقهم وعصمتهم من الكذب وغيره .

وأما أن كل ما أخبر بوقوعه الصادق المعصوم فهو حق ، فذلك أمر بدهى وضرورى ، لأن ذلك هو مقتضى العصمة التى ثبتت للأنبياء والمرسلين بظهـــور الآيات والبراهين على أيديهم . (١)

فان كنا بذلك قد عرضنا لمفهوم الوحى ، وإمكانه ووقوعه ، فما هى طرق الوحى وأنـــواعه ؟؟ .

---

(١) د. محمد حسين الذهبى : الــوحى والقران الكريم ص / ١٨ ، ١٩ .

٣ ـ طـــرق الـــوحـى :

للوحي طرق وكيفيات جمعها الله تعالى بقوله : (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء إنه على حكيم) (١) ٠

فأثبتت الآية ثلاث طرق رئيسية لكيفيات الوحي إلى الانبياء والمرسلين أو هي مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله عز وجل (٢) ٠

= ١ = المقام الاول : وهو قوله (إلا وحيا) وهو يتناول الإلهام ، أو القـذف في الروع ، والوحي المنامي كما ذكر ذلك ابن الجوزي في زاد المسير ، حين فسر قوله تعالى (إلا وحياً) قال : المراد بالوحي ٠٠٠٠ الوحي في المنام (٣) وسيأتي تفصيله في المقام الرابع ٠

والقذف في روع النبي — صلى الله عليه وسلم — هو أن يقذف في قلبه شيء يستيقن معه أنه من الله ، ولا يتمارى في ذلك (٤) وهو ما سماه النبي — صلى الله عليه وسلم — بالنفث فـي الروع والروع بضم الراء : القلب والخلد والخاطر (٥)

---

(١) سورة الشورى / ٥١ ٠

(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم — جـ٤ / ١٢١ — دار إحياء التراث العربي — ١٣٨٨هـ — ١٩٦٩ م ٠

(٣) ابو الفرج ابن الجوزي : زاد المسير — جـ٧ / ٢٩٧ ٠

(٤) انظر : ابن كثير : تفسير القران العظيم — جـ٤ / ١٢١ — دار احياء التراث العربي — ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٩ م ٠

(٥) الإمام النووي : شرح صحيح مسلم جـ١٧ / ١٥٥ ط٢ / ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م دار إحياء التراث العربي — بيروت — لبنان ٠
وانظر : محمد رشيد رضا : الوحي المحمدي ص/ ٤٥ ط٩ / ١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م المكتب الاسلامي — بيروت لبنان ٠

والنفث : هو القذف والإلقاء (١) •

فقد روى " ابن حبان " فى صحيحه ، والحاكم فى المستدرك " وأبو نعيم فى الحلية " وغيرهم ، أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : " إن روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا الله ، وأجملوا فى الطلب " (٢) •

وفى رواية ابن مسعود عند الحاكم أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : " ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلا قد أمرتكم به ، ولا عمل يقرب إلى النار إلا قد نهيتكم عنه ، لا يستبطئن احد منكم رزقه ، إن جبريل عليه السلام ألقى فى روعى أن أحداً منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه ، فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا فى الطلب ، فان استبطأ احد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله ، فإن الله لا ينال فضله بمعصيته " (٣) •

---

(١) انظر : رواية الحاكم بعد قليل •

(٢) أورده القرطبى : فى تفسيره عند تفسير الآية (٥١) من سورة الشورى ج١٦/ ٣٥ عار عن السند والعزو •
وأورده ابن كثير : فى تفسيره عند تفسير نفس الآية (٥١) وعزاه إلى صحيح ابن حبان ، وأورده كذلك ابن القيم : فى زاد المعاد ج١/٧٨ بتحقيق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط — مؤسسة الرسالة ط ٣/ ١٤٠٢ هـ ١٩٨٢ م وقال : المحقق : حديث صحيح بشواهده • أخرجه أبو نعيم فى الحلية " ج١٠/ ٢٦ ٢٧ من حديث أبى أمامة وفى سنده عفير بن معدان وهو ضعيف ، وباقى رجاله ثقات وأورده الهيثمى " فى المجمع " ٤/٧٢ ونسبه للطبرانى فى الكبير ، وأعله بعفير بن معدان لكن له شاهد من حديث ابن مسعود عند الحاكم ٢/٤ وآخر من حديث جابر عند ابن ماجه (٢١٤٤) وابن حبان (١٠٨٤) و (١٠٨٥) والحاكم ٢/٤ ، ٤/٣٢٥ وأبى نعيم فى الحلية ٣/١٥٦ و١٥٧ ، ٧/ ١٥٨ ، ثالث من حديث حذيفة عند البزار كما فى " المجمع ٤/٧١ ، فيصح الحديث بها - اهـ
انظر هذا التخريج فى هامش زاد المعاد فى هدى خير العباد ج١/٧٨ •

(٣) الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم (ت ٤٠٥ هـ) المستدرك على الصحيحين فى الحديث ج٢/ ٤ ، ويليه تلخيص المستدرك للحافظ الذهبى دار الكتب العلمية — بيروت — لبنان — بدون تاريخ •

فهنا نرى أن رواية الحاكم قد فسرت " روح القدس " في الرواية الأولى بأنه جبريل — عليه السلام — وفسرت " النفث " بالإلقاء كما قدمنا قبل قليل

قال الإمام السيوطي (ت ٩١١ هـ) وهذا قد يرجع إلى الحالة الأولى أو التي بعدها ، بأن يأتيه في إحدى الكيفيتين وينفث في روعه " (١) .

يقصد بالحالة الأولى التي ذكرها في كيفيات الوحي وهي إتيان الملك في مثل صلصلة الجرس ، ويقصد بالتي بعدها تمثل الملك للنبي في صورة رجل (٢) .

وقد وردت هذه المقامات الثلاثة في طرق الوحي في حديث ابن عباس — رضي الله عنهما — الذي رواه الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (ت ٣٦٠ هـ) عن النبي — صلى الله عليه وسلم — قال " من الأنبياء من يسمع الصوت فيكون بذلك نبيا ، وكان منهم من ينفث في اذنه وقلبه فيكون بذلك نبيا وإن جبريل يأتيني فيكلمني كما يكلم أحدكم صاحبه (٣) .

فقوله : " من الأنبياء من يسمع الصوت فيكون بذلك نبيا " هو الكلام من وراء حجاب ، كما سمعه موسى — عليه السلام — وسيأتي تفصيل ذلك في المقام الثاني .

وقوله " وكان منهم من ينفث في أذنه وقلبه فيكون بذلك نبيا "

---

(١) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : الاتقان في علوم القرآن ، بهامشه إعجاز القرآن : للقاضي أبي بكر الباقلاني جـ١/ ٤٤ — المكتبة السلفية بيروت — لبنان — ١٩٧٣ م .

(٢) انظر : المصدر السابق نفسه .

(٣) الآجري : الشريعة ص/ ٤٥٤ . ط ١ — دار الكتب العلمية — ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م ت / محمد حامد الفقي .

هو النفث فى الروع الذى تناولنا الكلام بصدده .

وقوله : ان جبريل يأتينى فيكلمنى ...... الخ " فهو المقام الثالث المقصود فى آية الشورى بقوله تعالى (أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا) (١) .

ولقد ذهب بعض الباحثين إلى اعتبار الرؤيا الصادقة أو الصالحة المرتبة الأولى من مراتب الوحى (٢) .

واستدلوا بما ورد فى صحيح البخارى عن عائشة — رضى الله عنها — قالت : " أول ما بدئ به رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ... الحديث (٣)

قال ابن حجر : " الرؤيا الصالحة وقع فى رواية معمر ، ويونس عند المصنف فى التفسير " الصادقة " وهى التى ليس فيها ضغث " (٤) . قلت ووقعت " الصادقة " عند مسلم أيضا .

---

(١) سورة الشورى / ٥١ .

(٢) د / رؤوف شلبى : الوحى فى الإسلام وأهميته فى الحضارة الإنسانية ص/ ٢١ ط ١ / ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م — مطبعة حسان — القاهرة ، وانظر كذلك الباحث / عبد الله عبد الحى أبو بكر ، الوحى فى الإسلام ورد الشبهات حوله ص / ٢٣٨ ، رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى — مكة المكرمة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية . ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م . وانظر : كذلك : د / محمد محمد أبو شهبه : السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة جـ١ / ٢٦٢ ، ط٢ / ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .

(٣) متفق عليه ، رواه البخارى — كتاب بدء الوحى ، باب (٣) حديث عائشة أول ما بدئ به — صلى الله عليه وسلم — من الوحى جـ١ / ٣ .
ورواه مسلم : كتاب الايمان (١) :
باب (٧٣) بدء الوحى إلى رسول الوحى — صلى الله عليه وسلم — انظر : مسلم جـ١ / ١٣٩ — ت / محمد فؤاد عبد الباقى — دار احياء التراث العربى — بيروت — لبنان ط ٢ / ١٩٧٢ م .

(٤) فتح البارى جـ١ / ٢٣ .

واستنادا على هذا الحديث اعتبروا الرؤيا الصالحة أو الصادقة قسما من أقسام الوحي ، ولكن الحديث لا يدل على ما ذهبوا إليه دلالة جازمة ، بل هي دلالة احتمالية . وهذا ما حكاه الحافظ ابن حجر في شرح الحديث من أن لفظه " من الوحي " يحتمل أن تكون " من " تبعيضية ، أي من أقسام الوحي، ويحتمل أن تكون بيانية "

قال : " ورجحه القزاز " (١) . أي رجح الاحتمال الثاني ، وهو كون " منْ " بيانية لا تبعيضية ، قلت : وهذا هو الظاهر في الترجيح ، وذلك لأنه ينبغي التفريق بين الرؤيا قبل النبوة ، والرؤيا بعدها ، فالرؤيا قبل النبوة ، وقبل نزول جبريل — عليه السلام — بالوحي لا تعتبر وحيا ، وليست هي بداية الوحي إلى النبي — صلى الله عليه وسلم — بل هي من إرهاصات الرسالة ، ومن التنبيه الواضح سوف يكون له شأنٌ عظيم ، وهذا ما ذهب إليه البدر العيني (ت ٨٥٥ هـ) في عمدة القاريْ ، حيث قال : " ابتدى الرسول — صلى الله عليه وسلم — بالرؤيا الصالحة لئلا يفجأه الملك ويأتيه بصريح النبوة ، لا تحتملها القوى البشرية ، فبدئ بأوائل خصائص النبوة وتباشير الكرامة من صدق الرؤيا مع سماع الصوت وسلام الحجر والشجر عليه ، ثم أكمل الله له النبوة بإرسال الملك في اليقظة وكشف له عن الحقيقة كرامة له (٢) .

وقد أومأ الشيخ / محمد أبو زهرة إلى ذلك حيث قال : "إن ذلك لا يدل على أن إبتداء إنباء الله تعالى لمحمد — صلى الله عليه وسلم — كان بالرؤيا

---

(١) هو محمد بن جعفر القيرواني ، أبو عبد الله التميمي ، (صاحب الجامع في اللغة ت / ٤١٢ هـ — انظر — هامش فتح الباري جـ١ / ٢٣ . من تعليق الشيخ / عبد العزيز ابن باز — مفتي السعودية .

(٢) بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥ هـ) : عمدة القاري شرح صحيح البخاري جـ١ / ٦٠ — دار إحياء التراث العربي — بيروت — لبنان — بدون تاريخ .

الصادقة ، و لكن يدل على أن إبتداء الإشراق (١) • الإلهى و الإتصال الربانى كان بالرؤيا الصادقة (٢) •

وواضح من كلام الشيخ / " أبو زهرة " أنه لا يعتبر هذه الرؤيا الصادقة المذكورة فى حديث عائشة جزءا من الوحى ولا قسما من أقسامه ، بيد أنه يعتبرها جزءا من الإلهام الإلهى ، و ليست هى الوحى الذى يقام عليه التكليف بالنسبة للنبى ــ صلى الله عليه و سلم ــ و لذلك يقول : " فليست هى بالنسبة للنبى ــ عليه الصلاة و السلام ــ هى الوحى و إن كانت بالنسبة لإبراهيم ــ عليه السلام ــ كانت وحيا كاملا ، و بالبناء عليها هم بأن يذبح ولده إسماعيل ــ عليه السلام ــ حتى فداه رب العالمين كما قال تعالى :(وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ) (٣) • فكانت الرؤيا إنباء "(٤)

و لكننا يجب أن نلاحظ أن رؤيا إبراهيم ــ عليه السلام ــ كانت و هو نبى بعبارة أخرى : إن الرؤيا قد رآها الخليل ــ عليه السلام ــ بعد أن أكرمه الله تعالى بالنبوة و الرسالة و رؤيا الأنبياء حق ووحى ، أما رؤيا رسول الله ــ محمد ــ صلى الله عليه و سلم ــ تلك التى يدور الحديث عليها إنما كانت قبل إكرام الله له بالنبوة ، و تقدم ذلك قريبا عن البدر العينى ، و لهذا فلا يصح أن يقال : إن الرؤيا فى حق نبينا محمد ــ صلى الله عليه و سلم ــ ليست هى الوحى الذى يقام عليه التكليف ، و إن كانت بالنسبة لإبراهيم وحيا كاملا ، لأن القارئ لهذا الكلام قد يشعر بأنه مجانب للصواب ، فهذه رؤيا و تلك رؤيا ، وهذه لنبى و الأخرى لنبى ، فما وجه التفريق بينهما بحيث لا تعتبر فى حق محمد ــ رؤيا تكليفية ، و تعتبر كذلك فى حق

---

(١) هذا اللفظ لا نوافق عليه من حيث اطلاقه •

(٢) محمد ابو زهرة : خاتم النبيين ــ صلى الله عليه و سلم ــ جـ١ / ٢٠٣ ــ دار الفكر العربى ــ بدون تاريخ ــ بيروت •

(٣) سورة الصافات الاية / ١٠٧ •

(٤) محمد ابو زهرة : خاتم النبيين ــ صلى الله عليه و سلم ــ جـ١ / ٢٠٣ •

إبراهيم ، و لذلك قلنا : إنما هى ليست وحيا فى حق محمد — عليه الصلاة و السلام باعتبارها وقعت قبل النبوة و قبل نزول الملك بالوحى . سواء كانت فى حق محمد أم كانت فى حق إبراهيم — عليهما الصلاة و السلام — أم فى حق غيرهما من الأنبيـــاء

أما بعد النبوة و نزول الوحى فالرؤيا حق ووحى لا شك فيه ، وهى جزء من نبوتهم ، يقع بها العلم و التشريع ، و يستوى فى ذلك جميع الأنبياء وذلك لثبوت النصوص الصحيحة الصريحة فى أن الرؤيا للأنبياء حق .

فقد روى البخارى فى صحيحه عن عبيد بن عمير قال : "إن رؤيـا الأنبياء وحى" (١) .

وورد فى صحيح البخارى عن عائشة أنها قالت : يا رسول الله ، تنام قبل أن توتر ؟؟ قال : " تنام عينى و لا ينام قلبى " (٢) .

وروى البخارى أيضا عن أنس بن مالك قال : "و النبى نائمة عيناه و لا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم و لا تنام قلوبهم " (٣) .

---

(١) البخارى : كتاب الأذان (١٠) باب (١٦١) جـ١/ ٢٠٨ .

(٢) صحيح البخارى كتاب المناقب باب (٢٤) كان النبى — صلى الله عليه و سلم — تنـــام عينه ، و لا ينام قلبه جـ٤ / ١٦٨ . وكتاب التوحيد (٩٧) باب (٣٧) جـ٨/ ٢٠٣ ، كتاب (٣١) باب (١) جـ٢/ ٢٥٣ .

(٣) صحيح البخارى : كتاب المناقب (٦١) باب (٢٤) جـ٤/١٦٨ .

و روى البخارى أيضا عن جابر بن عبد الله قال : جاءت ملائكة إلى النبى — صلى الله عليه و سلم — و هو نائم ، فقال بعضهم إنه نائم ، و قال بعضهم : إن العين نائمة ، و القلب يقظان ، فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلا ، قال فاضربوا له مثلا ، فقال بعضهم إنه نائم ، و قال بعضهم إن العين نائمة و القلب يقظان ..... " الحديث (١) .

و نقل الحافظ ابن حجر فى فتح البارى عن الحكيم الترمذى (٢) . قوله : " و رؤيا الأنبياء وحى بخلاف غيرهم ، فالوحى لا يدخله خلل ، لأنه محروس

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الإعتصام بالكتاب و السنة ، باب (٢) الإقتداء بسنن رسول الله — صلى الله عليه و سلم — و قوله الله تعالى (وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) . جـ ٨ / ١٣٩ .

(٢) هو : محمد بن على بن الحسن بن بشر ، أبو عبد الله ، الحكيم الترمذى ، و هو غير الإمام ابى عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمى البوغى الترمذى الضرير ، أحد الائمة الأعلام المقتدى بهم فى علم الحديث و صاحب الجامع الصحيح المسمى بسنن الترمذى . (٢٠٩ هـ — ٢٧٩ هـ أما الحكيم الترمذى فلا تعرف سنة مولده ، و توفى نحو (٣٢٠ هـ) = (٩٣٢م) و هو باحث صوفى ، عالم بالحديث و أصول الدين من أهل " ترمذ " نفى منها بسبب تصنيفه كتابا خالف فيه ما عليه أهلها ، فشهدوا عليه بالكفر ، و قيل اتهم باتباع طريقة الصوفية فى الإشارات و دعوى الكشف ، و قيل فضل الولاية على النبوة ، ورد بعض العلماء هذه التهمة عنه ، و قيل كان يقول : للأولياء خاتم ، كما أن للأنبياء خاتما . له مصنفات منها " نوادر الأصول فى أحاديث الرسول — ط " (الفروق — خ) — " و غرس الموحدين " و " الرياضة و أدب النفس — ط " " و غور الأمور خ " " و المفاهى " " و شرح الصلاة " و " المسائل المكنونة — خ " و غيرها نقلا عن الزركلى — الأعلام جـ٦/ ٢٧٢ و انظر :

ابن حجر : لسان الميزان جـ٥/ ٣٠٨ .

السبكى : طبقات الشافعية جـ٢/ ٢٠ .

كشف الظنون جـ١/ ٣٨ .

وسيأتي تفصيل معتقده في النبوة وذلك في الباب الثاني ، انظر ص/ ٤٧٩ من هذا البحث .

بخلاف رؤيا غير الأنبياء فإنها قد يحضرها الشيطان (١) .

وهذه الرؤيا المنامية الصادقة بعد نزول الوحي هي التي يبنى عليها التكليف والتشريع لأنها وحي كامل كرؤيا إبراهيم ـ عليه السلام ـ حين رأى أنه يذبح ابنه ، وكرؤى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد النبوة ، فكلها وحي كما سيأتي تفصيل ذلك قريبا .

وقد اتضح مما تقدم أن الرؤيا الصالحة أو الصادقة قبل النبوة ليست قسما من أقسام الوحي ، وإنما هي بشارات وارهاصات بين يدي النبوة .

= ٢ = المقـام الثاني : من مقامات الوحي وطرقه : هو كلام الله تعالى من وراء حجاب وقد حصل ذلك لآدم ـ عليه السلام ـ و (قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) (٢) .

وحصل ذلك أيضا لموسى ـ عليه السلام ـ ليلة الميقات (٣) قال تعالى : (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ) (٤) .

---

(١) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري جـ١٢ / ٣٥٤ كتاب التعبير ـ باب أول ما بدئ به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الوحي الرؤيا الصالحة ط السلفية .

(٢) سورة البقرة / ٣٣ .

(٣) ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ١٢ / ٣٩ ، ٤٠ ، ابن كثير : تفسير القران العظيم جـ٤ / ١٢١ .

(٤) سورة الاعراف / ١٤٣ .

وقال تعالى : (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) (١) .

وقال تعالى : فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ، إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ، وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ، إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) (٢) . وهذا الكلام لا يمكن أن يصدر من ملك مقرب ولا غير مقرب ، ولا يصدر من جبل ولا شجرة ، وإذا نظرنا إلى قوله تعالى (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ) قطعنا أن المتكلم هو الله كلم نبيه موسى من وراء حجاب " (٣)

وبمثل ذلك كلم الله تعالى نبينا محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليلة الإسراء والمعراج ، وحديث الإسراء والمعراج مشهور ومستفيض وهو يدل على أن الله عز وجل كلم نبيه محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ من وراء حجاب ولم ير النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ربه (٤) . وقد يرد إشكال في هذه المسألة وهو أن الله تعالى

---

(١) سورة القصص / ٣٠ .

(٢) سورة طه / ١١ ، ١٤ .

(٣) د / سليمان العايد / محاضرات في العقيدة / ١٤٠٤ هـ .

(٤) حديث الإسراء والمعراج : رواه البخاري : كتاب بدء الخلق (٥٩) باب (٦) جـ٤/ ٧٧ ، مسلم كتاب الايمان (١) باب (٧٤) جـ١/ ١٤٥ ـ ١٥٤ والنسائي جـ١/ ٧٦ ، وابن حبان في صحيحه ١٩٢ ـ ١٩٨ وغيرهم .

وتتميما للفائدة ، نقول :

: قال شارح الطحاوية : ص/ ٢١٣ " اتفقت الأمة على أنه لا يرى الله أحد في الدنيا بعينه " وهو الذي قال به ابن تيمية في مجموع الفتاوى جـ٣/ ٣٨٩ جـ٦/ ٥١٠/ ٥١٢ . . لكن وقع الخلاف في رؤية رسول الله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ربه ليلة المعراج . وبعد وقوفي على الآراء في ذلك الموضوع ، واستقصائي للأدلة الشرعية رأيت خلاصته كما يأتي :

١ ـ أن رؤية الله في دار الدنيا ممتنعة على جميع البشر يستوي في ذلك الأنبياء وغيرهم .

٢ ـ أن التنازع لم يقع إلا في رؤية النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ربه بعينه ليلة =

قد حصر طرق الوحي ، وكيفياته في قوله عز جل (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ...) (١)

ثم ورد في السنة النبوية الصحيحة ما يتعارض في الظاهر مع هذا الحصر في الآية الكريمة ، ففي حديث جابر بن عبد الله بن حرام (٢) عندما استشهد أبوه عبد الله بن حرام يوم أحد قال جابر : لقيني رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : يا جابر مالي أراك منكسرا ؟ قلت يا رسول الله استشهد أبي ، فقتل يوم أحد ، و ترك عيالا و دينا ، قال : أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟ قال : قلت : بلى يا رسول الله ، قال : ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب ، و أحيا أباك فكلمه كفاحا ، فقال : يا عبدي تمن علي أعطك : قال : يارب تحييني فأقتل فيك ثانية ، قال : الرب عز وجل إنه سبق مني (أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ) قال ، فأنزلت هذه الآية (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا) الآية (٣) .
قال : أبو عيسى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه (٤) . اهـ

= المعراج .
٣ — أن الراجح مما قيل في هذه المسألة هو الرأي القائل بأن رسول الله — صلى الله عليه و سلم — رأى ربه بفؤاده ، و لم يره بعينيه و هو رأي عائشة أم المؤمنين — رضي الله عنها — وعبد الله بن مسعود و روي أيضا عن أبي هريرة — رضي الله عنهم جميعا — وكذا روي عن أبي ذر — رضي الله عنه .
٤ — أن الذين توقفوا في هذه المسألة و لم يقطعوا فيها برأي ، لا يسوغ لهم التوقف في ذلك لأن الأدلة قوية متضافرة على تأييد رأي عائشة — رضي الله عنها — ومن وافقها من الصحابة و العلماء .

انظر في ذلك : البخاري — كتاب التفسير (٦٥) سورة النجم باب (١) جـ٦/ ٥٠ ، مسلم : كتاب الايمان (١) باب (٧٧) جـ١/ ١٥٨ ، ابن خزيمة : كتاب التوحيد جـ١/ ٤٧٧ ، القاضي عياض : الشفا جـ١/ ١٩٥ ، النووي : شرح صحيح مسلم جـ٣/ ٥ ، ابن تيمية مجموع الفتاوى جـ٣/ ٣٨٦ ، جـ٦/ ٥٠٨ ، جـ١٩/ ١٤٠ ، ابن القيم زاد المعاد جـ١/ ٨٠ ، ابن ابي العز الحنفي : شرح العقيدة الطحاوية ص/ ٢١٣ ، ابن حجر : فتح الباري جـ٨/ ٦٠٨ ، السفاريني : لوامع الانوار البهية جـ٢/ ٢٥٠ .
(١) سورة الشورى الاية / ٥١ .
(٢) جابر بن عبد الله بن حرام الخزرجي ، الانصاري ، السلمي ، صحابي جليل ولابيه ايضا صحبة ، غزا تسع عشرة غزوة ، وكانت له في اواخر عمره حلقة في المسجد النبوي يؤخذ عنه العلم ت/ ٧٨هـ ، انظر : الاصابة جـ١/ ٢١٣ . (٣) سورة ال عمران / ١٦٩ .
(٤) رواه الترمذي : كتاب التفسير — باب (٤) من سورة ال عمران رقم / ٣٠١٠ جـ٥/ ٢٣٠ ط٢/ شركة الحلبي — ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م .

وفى رواية ابن مردويه " أنه كلم أباك كفاحا " قال على (١): والكفاح المواجهة (٢) .

ويندفع هذا الإشكال بما ذكره ابن كثير فى تفسيره من الجمع بين النصين الآية والحديث ، وهو أن تكليم الله تعالى لعبد الله بن حرام كان فى عالم البرزخ وأن الآية إنما هى فى دار الدنيا (٣) .

ويؤيد ذلك ما ورد فى صحيح مسلم أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٤) قال : " تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت " وعلى ذلك فلا إشكال .

---

(١) علـى : هو على بن عبد الله المدينى : شيخ الإمام البخارى ذكر فى سند الحديث عند أبى بكر بن مردويه . وهو ثقه ثبت إمام ، أعلم أهل عصره بالحديث وعلله ، حتى قال البخارى ، ما استصغرت نفسى إلا عنده ، وقال فيه شيخه ابن عيينه : كنت أتعلم منه أكثر مما يتعلمه منى ، وقال النسائى كأن الله خلقه للحديث ، عابوا عليه إجابته فى المحنة (أى محنة خلق القرآن) ولكنه تنصل وتاب ، واعتذر بأنه كان خاف على نفسه ، ت/ ٢٣٤ هـ . تقريب التهذيب جـ٢/ ٣٩ ، تذكرة الحفاظ جـ٢/ ١٥ ، ميزان الاعتدال جـ٢/ ٢٢٩ تاريخ بغداد جـ١١/ ٤٥٨

(٢) انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم جـ١/ ٤٢٧ . دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٩ م .

(٣) المصدر السابق جـ٤/ ١٢٢ .

(٤) الإمام مسلم : صحيح مسلم جـ٤/ ٢٢٤٥ ـ كتاب الفتن واشراط الساعة باب (١٩) ذكر ابن صياد

٣ = المقـام الثـالث : أن يكون الوحي بإرسال رسول : كما قال الله تعالى (.. . أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ) (١).

وهذا الرسول هو جبريل المكلف بالوحي إلى الأنبياء وقد يكون الرسول ملكا آخر من الملائكة ـ عليهم السلام ـ غير جبريل ـ عليه السلام ـ وقد ثبت ذلك عن ابن عباس قال قال : بينما جبريل قاعد عند النبي ـ صلى الله عليه وسلم سمع نقيضا (٢) من فوقه ، فرفع رأسه ، فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم ، لم يفتح قط إلا اليوم ، فنزل منه ملك فسلم ، وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة ، لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته " (٣).

" والغالب على الوحي أن ينزل به جبريل ـ عليه السلام ـ وهو أمين الله على وحيه وعدو اليهود " (٤).

والملك حينما يأتي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالوحي له حالات متعددة.

١ـ فيأتي أحيانا في مثل صلصلة الجرس وهو أشدها عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ (٥)

٢ ـ وأحيانا يتمثل له جبريل ـ عليه السلام ـ في صورة رجل فيكلمه وكان غالبا يتمثل

---

(١) سورة الشورى / ٥١.

(٢) النقيض : نقيض السقف تحريك خشبه ـ لسان العرب جـ٧/ ٢٤٥ .

(٣) رواه مسلم : كتاب (٦) باب (٤٣) جـ١/ ٥٥٤ ـ محمد فؤاد عبد الباقي .

(٤) د / سليمان العايد : محاضرات في العقيدة .

(٥) انظر : صحيح البخاري جـ ١/ ٣ .

بصورة دحية الكلبي . (١)

٣ – وكان أحيانا يراه الرسول – صلى الله عليه وسلم – على صورته التى خلق عليها و قد ورد وصفه بأنه عظيم الخلق ذو أجنحه (٢) .

٤ – و أحيانا ينفث الملك – عليه السلام – فى روع النبى – صلى الله علية و سلم – شيئا لا يتمارى أنه وحى . و قد تقدم الحديث عن ذلك فى المقام الأول .

٥ – أن يأتيه الملك فى المنام . وقد ورد هذا عن أنس بن مالك قال : أغفى – رسول الله – صلى الله عليه و سلم – إغفاءة، فرفع رأسه مبتسما ، إما قال لهم وإما قالوا له : لم ضحكت ؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه و سلم – إنه أنزلت علىَّ آنفا سورة فقرأ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ .) حتى ختمها .... " الحديث (٣) .

= ٤ = المقام الرابع : من مقامات الوحى : هو الوحى المنامى بأن يرى رؤية يوحى الله تعالى إليه فيها بما يريده سبحانه ، كما وقع ذلك لنبى الله و خليله إبراهيم – عليه السلام – . حينما رأى أنه يذبح ابنه إسماعيل و هذا تفسير قوله تعالى (إلا وحيا) على قول من قال إنه الوحى فى المنام (٤) . فرؤى الأنبياء وحى و حق كما ورد ذلك فى صحيح البخارى .

فيكون الوحى فى المنام أيضا بأن يرى النبى – صلى الله عليه و سلم – ربه فى المنام ، و الدليل على ذلك

---

(١) حديث عائشة فى البخارى ،وعند أبى عوانه ، و رواه الآجرى فى الشريعه و حديث جبريل الطويل فى مسلم أول كتاب الإيمان .

(٢) انظر : ما رواه البخارى : فى تفسير سورة النجم ، و مسلم كتاب الإيمان باب (٧٧) (وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ...) ورواه أحمد ٦/ ٢٣٦ ، ٢٤١ .

(٣) رواه مسلم كتاب الصلاة (٤) باب (١٤) جـ١/ ٣٠٠ ، ابو داود – كتاب السنة باب في الحوض جـ ٥/ ١١٠ رقم ٤٧٤٧ ، والنسائي – كتاب الافتتاح – باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم جـ٢ / ١٣٣ ، واحمد جـ٣/ ١٠٢ .

(٤) انظر ابن الجوزى : زاد المسير جـ٧/ ٢٩٧ .

ما ورد عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : " أتاني ربي الليلة في أحسن صورة .... " الحديث (١) .

---

(١) رُوى هذا الحديث عن جماعة من الصحابة منهم :

١ـ معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ :

أخرج حديثه الإمام أحمد جـ٥/ ٢٤٣ ، والترمذي ح رقم ٣٢٣٥ ، وابن خزيمة في كتاب التوحيد جـ١/ ٥٣٣ ت: د : عبد العزيز الشهوان ، والدارقطني في الرؤية ـ كما في الإصابة جـ٢/ ٤٠٦ من طريق جهضم بن عبد الله ، وإسناده صحيح ، وقد صحح حديث معاذ الإمام أحمد كما في التهذيب (٦/ ٢٠٥) .

٢ ـ عبد الرحمن بن عائش :

أخرج حديثه الدارمي جـ٢/ ١٢٦ وابن أبي عاصم في السنة ٣٨٨، ٤٦٧ ، والمروزي في مختصر قيام الليل ص/ ٤٢ ، والآجري في الشريعة ص/ ٤٩٧ ، واللالكائي في أصول السنة (٩٠١، ٩٠٢) ، والحاكم جـ١/ ٥٢٠، ٥٢١ ، وصححه وسكت عنه الذهبي ، والبيهقي في الأسماء ص/ ٢٩٩ ، والبغوي في شرح السنة جـ٤/ ٣٥، ٣٦ ، وابن الجوزي في العلل (١١) من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بن اللاجلاج عن عبد الرحمن بن عايش .

٣ ـ عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ :

أخرج حديثه الإمام أحمد جـ١/ ٣٦٨، والترمذي رقم (٣٢٣٣) وابن الجوزي (١٤) من طريق أيوب عن أبي قلابة عنه ، ورجاله ثقات ، وقد حسن الحديث ابن الجوزي في العلل (١/ ٢١) وصححه العلامة أحمد شاكر في تعليقه على المسند جـ٥/ ١٦٢ وحسنه الترمذي كذلك ، .

كما رُوي هذا الحديث أيضا عن ثوبان ، وابن عمر ، وأبي أمامة ، وجابر ابن سمرة ، وأبي رافع ، وأبي هريرة ، وأنس بن مالك ، وعدي بن حاتم ، وأبي عبيدة بن الجراح ، وقد استقصى طرقه الأخ الباحث جاسم الفهيد الدوسري في تحقيقه لرسالة ابن رجب المسماة " اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى " مكتبة دار الأقصى ـ الكويت ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م .

الفصل الثاني

الإيمان بالأنبياء والرسل في الكتاب والسنة

- ١ ـ الإيمان بالنبوة من أركان الإيمان
- ٢ ـ النبوة اصطفاء واختيار
- ٣ ـ بشرية الرسل والأنبياء .
- ٤ ـ الأنبياء عباد الله
- ٥ ـ لا يجوز التوجه إلى أحد من الأنبياء بالعبادة
- ٦ ـ لم تخل أمة من رسول .
- ٧ ـ الإيمان بجميع الرسل والأنبياء
- ٨ ـ عدم التفرقة بين الانبياء
- ٩ ـ دين الأنبياء واحد
- ١٠ ـ ختم النبوة وعمومها

١ - الإيمان بالنبــــوة ركن من أركان الإيمان :

الإيمان بالنبوة كظاهرة إيمانية ركن أساسي من أركان العقيدة الإسلامية ، ولقد أوجب الله عز وجل الإيمان بأنبيائه و رسله لأنهم طرق الهداية إلى الله تبارك و تعالى ، يدعونهم إلى الإيمان به و العمل الصالح يبشرونهم بالجنة و ينذرونهم بالنار ، و يبينون لهم كيف أن في اتباعهم السعادة في الدنيا و الفوز بالنعيم في الآخرة قال الله تعالى : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ، وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) . (١)

وقال تعالى (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (٢) .

وقال تعالى (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ...) الآية (٣) .

وكذلك أوجب رسول الله - صلى الله عليه و سلم - الإيمان برسل الله عز وجل ، فحينما سئل عن الإيمان قال " ...... أن تؤمن بالله و ملائكته وكتبه ورسله و اليوم الآخر ، و تؤمن بالقدر خيره وشره (٤) .

---

(١) سورة البقرة / ٢٨٥ .

(٢) سورة البقرة / ١٣٦ .

(٣) سورة البقرة / ١٧٧ .

(٤) أخرجه مسلم - كتاب الإيمان ، جـ١ / ٣٦ ، ت : محمد فؤاد عبد الباقي .

فهذه الأصول الستة هى أركان الإيمان ، فلا يتم إيمان أحد إلا إذا آمن بها جميعا على الوجه الصحيح الذى دل عليه الكتاب والسنة .

" فمن جحد شيئا منها أو آمن به على غير هذا الوجه فقد كفر " (١) .

ومعنى الإيمان بالرسل التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث فى كل أمة رسولا يدعو الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، والكفر بما يعبد من دونه ، وأن جميعهم صادقون مصدقون ، أمناء مهتدون . وأنهم قد بينوا الدين والرسالة أبلغ بيان، وبلغوا ما أمرهم الله تعالى به على وجه الحقيقة كاملا ، وأنهم لم يكتموا منه شيئا . قال تعالى (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (٢) .

وقال تعالى (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى) (٣)

---

(١) د / محمد خليل هراس : شرح العقيدة الواسطية — ص ١٦ — الجامعة الاسلامية المدينة المنورة — السعودية .

(٢) سورة الصافات / ١٨٠ — ١٨٢ .

(٣) سورة النمل / ٥٩ .

٢ — النبوة اصطفاء واختيار :

وقد قرر القرآن أن النبوة فضل إلهى وهبة ربانية يهبها الله تعالى لمن يشاء من عباده ، ويختص لها من يريد من خلقه وهى لا تنال برياضة واجتهاد ، ولا تدرك بكثرة الطاعة والعبادة ، ولا تجتبى بالجوع والظماء ، وإنما هى محض الفضل الإلهى ، والاصطفاء الربانى . قال تعالى (وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) . (١)

وأنها اصطفاء واختيار قال تعالى : (اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ) (٢)

وقال تعالى (وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ) (٣) .

وقال تعالى (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ) (٤) .

أى اختارهم وجعلهم صفوة خلقه . (٥)

وقال تعالى لموسى عليه السلام — (إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي) (٦)

وقال تعالى حكاية عن يعقوب ليوسف (وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) (٧)

وقال تعالى عن عيسى (إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ) (٨) .

كما أن النبوة أيضا لا تكون بالوراثة لأن الله تعالى يعد من يشاء لحمل رسالته وتبليغ أمانته ، ويصنعه على عينه . قال تعالى : (وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي) (٩) وقال تعالى (وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي) (٩) .

---

(١) سورة البقرة / ١٠٥ .
(٢) سورة الحج / ٧٥ .
(٣) سورة ص / ٤٧ .
(٤) سورة ال عمران / ٣٣ .
(٥) الفخر الرازى — التفسير الكبير جـ٨/٢٢ . دار الفكر . ط١/١٤٠١هـ — ١٩٨١م .
(٦) سورة الاعراف / ١٤٤ .
(٧) سورة يوسف / ٦ .
(٨) سورة الزخرف / ٥٩ .
(٩) سورة طـه / ٣٩ — ٤١ .

فإن حمل الرسالة و النبوة شاق و ثقيل ، و تكليف عظيم ، لا يقدر عليه إلا أولوا العزم من الرجال كما أعلم الله و رسوله محمدا — صلى الله عليه و سلم — مع بدايات الوحي قائلا له سبحانه (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) (١) .

فالإكرام بالرسالة — يرجع إلى اختيار الله وحده و اصطفاؤه لمن يشاء من عباده ولمن يعلم أنه كفوء لحملها قال تعالى : (.... اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ......) الآية (٢) .

يقـول ابن جرير مفسـرًا :

" يقول جل ثناؤه : " فأنا أعلم بمواضع رسالاتي و من هو لها أهل فليس لكم أيها المشركون أن تتخيروا ذلك على أنتم لأن تخير الرسول إلى المرسل دون المرسل إليه ، و الله أعلم إذا أرسل رسالة بموضع رسالاته " (٣) .

و قال تعالى (قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ .....) (٤) .

و قال عز وجل (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ....) الآية (٥) .

و هكذا تضافرت النصوص الشرعية و أقوال العلماء من أهل السنة على أن النبوة اصطفاء و اختيار من الله تعالى و ليس للعبد فيها كسب ، و إذا كان الله قد اصطفى أنبياءه من خيرة خلقه فهل يعنى ذلك أنهم خرجوا عن طور البشرية ؟

---

(١) سورة المزمل / ٥ .

(٢) سورة الأنعام / ١٢٤ .

(٣) ابن جرير الطبري : جامع البيان مجلد ٢ ج/ ١/ ٢٥ — دار الفكر — ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م .

(٤) سورة إبراهيم / ١١ .

(٥) سورة القصص / ٦٨ .

٣ـ بشـريـة الـرسـل :

إن اصطفاء الله تعالى لأنبيائه و رسله لا يخرجهم عن طور البشرية و لذلك يقرر القرآن الكريم أن رسل الله بشر كغيرهم من سائر الناس لا يتميزون عن الناس إلا بالنبوة و الرسالة .

قال تعالى (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ......) الآية (١).

فهم بشر يجوز عليهم ما يجوز على سائر البشر العاديين فيما لا علاقة له بما يختص بالنبوة . فهم يأكلون و يشربون قال تعالى مقررا ذلك (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ .....) (٢) .

و قال تعالى على لسان المخالفين للرسل , (.... مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ .....) (٣) .

وقال عن عيسى ـ عليه الصلاة و السلام ـ (مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ .....) (٤) .

كما أنهم يتزوجون و يتناسلون فيكون لهم أزواج و ذرية . قال تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ....) (٥) .

و من كان بشرا فهو معرض لأن يمرض . و تمتد إليه أيدى الأعداء و الظلمة . و ينالهم الاضطهاد و الأذى و قد يقتلون . و نهايتهم هى نهاية كل البشر و هى الموت قال تعالى , (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ .....) (٦) .

---

(١) سورة الكهف / ١١٠.
(٢) سورة الفرقان / ٢٠ .
(٣) سورة المومنون / ٣٣.
(٤) سورة المائدة / ٧٥.
(٥) سورة الرعد الاية / ٣٨.
(٦) سورة ال عمران الاية / ١٤٤.

وقال تعالى (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ......) (١) .

وقال تعالى مقرعا بنى إسرائيل (... قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (٢) .

فرسل الله وأنبياؤه بشر آدميون ، من سلالة آدم — عليه السلام — وهذه البشرية لا تنافى النبوة ولا تقدح فى شرف الرسالة ، ومن الحكم التى يمكن استنباطها من كون الأنبياء والمرسلين من البشر .

١ — أن اتصال البشر بالملائكة ليس بالأمر الهين بل هو أمر صعب للغاية لا يتحمله ولا يطيقه إلا من أعد إعدادا خاصا ليتلقى منه ، فالرسول — صلى الله عليه وسلم — مع كونه أفضل الخلق ، وهو على جانب كبير وعظيم من القوة الجسمية والنفسية عندما رأى جبريل على صورته أصابه هول عظيم ورجع إلى منزله يرجف فؤاده . (٣)

كما أنه — عليه الصلاة والسلام — كان يعانى من اتصال الوحى به شدة عظيمة يظهر ذلك من قوله — صلى الله عليه وسلم — عندما سئل عن كيفية إتيان الوحى له فقال : " أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده علىّ ....) (٤) قالت عائشة — رضى الله عنها — ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا " (٥) .

---

(١) سورة الزمر / ٣٠ .
(٢) سورة البقرة / ٩١ .
(٣) انظر فتح البارى جـ١ / ٢٣ . بتحقيق : الشيخ / عبد العزيز بن باز .
(٤) الحديث : صحيح البخارى كتاب بدء الوحى (١) باب (٢)
(٥) نفس المصدر .

فهذا من رحمة الله تعالى بعباده أن جعل النبي هو الذى يتلقى من الملك وحى الله ، ثم يبلغه الناس على مكث ، و تؤدة فيوضح غامضه و يبينه للناس . و لذلك كان أخذ البشر من الرسول البشرى أسهل و أيسر و أدعى للألفة و التعاون و الفهم (١)

٢ ـ أن سكان الأرض ليسوا من الملائكة فلو كان عمار الأرض ملائكة لأرسل الله إليهم رسولهم من أنفسهم قال تعالى : (قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) (٢)

أما و إن الذين يسكنون الأرض بشر فرحمة الله و حكمته تقتضى أن يكون رسولهم من جنسهم . (٣)

(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ) (٤).

٣ ـ أنه لو قدر أن الله تعالى أجاب الكافرين إلى ما طلبوه من أنه يرسل إليهم ملكا رسولا ، لأرسل سبحانه الملك فى صورة رجل بشرى ليتمكنوا من الانتفاع و الأخذ عنه و مخاطبته و الاقتداء به ، و يخوض معهم ميادين الحجاج و الجهاد و بذلك يعود الأمر بسيرته الأولى ولا لبس الأمر عليهم . (٥)

إن الله تعالى لم يرسل إلى البشر رسولا بشريا فقط ، بل جعل كل رسول يتكلم بلسان قومه ليبين لهم بلسانهم ما هم فيه مختلفون ، فتتحقق أهداف الرسالة و النبوة ، من بيان الحق و إقامة الحجة على الخلق .

---

(١) انظر الشيخ / عبد الرزاق عفيفى / مذكرة التوحيد ص ٤٠ ـ المكتب الاسلامى و انظر و انظر / د / عمر سليمان الاشقر ـ الرسل و الرسالات ص ٧٢ ـ مكتبة الفلاح ـ الكويت .

(٢) سورة الاسراء / ٩٥ .

(٣) مذكرة التوحيد ص/ ٤٠ .
الرسل والرسالات ص/ ٧٢ .

(٤) سورة آل عمران / ١٦٤ .

(٥) انظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج٣/ ٥٩ .
انظر الشيخ / عبد الرزاق عفيف : مذكرة التوحيد ص ٤٠، ٤١ ـ
انظر : د / عمر سليمان الأشقر : الرسل و الرسالات ـ ص ٧٣ ـ

٤ ـ الأنبياء عباد الله :

وإذا كان الأنبياء و الرسل بشرا مثل سائر الناس منهم عباد الله كغيرهم من سائر العباد يتوجهون إلى الله تعالى وحده بالعباده و اصطفاءهم لا يخرجون من طور العبودية بل هم القمة فى تحقيق العبودية لله رب العالمين ، و قد مدحهم الله تعالى بتلك العبودية فى أعلى المقامات و أشرفها فقال فى مقام التحدى للكافرين : (وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ)(١)٠

و قال فى مقام الإسراء (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ) (٢)٠

و قال فى مقام الوحى : (فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ) (٣)٠

و قال فى مقام الدعوة : (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا)(٤)٠

وأخبر سبحانه أن الأنبياء لا يستكبرون عن عبادته عز وجل فقال تعالى (لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ) (٥)٠

فالأنبياء و هم صفوة الخلق يذكرهم الله تعالى فى كتابه بوصف العبودية قال عز وجل (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ) (٦) ٠

وقال : (وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ) (٧) ٠

و قال : (وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ ....) (٨)٠

---

(١) سورة البقرة / ٢٣٠

(٢) سورة الإسراء / ١٠

(٣) سورة النجم ١٠٠

(٤) سورة الجن / ١٩٠

(٥) سورة النساء / ١٧٢٠

(٦) سورة ص / ١٧٠

(٧) سورة ص / ٣٠٠

(٨) سورة ص / ٤١٠

و قال عن امرأتى نوح و لوط عليهما السلام : (...... كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ) (١) . فوصف نوحا و لوطا بالعبودية .

وقال تعالى : (وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ) (٢)

و قال - صلى الله عليه و سلم - " لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله و رسوله " (٣) .

و قال - صلى الله عليه و سلم - و هو جالس على المنبر : " إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء و بين ما عنده ، فاختار ما عنده ....) (٤)

وكان العبد المذكور فى هذا الحديث هو نفسه - صلى الله عليه و سلم قال أبو سعيد الخدرى - رضى الله عليه و سلم - " فكان رسول الله - صلى الله عليه و سلم - هو المخير ، وكان أبو بكر هو أعلمنا به " (٥) .

و ذلك لأن أبا بكر - رضى الله عنه - بكى عندما سمع ذلك من النبى - صلى الله عليه و سلم - و قال : (فديناك بآبائنا و أمهاتنا ......) (٦) .

و قال - صلى الله عليه و سلم - " من شهد أن لا اله إلا الله و حده لا شريك له و أن محمدا عبده و رسوله . و أن عيسى عبد الله و رسوله ، وكلمته ألقاها إلى مريم و روح

---

(١) سورة التحريم / ١١ .

(٢) سورة ص / ٤٥ .

(٣) صحيح البخارى - كتاب الانبياء - باب (٤٨) ج ٤/١٤٢ .

(٤) الحديث : صحيح الامام البخارى - كتاب ٦٣ - مناقب الأنصار باب (٤٥) هجرة النبى - صلى الله عليه و سلم - ج ٤/ ٢٥٣ .

(٥) نفس المصدر السابق .

(٦) نفس المصدر السابق .

منه و الجنة حق و النار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل " (١) .

و لما سأل موسى — عليه السلام — عن أعلم منه من أهل الأرض أجابه ربه عز وجل قائلا : (بلى عبد من عبادى بمجمع البحرين .....) (٢). الحديث . وكان النبى — صلى الله عليه و سلم — يدعو فى الصلاة فيقول " و كلنا لك عبد " (٣).

و قال أيضا : " أنا محمد إنى عبد الله و رسوله " (٤).

و قال عن إبراهيم الخليل : " و أن إبراهيم عبدك و خليلك و نبيك " (٥).

---

(١) البخارى : كتاب احاديث الانبياء — باب (٤٧) جـ ٤ / ١٣٩ .

(٢) البخارى : تفسير سورة الكهف (١٨) جـ ٥/ ٢٣٢ وكتاب الأنبياء باب (٢٧) جـ٤/ ١٢٦ و احمد جـ٥/ ١١٦، ١٢٢ .

(٣) مسلم : كتاب الصلاة باب (٤٠) جـ ١/ ٣٤٧ .

(٤) مسلم : كتاب النكاح (١٦) باب (٢٢) جـ٢/ ١٠٦٤

(٥) مالك : الموطأ . كتاب الجامع — الدعاء للمدينة واهلها — ح رقم ١٥٩٤ ص/ ٤٩٦

٥ ـ لا يجوز التوجه إلى أحد من الأنبياء بالعبادة :

العبادة الخالصة هي من حق الله تعالى وحده على خلقه ، فإنه تعالى هو الخالق المنعم ، ومن كان بيده الخلق والإيجاد ، والإعداد والإمداد ، فهو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ومن ثم حرم التوجه إلى غيره سبحانه بشيء من العبادة القلبية أو العملية سواء كان ذلك الغير من الملائكة المقربين ، أم كان من الأنبياء والمرسلين .

قال تعالى : (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ....) (١).
أي أمر ووصى (٢). أن لا يتوجه لغير الله بأي عبادة مطلقا مهما كانت صفته ومكانته ، ولو كان نبيا من الأنبياء .

ذلك لأن العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعظيم لا يستحقها إلا من يصدر عنه نهاية الإنعام ، وقد ثبت أن المعطي لغاية الإنعام هو الله تعالى لا غيره ، فلا جرم كان هو سبحانه المستحق للعبادة لا غيره . (٣).

فهذا القصر والاستثناء ، هو معنى لا اله الا الله . (٤)

---

(١) سورة الاسراء / ٦٧.
(٢) ابن جرير عن ابن عباس وغيره جامع البيان جـ١٥/مجلد ٩ ـ ص ٦٢.
(٣) انظر الفخر الرازي : التفسير الكبير جـ ٢ / ١٨٥.
(٤) انظر سيد قطب : في ظلال القران جـ١٥/ مجلد ٤ ـ ص / ٢٢٢١.

وقد ورد ذلك القصر في آيات عديدة من آيات القرآن العظيم قال تعالى :
(أَلَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ، إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ) (١) .

وقال تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ . . . .) (٢) .

وقال تعالى : (. . . . . . إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ، أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ . .) (٣)
وغير ذلك من الآيات (٤) .

ولما كان الأنبياء أكمل الخلق إيمانا ، وأخلاقا وزهادة وتأثيرا على القلوب فقد يتوهم البعض أنهم يستحقون شيئا من العبادة أو التعظيم المخرج لهم عن حدود البشرية إلى مصاف الربوبية كما وقع ذلك من أهل الكتاب لذا نبه الله عز وجل على ذلك أعظم تنبيه فقال سبحانه (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ ، وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ، أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ) (٥) .

---

(١) سورة هود / ١ ، ٢
(٢) سورة هود / ٢٥ ، ٢٦ .
(٣) سورة يوسف / ٤٠ .
(٤) مثل سورة فصلت / ١٤ ، والاحقاف / ٢١ ، وسورة البقرة / ٨٣ .
(٥) سورة آل عمران / ٧٩ ـ ٨٠ .

قال ابن جرير : " و قيل إن هذه الآية نزلت فى قوم من أهل الكتاب قالوا للنبى — صلى الله عليه و سلم — أتدعونا إلى عبادتك " (١).

ثم ساق بسنده إلى ابن عباس قال : قال أبو رافع القرظى حين اجتمعت الأحبار من اليهود و النصارى من أهل نجران ، عند رسول الله — صلى الله عليه و سلم و دعاهم إلى الاسلام : أتريد يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم ، فقال رجل من أهل نجران نصرانى يقال له الرئيس : أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا ، أو كما قال ، فقال رسول الله — صلى الله عليه و سلم — معاذ الله أن نعبد غير الله ، أو نأمر بعبادة غيره ما بذلك بعثنى و لا بذلك أمرنى أو كما قال ، فأنزل الله عز وجل فى ذلك من قولهم (مَا كَانَ لِبَشَرٍ ....) إلى قوله (بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ) (٢).

و من هنا أنكر القرآن الكريم على أهل الكتاب ، عبادتهم للأحبار و الرهبان وعيسى بن مريم قال تعالى : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (٣).

دخل عدى بن حاتم الطائى على رسول الله — صلى الله عليه و سلم — و هو يقرأ هذه الآية ، فقال عدى : إنهم لم يعبدوهم ، فقال : بلى إنهم حرموا عليهم الحلال و أحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم " (٤).

---

(١) جامع البيان جـ٢ / مجلد ٣ — ص ٣٢٥ .
(٢) المصدر السابق نفسه .
(٣) سورة التوبة / ٣١.
(٤) رواه الترمذى : كتاب التفسير ، تفسير سورة براءة جـ٥ / ٢٥٩ رقم ٣٠٩٥ وقال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من طريق عبد السلام بن حرب ، وغطيف ابن أعين ليس بمعروف في الحديث ، وخرجه ابن جرير في تفسيره من طرق كثيرة انظر جامع البيان جـ١٠ / ١١٤ ، ١١٥ .

ولذلك فإن الله تعالى يُخَاطِبُ عيسى ابن مريم يوم القيامة بحضرة من اتخذه وأمه إلهين من دون الله ليقرعهم على رؤوس الأشهاد قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (١).

وقد حكم الله تعالى بكفر من قال إن المسيح هو الله أو من قال إنه ابن الله قال تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ) (٢) .

وقال تعالى (وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ) (٣) .

واذا كان لا يجوز لاحد من الناس ايا كان ان يتوجه الى احد من الانبياء ـ وهم افضل البشر ـ باى نوع من العبادة مهما كانت يسيرة ، فانه يحرم من باب اولى التوجه الى احد من البشر حيا او ميتا بشيء من العبادة ، كالدعاء او الاستغاثة او الذبح او النذر او غير ذلك ، ذلك لان العبادة حق الله تعالى على العباد ، فافراد الله تعالى بجميع انواع العبادة ، ونفي العبادة عن كل

---

(١) سورة المائدة / ١١٦.
(٢) سورة المائدة / ٧٢.
(٣) سورة التوبة / ٣٠.

ما سوى الله جل وعلا هو توحيد الألوهية ، وضدها صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله سبحانه ، وهذا هو الغالب على عامة المشركين ، وفيه الخصومة بين جميع الرسل وأممهم .

ولقد زين الشيطان — لعنه الله — لأتباعه وأوليائه تعظيم القبور والعكوف عليها فطافوا حولها وسعوا ، ونذروا لها وذبحوا ، وخافوها ورجوها من دون الله تبارك وتعالى .

قال ابن عباس — رضى الله عنه — في قوله تعالى : (... وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) قال : " هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح — عليه السلام — فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها انصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا ، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت " (١) ، وهكذا يفعل كثير من الناس اليوم من الاستغاثة بالأموات والطواف حول قبورهم ، يدعونهم ويتمسحون بأضرحتهم ، ويسجدون عند أعتابها ، يطلبون منهم قضاء الحاجات ، وتفريج الشدائد والكربات ، رغم أن هؤلاء الأموات جيف لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا فكيف يملكون لغيرهم ، وقد اتخذ الجهال ذلك دينا متبعا ، وأن " القرآن بل وجميع الكتب الإلاهية من أولها إلى آخرها مصرحة ببطلان هذا الدين وكفر أهله وأنهم أعداء الله وأعداء رسله وأنهم أولياء الشيطان وعباده ، وأنهم هم أهل النار الذين لا يخرجون منها وهم الذين حلت بهم المثلات ونزلت بهم العقوبات وأن الله سبحانه برىء منهم هو وجميع رسله ، وملائكته ، وأنه سبحانه لا يغفر لهم ولا يقبل لهم عملا ، وهذا معلوم بالضرورة من الدين الحنيف ، وقد أباح الله عزوجل لرسوله واتباعه من الحنفاء دماء هؤلاء واموالهم ونساءهم وأبناءهم وأمرهم بتطهير الأرض منهم حيث وجدوا وذمهم بسائر أنواع الذم وتوعدهم بأعظم أنواع العقوبة فهؤلاء في شق ورسل الله في شق " (٢) .

---

(١) صحيح البخارى — تفسير سورة (إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا ...) جـ٦/١٩٩ .

(٢) الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي : معارج القبول جـ١/٤٣٣ .

٦ ـ لم تخل أمة من رسول :

إن الله تعالى قد خلق الخلق لعبادته و توحيده و إقامة الشرع والعدل فى الأرض ، و أهلهم بفطرهم لتحمل ذلك (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) (١)

و فطرهم على اختلاف فى منازعهم ، و تعارض فى أفكارهم ، و حتى لا يتيه الإنسان ، و يضل فى معرفة خالقه و أسمائه و صفاته و أفعاله و يضل تفكيره عن البداية و النشأة ، و يحار فكره فى المآل و المصير ـ رحمه الله عز وجل و أرسل إليه الرسل ليبينوا له تلك المسائل مفصلة . (٢)

و اقتضت حكمته عز وجل أن يرسل رسولا يقوم بتبليغ رسالة ربه كما أمر ، ثم ينتهى أجله المقدر له ، و يحمل رسالته أتباع يبلغون عنه ميراثه الذى تركه فيهم ، و مع تطاول الزمن ، و امتداد الأيام تضعف هم الخلق فى حمل تلك الأمانة ، و تفتر عزائمهم فى تطبيق أحكامها فيتحللوا منها على المدى البعيد شيئا فشيئا حتى ينشأ أجيال لا يعلمون منها شيئا ألبتة ، فيقعوا فى الشرك و الوثنية و يرتكبون المعاصى و الموبقات ، و يطغى بعضهم على بعض بشتى أنواع البغى و الطغيان ، حتى إذا وصلت البشرية إلى مرحلة من الضلال والانحراف بحيث لا يهتدون إلى معرفة الحق و العدل أدركتهم عناية خالقهم فيرسل إليهم رسولا آخر ليردهم إلى الدين الصحيح ، و يبين لهم ما هم فيه مختلفون ، و تكر الأيام كرتها فيحدث ما حدث للشريعة السابقة و يبعد الناس عن دين الله ، لذلك اقتضت رحمة الله عز وجل أن يرسل فى كل

---

(١) سورة الاحزاب / ٧٢.

(٢) سيأتى تفصيل فى ذلك إن شاء الله عند الكلام على ضرورة النبوة للبشرية .

أمة رسولا يخرجهم من الظلمات إلى النور بدعوة أمته إلى التوحيد و إخلاص العبادة لله وحده .

قال ابن كثير : " فلم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك فى بنى آدم فى قوم نوح الذين أرسل إليهم نوح ، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم محمد - صلى الله عليه و سلم - الذى طبقت دعوته الإنس و الجن فى المشارق و المغارب " (١).

" .... فكيف يسوغ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ) (٢) .

و الحاصل أن القرآن الكريم قرر أنه لم تخل أمة من رسول يدعوهم إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له ، وإلى العمل بشريعته التى هى طريق السعادة فى الدنيا و الآخرة قال تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (٣).

قال ابن كثير " اى وما من أمة خلت من بنى آدم إلا و قد بعث الله تعالى إليهم النذر ، و أزاح عنهم العلل كما قال تعالى (إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) (٤).

(١) ابن كثير : تفسير القران العظيم ج٢/ ٥٦٨، ٨٦٩ - دار المعرفة - بيروت ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
(٢) سورة النحل / ٣٥. وانظر ابن كثير ج٢/ ٨٦٩ .
(٣) سورة النحل / ٣٦ .
(٤) سورة الرعد / ٧ ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج٣/ ٥٥٢.

وقال تعالى بعد ما حكى قصة نوح مع قومه ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ....﴾ (١).

ثم قال تعالى : ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ....﴾ (٢). أي متتابعين على فترات. قال ابن عباس : يعني يتبع بعضهم بعضا . (٣)

لقد كان ذلك التتابع للرسل من نعمة الله تعالى على عباده ورحمته بهم ، فهو لم يخلق الخلق عبثا ، ولم يتركهم هملا بل أمرهم بعباداته على ألسنة رسله ليقيم عليهم حجته البالغة ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (٤) .

---

(١) سورة المؤمنون / ٣١، ٣٢.

(٢) سورة المؤمنون/ ٤٤.

(٣) ابن جرير الطبري / جامع البيان جـ١٨ مجلد ١٠ — ص ٢٣ ، وابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ٣/ ٢٤٥ .

(٤) سورة النساء / ١٦٥.

٧ — الإيمـــان بجميــع الـرســل و الأنبيـــاء :

قد أوجب الله تعالى فى الإسلام الإيمان بجميع الرسل و الأنبياء من أولهم إلى خاتمهم محمد — صلى الله عليه وسلم — و لم يرد فى القرآن الكريم ذكر جميع الأنبياء و الرسل و إنما قص القرآن علينا بعضهم فقط ، قال تعالى : (وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ) (١).

و قال تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ) (٢).

فمن قصه الله وسماه فى كتابه منهم يجب علينا أن نؤمن بهم تفصيلا و هم خمسة وعشرون و قد نظم بعضهم فى ذلك فقال :

فــى تـلك حجتنـا منهـم ثمـانيـة — مـن بعـد عشـر ويبقـى سبعة وهـمُ
إدريس هـود شعيـب صـالـح وكـذا — ذو الكفـل آدم بالمختـار قـد ختموا (٣)

(١) سورة النساء / ١٦٤ .
(٢) سورة غافر / ٧٨ .
(٣) د / محمد خليل هراس : شرح العقيدة الواسطية ص / ١٧ — الجامعة الاسلامية وعبد العزيز السلمان : الكواشف الجلية عن معانى الواسطية ص / ٦٦ الأنبياء و الرسل الذين ذكرهم الله تعالى فى القران الكريم هم :
قال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ (١) آدَمَ (٢) وَنُوحًا ...) آل عمران / ٣٣
و قال تعالى : (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا (٣) إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ، وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ (٤) وَيَعْقُوبَ (٥) كُلًّا هَدَيْنَا ، وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ (٦) دَاوُودَ (٧) وَسُلَيْمَانَ (٨) وَأَيُّوبَ (٩) وَيُوسُفَ (١٠) وَمُوسَىٰ (١١) وَهَارُونَ ، وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٢) وَزَكَرِيَّا (١٣) وَيَحْيَىٰ (١٤) وَعِيسَىٰ (١٥) وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٦) وَإِسْمَاعِيلَ (١٧) وَالْيَسَعَ (١٨) وَيُونُسَ (١٩) وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ) الأنعام / ٨٣ — ٨٦ .
و قال تعالى : (وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ (٢٠) هُودًا ....) هود / ٥٠ الأعراف / ٦٥ =

فهؤلاء الذين ذكروا فى القرآن يجب الإيمان بهم تفصيلا و نؤمن إجمالا بـأن لله تعالى رسلا غيرهم و أنبياء لا يُحصِى عَدَدَهم إلاّ الله تعالى و لا يعلـم أسماءهم إلا الذى أرسلهم • (١)

قال تعالى : (وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ) (٢)•

أما الأسباط و هم أولاد يعقوب ـ عليهم السلام ـ فقد أشار القران اليهم اشارة مجملة لم يبين أسماءهم قال تعالى : (أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ •••••) (٣)

و قد أخبر النبى ـ صلى الله عليه و سلم ـ ببعض أسماء الأنبياء لم يخبر عنهم القرآن كمثل شيث و يوشع بن نون ـ عليهم السلام ـ

قال ابن كثير عن شيث ـ عليه السلام ـ و كان نبيا بنص الحديث الذى رواه ابن حبان عن أبى ذر مرفوعا أنه أنزل عليه خمسون صحيفة • (٤)

أما يوشع بن نون ـ عليه السلام ـ فالدليل على نبوته قول النبى ـ صلى الله عليه و سلم ـ " غزا نبى من الأنبياء فقال لقومه لا يتبعنى رجل قد ملك بضع امرأة وهـو يريد أن يبنى بها و لما سن ••• الحديث و فيه " ••••فأدنى من القرية حين صلاة العصر أو قريبا من ذلك ، فقال للشمس : أنت مأمورة و أنا مأمور اللهم احبسها عـلى

=و قال تعالى : (وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ (٢١) صَالِحًا ••••) هود / ٦١ الأعراف/ ٧٣
و قال تعالى : (وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ (٢٢) شُعَيْبًا •••) هود / ٨٤ الأعراف / ٨٥•
وقال تعالى : (••وَإِسْمَاعِيلَ (٢٣) و إِدْرِيسَ (٢٤) وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ) الأنبياء / ٨٥•
وقال تعالى : (٢٥) مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ••••) الفتح / ٢٩•
(١) انظر ابن تيميه : مجموع الفتاوى جـ٧ / ٣١٣• وانظر على بن ابى العز الحنفى / شرح
(٢) العقيدة الطحاوية ص/ ٣١١ ٨٧/ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ـ المكتب الاسلامى ـ انظر عبد العزيز السلمان :الكواشف الجلية عن معانى الواسطية ـ ٦٦ ط• ١/ ١٤٠١هـ ١٩٨١م•
(٢) سورة النساء / ١٦٤•
(٣) سورة البقرة / ١٤٠•
(٤) البداية و النهاية جـ١ / ٩٩•

شيئا ......) الحديث (١) .

وقد قال ابن حجر بأن ذلك النبي المذكور في الحديث هو يوشع بن نون .
واستدل بقوله — صلى الله عليه وسلم — " إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس " (٢) .

فهؤلاء الذين ذكرت أسماؤهم يجب الإيمان بنبوتهم كما وردت في النصوص الشرعية .

وقد ورد حديث يدل على أن الأنبياء والرسل جم غفير فعن أبي ذر — رضي الله عنه — قال : قلت يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا والرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جما غفيرا " (٣) .

قال شارح الطحاوية : " وأما الأنبياء والمرسلون فعلينا الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلا سواهم وأنبياء ، لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم ، فعلينا الإيمان بهم جملة لأنه لم يأت في عددهم نص " (٤) .

---

(١) متفق عليه ، وسبق تخريجه في مبحث التفريق بين النبي والرسول ص/٧٥ .
(٢) انظر : ابن حجر : فتح الباري جـ٦ / ٢٢١ — انظر ابن كثير : البداية والنهاية جـ١ / ٣٢٣ .
(٣) رواه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه ، وللحديث شواهد كما قال ابن حجر في تعليقه على موارد الظمآن ، ومن شواهده ما رواه ابن جرير في أول تاريخه وذكره صاحب مشكاة المصابيح جـ٣ / ١٢٢ قال محقق المشكاة الشيخ الألباني اسناده صحيح .
(٤) ابن أبي العز الحنفي : شرح العقيدة الطحاوية ص/ ٣١١ ، المكتب الاسلامي ط٨ / ١٤٠٤ هـ — ١٩٨٤ م — ت / الألباني .

وقال شارح الواسطية : " وأما من عدا هؤلاء - أي المذكورين في القرآن - من الرسل والأنبياء فنؤمن بهم إجمالا على معنى الإعتقاد بنبوتهم ورسالتهم دون أن نكلف أنفسنا البحث عن عدتهم وأسمائهم ، فإن ذلك مما اختص الله بعلمه " (١) .

---

(١) د / محمد خليل هراس / شرح العقيدة الواسطية - ص/ ١٧ - الجامعة الإسلامية - بالمدينه المنورة .

٨ — عدم التفرقة بين الانبياء والرسل :

الإيمان بجميع الأنبياء و الرسل ركن من أركان الدين و قد قرن الله تعالى أسماءهم باسمه تعالى ، فأصبح الإيمان بهم متمما للإيمان به تعالى . (١)

قال تعالى (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) (٢).

أما الإيمان بمحمد — صلى الله عليه و يلم — فهو رأس الإيمان و النبوات جميعا و قد جعل الله تعالى للإيمان بالأنبياء و الرسل هذه الرتبة و المنزلة لأن معرفة الله تعالى على وجهها الصحيح ، و فهم ما يريد لعباده و يطالبهم به إنما يكون عن طريقهم وحدهم . (٣)

و لذلك كان من آمن بالله ولم يؤمن برسله كافرا بالله و برسله جميعا لأن الله تعالى هو الذى أمر بالإيمان بهم و تصديقهم و متابعتهم .

---

(١) انظر : محمد الغزالى : عقيدة المسلم ص ٢٤٢ — دار احياء التراث الاسلامى قطر — الدوحة — بدون تاريخ .

(٢) سورة البقرة / ٢٨٥ .

(٣) الشيخ محمد الغزالى : عقيدة المسلم ص ٢٤٢ .

وكذلك من آمن برسل الله لزمه الإيمان بالله تعالى لأن الإيمان بالرسول يستلزم الإيمان بالذى أرسله وهو الله عز وجل ومن هنا يظهر تلازم أركان الإيمان بعضها مع بعض .

فمن تأمل حكمة الله عز وجل ورحمته بخلقه ، يجد أنه تعالى لم يكن ليخلق الخلق هملا ، أو يتركهم سدى بل كما أنه تعالى خلقهم وتكفل برزقهم طلب منهم الهداية والاستقامة بعبادته وحده لا شريك له ، والخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه ، وما أمر به وما نهى عنه ، وما أعده لأوليائه من كرامته . وما توعد به أعداءه من عذابه ، ولا يعرفون ما يستحق الله تعالى من أسمائه الحسنى وصفاته العليا التى تعجز العقول عن معرفتها ، وأمثال ذلك إلا بالرسل الذين أرسلهم الله تعالى إلى عباده (١) .

والناظر فى آيات القرآن يجد أن دعوة الأنبياء واحدة ،وهدفهم واحد هو تعبيد الناس لله عز وجل وقيادتهم تحت لواء التوحيد ولذا حرم الله التفريق بين بعض الرسل والبعض الآخر كما حرم التفريق من قبل بين الله ورسله - فمن آمن بجميع الرسل وكفر بواحد أو جحد كونه نبيا من عند الله فقد كفر بجميع الأنبياء والمرسلين ، لأنه فى الحقيقة تكذيب لجنس الرسالة والنبوة . قال تعالى : (إِنَّ

(١) انظر : ابن تيمية : الواسطة بين الحق والخلق ص ٧ ـ المكتب الاسلامى ط ٤ / ١٣٩٩هـ .

الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا) (١) .

ثم عقب سبحانه بعد هذه الآية بمدح المؤمنين بالرسل الذين لم يفرقوا بين أحد منهم ووعدهم بالأجر العظيم قال تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) (٢).

ولما كان الأنبياء دينهم واحداً " فإن تصديق بعضهم مستلزم تصديق سائرهم ، وطاعة بعضهم تستلزم طاعة سائرهم ، وكذلك التكذيب ، والمعصية لا يجوز أن يكذب نبي نبيا بل إن عرفه صدقه ، والا فهو يصدق بكل ما أنزل الله مطلقا .

وهو يأمر بطاعة من أمر الله بطاعته ، ولهذا كان من صدقه محمداً فقد صدق كل نبي ومن أطاعه فقد أطاع كل نبي ومن كذبه فقد كذب كل نبي ومن عصاه فقد عصى كل نبي " (٣).

ولذلك ليس بغريب أن يحكم الله على كل أمة كذبت رسولها أنهما

---

(١) سورة النساء / ١٥٠ ــ ١٥١.

(٢) سورة النساء / ١٥٢ .

(٣) ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ١٩ / ١٧٩، ١٨٥، ١٨٦ ، ١٩٣ .

كذبت المرسلين جميعا ٠

قال تعالى : (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ٠٠٠) (١)٠

قال تعالى : (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ٠٠٠) (٢) ٠

ولم يرسل إليهم قبل نوح أحدا (وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ ٠٠٠) (٣)

وقال : (كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ٠٠٠٠٠) (٤) ٠

وقال : (كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ٠٠٠٠) (٥) ٠

ومعلوم أن كل أمة كذبت رسولها ، فحكم الله عليهم أنهم كذبوا جميع المرسلين ، ذلك لأنه تكذيب بجنس الرسالة والنبوة ٠

قال ابن جرير فى تفسير قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ٠٠٠٠)الآيتان (٦) ٠

" يقول : (يعنى الله تعالى) : أيها الناس هؤلاء الذين وصفت لكم صفتهم هم أهل الكفر بى ، المستحقون عذابى ، والخلود فى نارى حقا ، فاستيقنوا ذلك ، ولا يشككنكم فى أمرهم انتحالهم الكذب ودعواهم أنهم يقرون بما زعموا أنه به مقرون من الكتب والرسل فإنهم فى دعواهم ما ادعوا من ذلك كذبة ، وذلك أن المؤمن

(١) سورة الشعراء / ١٦٠٠
(٢) سورة الشعراء / ١٠٥ ٠
(٣) سورة الفرقان / ٣٧ ـ ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج١٩ / ١٨٥٠
(٤) سورة الشعراء / ١٢٣٠
(٥) سورة الشعراء / ١٤١٠
(٦) سورة النساء / ١٥٠ ـ ١٥١ ٠

بالكتب و الرسل هو المصدق بجميع ما فى الكتاب الذى يزعم أنه مصدق به ، وبما جاء به الرسول الذى يزعم أنه به مؤمن .

فأما من صدق ببعض ذلك ، و كذب ببعض ، فهو لنبوة من كذب ببعض ما جاء به جاحد ، و من جحد نبوة نبى فهو به مكذب ، و هؤلاء الذين جحدوا نبوة بعض الأنبياء ، و زعموا أنهم مصدقون ببعض ، مكذبون من زعموا أنهم به مؤمنون ، لتكذيبهم ببعض ما جاءهم به من عند ربهم فهم بالله و برسله الذين يزعمون أنهم بهم مصدقون ، و الذين يزعمون أنهم بهم مكذبون كافرون .

فهم الجاحدون وحدانية الله و نبوة أنبيائه ، حق الجحود المكذبون بذلك حق التكذيب فاحذروا أن تغتروا بهم و ببدعتهم فإنا قد أعتدنا لهم عذابا مبينا " (١).

ثم ساق ابن جرير بسنده عن قتادة فى تفسير هذه الآية قوله أولئك اعداء الله اليهود و النصارى آمنت اليهود بالتوراة و موسى و كفروا بالإنجيل وعيسى ، و آمنت النصارى بالإنجيل وعيسى ، و كفروا بالقرآن و بمحمد - صلى الله عليه و سلم - فاتخذوا اليهودية و النصرانية و هما بدعتان ليستا من الله و تركوا الإسلام (٢) و هو دين الله الذى بعث به رسله " (٣).

---

(١) ، (٢) ابن جرير الطبرى : جامع البيان جـ٦/ مجلد ٤ / ص ٥ ، ٦ .
(٣) نفس المصدر .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "وجعل (أى الله تعالى " الإيمان متلازما ، وكفر من قال أنه آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض " (١) .

وقال تعالى : (وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) (٢) .

فإن الكفر بكل من هذه الأصول يستلزم الكفر بغيره ، فمن كفر بالله كفر بالجميع ، ومن كفر بالملائكة كفر بالكتب والرسل .

فكان كافرا بالله ، إذ كذب رسله وكتبه ، وكذلك إذا كفر باليوم الآخر ، كذب الكتب والرسل فكان كافرا " (٣) .

وقال أيضا : " .... فعلم أن التوحيد والإيمان بالرسل متلازمان وكذلك الإيمان باليوم الآخر ، فالثلاثة متلازمة ولهذا يجمع بينهما فى مثل قوله (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ، وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) (٤).

وأخبر فى غير موضع أن الرسالة عمت جميع بنى آدم ، فهذه الأصول الثلاثة : توحيد الله ، والإيمان برسله ، واليوم الآخر أمور متلازمة ، ولهذا قال سبحانه : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ

---

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ٣/١٢ .
(٢) سورة النساء / ١٣٦ .
(٣) ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ١٩ /٩٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ .
(٤) سورة الأنعام : ١٥٠ .

إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ) (١).

فأخبر أن جميع الأنبياء لهم أعداء وهم شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض القول المزخرف وهو المزين المحسن يغرون به ، والغرور : التلبيس والتمويه ..... ثم قال : (وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) (٢)

فعلم أن مخالفة الرسل ، وترك الإيمان بالآخرة متلازمان فمن لم يؤمن بالآخرة أصغى إلى زخرف أعدائهم فخالف الرسل (٣).

وقال ابن كثير "..... من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء ، فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض فمن رد نبوته للحسد أو للعصبية أو للتشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانا شرعيا ، إنما هو عن غرض وهوى وعصبية " (٤).

وقال أيضا "....فإنه من كفر بنبي واحد فقد كفر بسائر الرسل ولاسيما بسيد الأنبياء وخاتم المرسلين ورسول رب العلمين إلى جميع الإنس الجن من المكلفين ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر أنبياء الله أجمعين . (٥)

(١) سورة الانعام / ١١٢، ١١٣.
(٢) سورة الانعام / ١١٣.
(٣) ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ١٨/ ٥٦.
(٤) تفسير القران العظيم جـ١/ ٥٧٢ .
(٥) المصدر السابق جـ١/ ١٨٩.

قال تعالى : (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ، ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ) (١).

" ولا تحسبن هذا غلوا في تزكية مخلوق أو افتياتا على حق الخالق ، أو تجنيا على إتباع الرسل الأولين ، فإن عيسى وموسى – صلوات الله وسلامه عليهما – سارا بالناس على بصيرة ، وهم لا يدرون ما فعل أشياعهم من بعدهم ، ولو كانوا بيننا أحياء لكانوا أول من تبرأ من الكتب المدسوسة عليهم ، وأول من يستمع لآيات الذكر الحكيم ويبادر إلى تنفيذ احكامها ووصاياها .

ثم إن الله لما ضم الإيمان برسله إلى الإيمان به جعل الكفر بواحد منهم كفرا به جل شأنه ، وبهم جميعا ...... ومحمد – صلى الله عليه وسلم – خاتم المرسلين وأكمل الله به صرح النبوات وأتم به حقيقة الرسالات " (٢) .

قال الإمام القرطبي : " نص سبحانه على أن التفريق بين الله ورسله كفر ، وإنما كان كفرا لأن الله فرض على الناس أن يعبدوه بما شرعه على السنة الرسل فإذا جحدوا الرسل ردوا عليهم شرائعهم ، ولم يقبلوها منهم ، فكانوا ممتنعين من التزام العبودية التي أمروا بالتزامها فكان كجحد الصانع سبحانه وجحد الصانع كفر لما فيه من ترك التزام الطاعة والعبودية وكذلك التفريق بين الله ورسله " (٣).

---

(١) سورة محمد / ١ ، ٣ .

(٢) محمد الغزالي : عقيدة المسلم ص ٢٤٣ .

(٣) تفسير : الجامع لاحكام القران جـ ٦ / ٥ .

٩ ـ دين الأنبياء واحد :

وقد تتابعت رسالات الله تعالى فى نزولها على الأنبياء والرسل المتعددين طوال تاريخ الإنسانية إلى أن كان ختامها على يد خاتم النبيين والمرسلين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورسالات الله تعالى وإن تعددت بتعدد الرسل والأنبياء فهى تختلف فقط باختلاف الشرائع ، وأما من حيث العقائد فهى واحدة فالدين واحد وهو وحى الله إلى جميع أنبيائه ورسله وهو عبارة عن الأصول التى لا يتبدل بالنسخ ولا تختلف فيها الرسالات الإلهية . وهى هدى أبداً ، وأما الشرائع العملية فهى متفاوتة مختلفة إذ أن الله تعالى نزل من الشرائع ما يلائم حال الناس ولذلك تختلف الشرائع بحسب اختلاف الظروف والأحوال وهذه الشرائع هدى ما لم تنسخ فإذا نسخت لم تبق هديا .

يقول البيضاوى فى تفسير قوله تعالى (أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) (١) .

والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد وأصول الدين دون الفروع المختلف فيها فإنها ليس هدى ومضافا إلى الكل ولا يحكم الناس بهم جميعا " (٢) .

وروى الطبرى عن قتادة فى تفسير قوله تعالى (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) (٣) .

---

(١) سورة الانعام / ٩٠ .
(٢) البيضاوى : جـ١ ص ١٧٥ .
(٣) سورة المائدة / ٤٨ .

يقول سبيلا و سنة والسنن مختلفة للتوراة شريعة ، و للانجيل شريعة وللقران شريعة شريعة يحل الله فيها مايشاء ويحرم ما يشاء بلا ، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه و لكن الدين الواحد الذى لا يقبل غيره التوحيد و الإخلاص لله الذى جاءت به الرسل " (١)

و مما يؤيد ذلك أن الله تعالى قد دعا التوحيد وعبادة الله تعالى وحده لا شريك له وبعث على ذلك جميع الرسل قال تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (٢).

أى اعبدوا الله وحده و اتركوا عبادة ما سواه ، فهذا أمر التوحيد و هو إفراد الله الله بالعبادة ، و نهى عن الشرك .

و قال سبحانه (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) (٣)

وقال تعالى : (قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ) (٤)

و المقصود هنا أن أول دعوة الأنبياء جميعاً هو التوحيد قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ) (٥) .

و قال : (إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ) (٦) .

و قال تعالى : (وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ) (٧)

و تكررت نفس الدعوة و بنفس اللفظ على لسان صالح و شعيب و إبراهيم ، و الرسل جميعا .

---

(١) الطبرى : جـ٦/ ١٧٤.
(٢) سورة النحل / ٣٦.
(٣) سورة الأنبياء / ٢٥.
(٤) سورة الرعد / ٣٦.
(٥) سورة المؤمنون / ٢٣ ، سورة الأعراف / ٥٩.
(٦) سورة نوح / ٢ ، ٣.
(٧) سورة الأعراف / ٦٥.

ومما يدل على أن أول دعوة الأنبياء والمرسلين كانت إلى توحيد الله تعالى هو أن النبى - صلى الله عليه وسلم - مكث قرابة ثلاثة عشر عاما فى مكة يدعو الناس إلى لا إله إلا الله ، أى إلى توجيه الناس إلى الله تعالى وحده ، دون غيره ، وهو توحيد الطلب والقصد .

وكان إذا أرسل أحد الصحابة لدعوة الناس وتعليمهم كان يرشده إلى أن يبدأ دعوته بتوحيد الله ، فإنه - صلى الله عليه وسلم - لما بعث معاذا - رضى الله عنه - إلى اليمن قال له : " إنك تأتى قوما من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله " وفى رواية : " إلى أن يوحدوا الله ، : فإن هم أطاعوك لذلك ....) الحديث (١) .

فكلمة التوحيد لا إله إلا الله هى أول دعوة الأنبياء والمرسلين وهى أول واجب على المكلفين ، خلافا لما ذهب إليه أهل الكلام ، من أن أول واجب على المكلف هو النظر ، أو القصد إلى النظر ، أو الشك فى الله أو أول جزء من الشك إلى آخر ذلك الهذيان الذى ما أنزل الله به من سلطان .

فلا إله إلا الله هى أول واجب وآخر واجب ، وأول ما يدخل به العبد الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا كما قال - صلى الله عليه وسلم - " من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ....) الحديث (٢) .

(١) اخرجاه فى الصحيحين البخارى : كتاب التوحيد (٩٧) باب (١) ما جاء فى دعوة النبى - صلى الله عليه وسلم - إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، جـ٨/ ١٦٤ .
مسلم كتاب الإيمان (١) باب (٧) الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام
انظر : صحيح مسلم جـ١/ ٥٠ هـ ت - / محمد فؤاد عبد الباقى . ط ٢ ١٩٧٢م - دار إحياء التراث العربى - بيروت .
(٢) متفق عليه : البخارى :كتاب (٢٣) باب (٣) جـ٣ / ٨٢ .
مسلم - كتاب (١) باب (٤٠) .

فشهادة أن لا إله إلا الله كلمة قامت بها الأرض و السموات و خلقت لأجلها جميع المخلوقات ، وبها أرسل الله تعالى رسله و أنزل كتبه ، وشرع شرائعه ، و لأجلها نصبت الموازين ووضعت الدواوين ، و قام سوق الجنة و النار ، وبها إنقسمت الخليقة إلى المؤمنين و الكفار ، و الأبرار و الفجار ، فهى منشأ الخلق و الأمر و الثواب و العقاب ، وهى الحق الذى خلقت له الخليقة وعنها وعن حقوقها السؤال و الجواب ، وعليها يقع الثواب و العقاب ، وعليها نصبت القبلة وعليها أسست الملة ، ولأجلها جردت السيوف للجهاد ، وهى حق الله على جميع العباد فهى كلمة الإسلام ، و مفتاح دار السلام وعنها يسأل الأولون و الآخرون ، فلا تزول قدما العبد بين يدى الله حتى يسأل عن مسألتين :ـ

ماذا كنتم تعبدون ؟

وماذا أجبتم المرسلين ؟

فجواب الأولى : بتحقيق " لا إله إلا الله" معرفة و إقراراً وعملاً .

وجواب الثانية : بتحقيق " أن محمد رسول الله " معرفة و إقراراً و إنقياداً وطاعة . (١)

---

(١) ابن القيم : زاد المعاد فى هدى خير العباد جـ١/ ٣٤ . ت/ الأرنؤوط ـ ط٣ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

١٠ ـ ختم النبوة وعمومها :

وقد تعاقبت رسالات الله تعالى فى نزولها على الأنبياء والمرسلين إلى الناس أمة بعد أمة ، جيلا بعد جيل وكلها ذات هدف أساسه واحد وهو التوحيد والخضوع والإنقياد لله تعالى وحده ، وكلها تحمل اسما واحدا وهو الإسلام الذى دعا إليه جميع أنبياء ورسل الله تعالى ، وكان كل واحد منهم يصدق من سبقه من الأنبياء ويمهد لمن يأتى بعده حتى كان ختام الرسالات الإلهية على يد خاتم النبيين والمرسلين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد أخذ الله العهد والميثاق على الأنبياء أن يؤمنوا ويصدقوا بهذا الرسول الخاتم قال تعالى : (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ، قَالُوا أَقْرَرْنَا ...) (١).

وقد نص القرآن على أن رسالة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ختمت رسالات الله تعالى إلى الناس وأن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو خاتم الأنبياء والمرسلين قال تعالى (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) (٢).

وجميع المفسرين على أن الآية صريحة فى ختم النبوة بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال ابن جرير " ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذى ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة "

---

(١) سورة ال عمران / ٨١.
(٢) سورة الأحزاب / ٤٠.

ثم ذكر عن قتادة أنه قال : " خاتم النبيين " آخرهم " (١).

وقال القرطبي : " قال ابن عطيه : هذه ألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفا وسلفا متلقاة بالقبول على العموم التام مقتضية نصا أن لا نبي بعده — صلى الله عليه وسلم — (٢).

وقال ابن كثير : " .... فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بالطريقة الأولى والأحرى ....) (٣)

وقال الشوكاني : " خاتم الشيء آخره ، ومنه قولهم خاتمه المسك (٤)

وقال محمد جمال الدين القاسمي : " فتمت الرسالات برسالته إلى الناس أجمعين وظهر مصداق ذلك بخيبة من ادعى النبوة بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها " (٥).

كذلك كانت رسالته — صلى الله عليه وسلم — رسالة عامة .

فإذا كان كل نبي يبعث في قومه خاصة ، فإن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بعث للناس كافة ، من مشرق الأرض إلى مغربها بل إن رسالته — صلى الله عليه وسلم — قد شملت الثقلين جميعا الإنس والجن وكل من بلغه القرآن ، فهو حجة عليه ، وعليه أن ينضوي تحت رسالة الإسلام الخالدة .

(وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ) (٦).

---

(١) ابن جرير : جامع البيان / جـ٢٢ / ١٦.

(٢) الجامع لاحكام القران جـ١٤ / ١٩٦ .

(٣) تفسير القران العظيم جـ٣ / ٤٩٣ .

(٤) فتح القدير جـ٤ / ٢٨٥ .

(٥) محاسن التاويل ص/ ٤٨٦٦ .

(٦) سورة الانعام / ١٩.

وهذا العموم دليل على أنها هى الرسالة الخاتمة ، وأن محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو آخر الأنبياء والمرسلين . لأن رسالة الإسلام إذا كانت عامة شاملة لجميع الأمم على اختلاف أجناسها بما فى ذلك أمة العرب فانه لا مسوغ لأن يبعث فى أمة الفرس نبى ، أو فى أمة الروم وغيرهم . قال تعالى آمراً نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) (١)

قال ابن كثير : " يقول تعالى لنبيه ورسوله ـ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قل يا محمد يا أيها الناس ، وهذا خطاب للأحمر والأسود ، والعربى والعجمى: (إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) أى جميعكم وهذا من شرفه وعظمه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه خاتم النبيين ومبعوث إلى الناس كافة ...... وهو معلوم من دين الاسلام ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى الناس كلهم " (٢)

وقال تعالى فى إثبات عموم رسالته ـ صلى الله عليه وسلم ـ (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) (٣). فيقول " للعالمين " عموم يشمل الجن والإنس ومن كان فى عصره ومن ياتى بعده الى يوم القيامة (٤)

وقال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) (٥).
وقال تعالى : (وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ...) (٦).

---

(١) سورة الأعراف / ١٥٨.
(٢) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم .جـ٢ / ٢٥٤ ، ٢٥٥ .
(٣) سورة الفرقان / ١.
(٤) ابن جزى: تفسير التسهيل جـ٤ / ٧٤.
(٥) سورة سبأ / ٢٨ .
(٦) سورة النساء / ٧٩.

وقال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (١).

كما أن أخبار الله تعالى فى القرآن بكمال الدين وتمامه يعتبر دليلا أيضا على أنه ختام الرسالات السماوية وأن ختامها هو دين محمد — صلى الله عليه وسلم — وبالتالى فإن محمدا هو خاتم الأنبياء والمرسلين قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٢)

لقد امتن الله على عباده بإكمال الدين لهم، وإتمام النعمة عليهم وأنه قد ارتضى لهم الإسلام دينا، فلن يرضى دينا سواه.

ومعاذ الله أن يسلب الناس تلك النعمة التامة، سيما وأنه ارتضاها لهم.

وتعهد الله بحفظ الدين وأساسه وهو القرآن دليل أيضا على ختم النبوة بنبوة محمد — صلى الله عليه وسلم — قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (٣).

فلما كان الإسلام هو ختام الأديان، وكان عاما وشاملا لجميع البشر فى جميع البقاع والأحقاب إقتضى ذلك أن يحفظ الله أصله تاما سليما كاملا من غير زيادة ولا نقص، ومن غير تبديل ولا تغيير. بل كما أنزل صافيا نقيا ليبقى هو الحجة القائمة إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة الأنبياء / ١٠٧.
(٢) سورة المائدة / ٣.
(٣) سورة الحجر / ٩.

و ها هو القرآن كما أنزله الله تعالى : (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) (١) .

و الله تعالى لم يخبر بأنه سوف يبعث نبيا أو رسولا بعد محمد - صلى الله عليه و سلم - و لو كان نبي يبعث بعد محمد - عليه الصلاة و السلام - لأمرنا الله تعالى بالإيمان به و تصديقه و متابعته و لكنه لم يأمرنا بذلك و لا أخبرنا عز وجل بل أمرنا بالإيمان بمحمد و بالقرآن و بالكتب المنزلة من قبله ، فعلم من ذلك أنه لن يبعث بعد محمد نبيا ، و لن ينزل بعد كتابه كتابا .

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ، وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) (٢) .

فلو كان سيبعث بعد محمد رسلا لطالبنا بالإيمان بهم أيضا كما طالبنا بمن سبق من الأنبياء و الرسل هذه هي أدلة القرآن على ختم النبوة . (٣)

و لقد وردت في السنة النبوية أحاديث بلغ بعضها مبلغ التواتر في التصريح بختم النبوة و هذه الأحاديث وردت أيضا على أصناف فمنها الصريح بختم النبوة ، و منها الذي يفيد إنقطاع الوحي بعده . و منها ما ضربه الرسول - صلى الله عليه و سلم - مثلا لختم النبوة .

---

(١) سورة فصلت / ٤٥ .

(٢) سورة النساء / ١٣٦ .

(٣) و هي مستفاده من عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية : أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي - ص ١٩ ، و ما بعدها . ط ١/ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م دار طيبة للنشر و التوزيع - الرياض - السعودية .

فمن الأول : قوله ـ صلى الله عليه و سلم ـ " سيكون فى أمتى كذابون كلهم يزعم أنه نبى ، و أنا خاتم النبيين لا نبى بعدى " (١).

و قوله : " .... و أنا خاتم النبيين و لا فخر ...) " (٢).

و ذكر فى حديث الشفاعة أن الناس يقولون : " .... أنت رسول الله و خاتم الأنبياء " (٣).

و غير ذلك من الأحاديث التى يضيق بذكرها المقام .

و من الثانى : و هو التصريح بانقطاع الوحى و النبوة قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " .... أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة " (٤).

و قوله : " أن الرسالة و النبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى و لا نبى " (٥).

و قوله : " لا نبوة بعدى إلا المبشرات " (٦).

و قوله فى حجة الوداع " أيها الناس إنه لا نبى بعدى ولا

---

(١) سنن أبى داود ، و الترمذى ، و أحمد فى المسند جـ٥/٢٧٨ ، وله أصل فى صحيح مسلم ٤/٢٢١٥ ، و ابن ماجة جـ٢/١٣٠٤.

(٢) أحمد جـ١/٢٧ وحسنه صاحب مشكاة المصابيح ووافقه الألبانى جـ٣/١٢٨.

(٣) متفق عليه : صحيح البخارى المطبوع مع فتح البارى جـ٨/٣٩٥ ، مسلم جـ١/١٨٤

(٤) مسلم جـ١/٣٤٩ ، أحمد المسند جـ١/٢١٩ ، النسائى جـ٢/١٨٩. ابن ماجه جـ٢/١٢٨٣.

(٥) أحمد : المسند جـ٣/٢٦٧ ، الترمذى جـ٦/٥٥١ ، شرح تحفة الأحوذى والحاكم المستدرك جـ٤/٤٩١ و ذكر أنه على شرط مسلم . و أبو يعلى .

(٦) أحمد : المسند جـ٥/٢٥٤ و الطبرانى : انظر مجمع الزوائد جـ٧/١٧٣ و قال رجاله ثقات .

أمة بعدكم " (١) .

و قوله لعلى ــ رضى الله عنه " أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبى بعدى " (٢).

و من الثالث : و هو ضرب الأمثال لختم النبوة ، قوله ــ صلى الله عليه و سلم ــ " إن مثلى و مثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه و أجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون له و يقولون هلا وضعت اللبنة قال : فأنا اللبنة و أنا خاتم النبيين " (٣)

وروى هذا الحديث بروايات متعددة و فى كثير من دواوين السنة (٤).

و أخيراً قد أجمع الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ على قتال المتنبئين من بعده ــ صلى الله عليه و سلم ــ كما قاتلوا مسليمة الكذاب و أتباعه و غيرهم " (٥).

---

(١) الطبرانى : انظر : مجمع الزوائد جـ٨/ ٢٦٣.

(٢) البخارى : كتاب (٦٢) باب (٩) جـ٤/ ٢٠٨ ، ومسلم كتاب (٤٤) باب (٤) جـ٤/ ١٨٧١ ، وأحمد : فى المسند جـ١/ ١٨٥ ، ١٧٠ ، و أبو داود الطيالسى فى المسند بترتيب البنا المسمى بمنحة المعبود جـ٢/ ١١٠.

(٣) البخارى و اللفظ له : جـ٤/ ١٦٢ ، ١٦٣ ومسلم فى صحيحه جـ٤/ ١٧٩٠ ، واحمد فى مسنده جـ٢/ ٣٩٨ ، و الحميدى فى مسنده جـ٢/ ٤٤٨.

(٤) انظر فى هذه الادلة جميعا : عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية : احمد بن سعد حمدان الغامدى ــ دار طيبة .

(٥) نفس المصدر .

قال الشيخ / محمد الغزالى ،" محمد - صلى الله عليه وسلم - أكمل الله به صرح النبوات ، وأتم به حقيقة الرسالات ٠٠٠٠٠ فإذا جاء من يدعى النبوة بعده فهو كاذب ، ومن صدقه فى دعواه فهو كافر " (١)٠

(١) الشيخ / محمد الغزالى : عقيدة المسلم - ص / ٢٤٣ ، ٢٤٤ ٠

الفصل الثالث

ضرورة النبوة للبشرية والأدلة على ذلك

اولا : النبوة ضرورة لمعرفة الرب بأسمائه وصفاته وأفعاله .

ثانيا : النبوة ضرورة للنظام الاجتماعي .

ثالثا : النبوة ضرورة لمعرفة غيبيات اليوم الآخر .

لقد بذل العلماء جهدا طيبا ، وأسهموا إسهاما عظيما فى مدى حاجة الانسانية فى حالها و مآلها إلى أنبياء الله و رسله ـ صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين ـ فبينوا أن حياة الناس لا تستقيم ، و لا يمكن أن يتقدم الناس بل و لا تتحقق إنسانيتهم و تحفظ كرامتهم إلا ببعثة الأنبياء و فى ظل الشرائع الإلهية .

و قد أرشد القرآن الكريم إلى وجه الحاجة إلى الرسالة فى الآيات التى تتحدث عن وظيفة الرسل عليهم ـ الصلاة و السلام ـ من الهداية و التبشير و الإنذار و من هذه الآيات قوله تعالى: (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ..) (١)

(إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ) (٢) .

(وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (٣)

وقال تعالى (فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ...) الآية (٤) .

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا) (٥) .

(تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) (٦) .

---

(١) سورة البقرة / ٢١٣ .

(٢) سورة الاسراء / ٩ .

(٣) سورة الشورى / ١٠ .

(٤) سورة النساء / ٥٩ .

(٥) سورة الاحزاب / ٤٥ ، ٤٦ .

(٦) سورة الفرقان / ١ .

فهذه الآيات وغيرها تدل على أن البشر فى حاجة ماسة إلى هداية الأنبياء و الرسل لكى يعرفوا عن طريقها ما تعجز العقول عن الوصول إليه ٠

لأن النبوة روح العالم و نوره و حياته قال تعالى (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا) (١)٠

و الروح لا غنى عنها ، فإذا فقدها العالم ، فقد حياته و نوره الذى يهتدى به : (وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ) (٢)٠

و من هنا كانت البشرية فى حاجة أكيدة للهدى الإلهى و التشريع الربانى ٠

و مصداق ذلك ما نراه الآن أمام أعيننا فى هذه الحضارات المادية التى نبتت بعيدة عن روح النبوة ، و نور الرسالة ٠

لقد ذاق العالم ويلات التنازع و التقاتل و هو الآن مهدد بخطر الفناء و الدمار إن لم يرحمه خالقه فيهديه إلى الإسلام ٠ و الإنسان مخلوق ، حكم الله تعالى عليه بالضعف (وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا) (٣)٠ ومع ذلك فقد وهبه خالقه سبحانه طاقات عظيمة ، حتى يمكنه إعمار الأرض و تسخير كنوزها فى الخير و فى طاعة الله ٠

---

(١) سورة الشورى /٥٢٠

(٢) سورة النور /٤٠٠

(٣) سورة النساء / ٢٨٠

و لكن الناس خلقوا على طبائع و سجايا مختلفة فيما بينهم ، ففيهم من يبذل طاقته و يستفرغ وسعه لخير الناس ، و سعادة البشر ، و منهم من يبذل جهده وسعيه لكيد الناس ، والإيقاع بهم فى حبائل الشر ، و يتفنن في صنع وسائل الهلاك و الدمار ، كما سمعنا عما خلفته الحروب من القتل للملايين من البشر و النهب و السلب وضياع الأفراد و هدم المجتمعات .

و هكذا نجد أن أهل الخير قليل ، و أن أهل الشر و الفساد كثير ، بل إن الفاعل للخير قد يتوهم فى فعل من الأفعال أنه خير ، و هو في الحقيقة شر محض . فهذا ــ باختصار شديد ــ قصور الإنسان و ضعفه المحتاج إلى هداية خالقه العليم بما ينفعه وبما يضره (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)(١)

و هو أحوج إلى معرفة ما جاء به الرسول ــ صلى الله عليه و سلم واتباعه منه الى الطعام والشراب فإن الطعام و الشراب إذا فات حصل الموت فى الدنيا ، و ذاك و هو نور النبوة و الرسالة إذا فات حصل التيه و الضلال في الدنيا ، و العذاب فى الآخرة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :ــ

" فحق على كل أحد بذل جهده و إستطاعته فى معرفة ما جاء به رسول الله صلى الله عليه و سلم ــ و طاعته ، إذ هذا طريق النجاة من العذاب الأليم ،

---

(١) سورة الملك / ١٤ .

و السعادة فى دار النعيم " (١)٠

ثم يقرر شيخ الإسلام أن الرسالة ضرورية فى إصلاح العبد فى الدنيا و الآخرة ، أو فى المعاش و المعاد ، ولا صلاح للعبد ألبته إلا باتباع الرسالة فيقول :ـ

" و الرسالة ضرورية فى إصلاح العبد فى معاشه و معاده فكما أنه لاصلاح له فى آخرته إلا باتباع الرسالة فكذلك لاصلاح له فى معاشه و دنياه إلا باتباع الرسالة ، فان الإنسان مضطر إلى الشرع " (٢)٠

ثم يدلل على ضرورة الشرع للناس فيقول :ـ

" ٠٠٠٠ الإنسان مضطر إلى الشرع ، فإنه بين حركتين :ـ

ـ حركة يجلب بها ما ينفعه ٠

ـ و حركة يدفع بها ما يضره ٠

و الشرع هو النور الذى يبين ما ينفعه و ما يضره ،

و الشرع نور الله فى أرضه ، وعدله بين عباده ، وحصنه الذى من دخله كان آمنا " (٣)٠

وضرورة النبوة مبينة على ثلاثة أسس :ـ

الأول : عقيدة الألوهية التى هى فطرة فى الإنسان ٠

الثانى : الدافع الإجتماعى فى الإنسان و تنظيم علاقات البشر ٠

الثالث :الإيمان باليوم الآخر و تفصيل الثواب و العقاب ٠

---

(١) انظر : ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ١/ ٥ ، ٦٠

(٢) ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ١٩/ ٩٣٠

(٣) نفس المصدر ٠

ويظهر أن الرسالة ضرورية من هذه الوجوه الثلاثة لأن العقل لا يمكنه إدراك تفاصيل تلك الأصول الثلاثة ، بأى حال .

فهو لا يدرك تفاصيل حق الألوهية وما يجب لله تعالى الذى خلقه وأقر به بمقتضى الفطرة من صفات الكمال ، ونعوت الجلال ، وكذلك مآل البشر ومصيره بعد الموت ، هل الموت هو النهاية أم أنه بداية لحياة جديدة من نوع آخر ؟
وهى الدار الآخرة وكل ما يتعلق بها .

يقول شيخ الإسلام فى بيان ذلك :ـ
" ..... فالأصل الأول : يتضمن إثبات الصفات والتوحيد والقدر ، وذكر أيام الله فى أوليائه وأعدائه وهى القصص التى قصها على عباده والأمثال التى ضربها لهم .
والأصل الثانى : يتضمن تفصيل الشرائع ، والأمر والنهى والإباحة وبيان ما يحبه الله وما يكرهه .
والأصل الثالث : يتضمن الإيمان باليوم الآخر ، والجنة والنار والثواب والعقاب .

وعلى هذه الأصول الثلاثة مدار الخلق والأمر ، والسعادة والفلاح موقوفة عليها ، ولا سبيل إلى معرفتها إلا من جهة الرسل ، فإن العقل لا يهتدى إلى تفاصيلها ، ومعرفة حقائقها وإن كان يدرك وجه الضرورة إليها من حيث الجملة كالمريض الذى يدرك وجه الحاجة إلى الطب ومن يداويه ، ولا يهتدى إلى تفاصيل المرض وتنزيل الدواء عليه ، وحاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب فإن آخر ما يقدر بعدم الطبيب موت الأبدان ، وأما

إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة و حياتها مات قلبه موتا لا ترجى الحياة معه أبدا أو شقى شقاوة لا سعادة معها أبدا ، فلا فلاح إلا باتباع الرسول ، فإن الله خص بالفلاح أتباعه المؤمنين ، و أنصاره ، كما قال تعالى : (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (١)، أى لا مفلح إلا هم ، كما قال تعالى (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (٢).

فخص هؤلاء بالفلاح كما خص المتقين الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلاة ، و ينفقون مما رزقهم ، و يؤمنون بما أنزل إلى رسوله و ما أنزل من قبله ، و يوقنون بالآخرة و بالهدى و الفلاح فعلم بذلك أنه الهدى و الفلاح دائر حول ربع الرسالة وجودا وعدما . (٣)

فهذه الأمور الثلاثة أو الأصول الثلاثة لا تستقل عقول البشر و معارفهم المكتسبة بحواسهم بمعرفتها و الإحاطة بها ، و لا يذعنون فيها إلا لأمر ربهم و خالقهم .

و لنتناول كل وجه من هذه الوجوه الثلاثة بشى من التفصيل .

---

(١) سورة الأعراف /١٥٧.
(٢) سورة آل عمران / ١٠٤.
(٣) ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ ١٩ / ٩٦ ، ٩٧.

أولا — النبوة ضرورة لمعرفة الرب باسمائه وصفاته و افعاله ٠

الإسلام هو الفطرة التى فطر الله البشر عليها ٠ قال تعالى (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (١)٠

و هذه الفطرة هى التى تلح على الإنسان أن يتوجه بقلبه إلى خالقه بالتأله و التعظيم ، تجذبه لمحاولة معرفته سبحانه و الخضوع له فالإنسان ينظر إلى الطبيعة من حوله فيدهش من جمالها و سحرها وضخامتها ، وخطرها و يرى صفاء السماء ، وهى تزدان بالكواكب المضيئة اللامعة ، ثم قد ينقلب فجأة فيصير منبعا لعاصفة هوجا ، و أمطار غزيرة مدمرة ٠

ثم ينظر مثلا إلى الجبال يرى بعضها بطبيعتها الحجرية القاحلة الهامدة ، و يرى البعض الآخر مكسوا بالأشجار و الزروع و الخضرة يهب من أعلاها نسيم عليل يخلب اللب و يسحر النفس إذ بها تتحول فى وقت من الأوقات إلى براكين هوجاء تمج حميمها و تمطر أحجارا نارية و طينا ملتهبا لا تسقط على شئ إلا جعلته كالرميم ٠

(١) سورة الروم / ٣٠٠

ثم يتأمل الأنهار فيسحره جمالها ، تجرى بهدوء فى قلب سهولها الخضراء ، و تترقرق مياهها صافيا كرقة نسيم السحر ، تسير فيها المنشآت الجوارى كالأعلام ، تمخر عبابها ، و لكن لا تكدر صفوها بل انه يراها هادئة و كأنها غير شاعرة بما يسير فوق أمواجها ، ثم لا تلبث أن تضطرب المياه والأمواج فتسفر عن وجه آخر رهيب مرعب قاذفة بسيول جرارة هائجة يكسح ما فى طريقها و تعصف بما حولها من البلاد و العباد .

و من هذا المنطلق يفكر الإنسان فى أسرار هذا العالم وعجائبه ، و يشاهده مسيرا بحكمة بالغة و بدقة عالية ، و نظام صارم ، فيرى الشمس فى شروق و غروب مطرد و هى تجرى لمستقرها لها ، لا تغيب يوما ولو برهة عن موعد شروقها و لا تأبى يوما عن الرواح فى وقت غروبها ، ثم يرى القمر يتولد هلالا ، ثم يكمل حتى يصير بدرا ، ثم لا يلبث أن يعود كالعرجون القديم فيصير سرارا أو محاقا ، هذا النظام الدقيق (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ ، وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ، وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) (١).

ثم يتأمل ما ينتج عنهما من ليل أو نهار ، وما فى ذلك من مصالح الخلق و النبات و الحيوان (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ، قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ، وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا

---

(١) سورة الي‍ل / ٤٠ .

مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (١).

وَلَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الْكَوْنُ الْعَجِيبُ الرَّقِيقُ ، يَبْعَثُ فِي نَفْسِ الإنسان أن لذلك الكون مدبراً حكيماً ، وصانعاً خبيراً أتقن صنعه ، ودبر سننه على غاية من الكمال والجلال . (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ، وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) (٢).

(هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ، وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ، وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) (٣).

وبناء على هذا الشعور بعظمة خالق هذا الكون ومدبره ، ومحكم نظامه في الأنفس وفي الأفاق يندفع الإنسان اندفاعا شديدا متسائلا ، ومستفهما عن هذا الصانع العظيم ، الذي خضعت الفطر والعقول إلى الاعتراف به اضطرارا . مستدلة عليه بآثاره العظيمة لتردد نفس الأسئلة السابقة من أين ؟ وإلى أين ؟ من الصانع المدبر وما هي صفاته ؟ ما هو المآل والمصير ؟هل لهذا الكون نهاية ومتى ؟

(١) سورة القصص / ٧١، ٧٣.
(٢) سورة يونس / ٣١.
(٣) سورة النحل / ١٠ / ١٣.

هل هذا الخالق العظيم يستحق العبادة ، وإذا كان يستحقها هل أمرنا بها على وجه الوجوب أو الاستحباب؟ وما هى صفة تلك العبادة والتعظيم ؟

ولهذا فإن حكمة الله تعالى قد اقتضت ألا يترك عباده فى هذا الضلال وهذه الحيرة ، يتذللون ويخضعون للبشر أو للحيوان أو الجماد على وجه التأله والعبادة فتفضل الكريم سبحانه على البشرية بإرسال الأنبياء والرسل لتعريفهم بجلاله ، وصفاته وكماله وإجابتهم على جميع الأسئلة التى تعن لهم ، وأجهدوا أنفسهم فى البحث عن إجابتها .

قال تعالى (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِى وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢)

هُوَ الْأَوَّلُ ،

وَالْآخِرُ ،

وَالظَّاهِرُ ،

وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٣) .

هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ .

يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الْأَرْضِ ،

وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ،

وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ،

وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ،

وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ

تُرْجَعُ الأُمُورُ (٥) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ، وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦) . (١)

وقال تعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
هُوَ الرَّحْمَنُ ، الرَّحِيمُ (٢٢)
هُوَ اللَّهُ ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ ، الْقُدُّوسُ
السَّلَامُ ، الْمُؤْمِنُ
الْمُهَيْمِنُ ، الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ ، الْمُتَكَبِّرُ
سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) .
هُوَ اللَّهُ ، الْخَالِقُ ، الْبَارِئُ ، الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ، يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤)) (٢).

وقال تعالى : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (٢) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣)) (٣).

وقال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى ، يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٩٥) فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧) وَهُوَ

---

(١) سورة الحديد / ١ ، ٦ .
(٢) سورة الحشر / ٢٣ ، ٢٤ .
(٣) سورة الانعام / ١ ، ٣ .

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ، قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨) وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ، وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩) (١) .

وقال تعالى : (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) (٢) .

هذه هي حاجة الإنسان إلى معرفة ذلك الغيب المجهول منه ولا سبيل له إلى معرفته إلا عن طريق الرسل و الأنبياء .

---

(١) سورة الأنعام / ٩٥ ، ٩٩ .
(٢) سورة الأنعام / ١٠١ ، ١٠٣ .

ثانيا — النبوة ضرورة للنظام الاجتماعي " :

" ل واقع الإنسان و طبيعته على أنه لا يمكنه إلا أن يعيش في جماعة تضمه هو و بعض أفراد جنسه في مجتمع واحد . وعليه فإنه لا يستطيع أن يعيش فردا ، بمعزل عن بقية الأفراد الآخرين . يقول ابن خلدون : (٧٣٢ — ٨٠٨ هـ) " . . . إن الإجتماع الإنساني ضروري ، و يعبر الحكماء عن هذا بقولهم : (الإنسان مدني بالطبع) أي لا بد له من الإجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم و هو معنى العمران ، و بيانه أن الله سبحانه خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتها و بقاؤها إلا بالغذاء ، و هداه إلى التماسه بفطرته ، وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة على تحصيل حاجته "(١)

فكثرة احتياجات الإنسان و تعدد مطالبه ، تجعله في حالة افتقار شديد إلى غيره من البشر للتعاون معه ، و التعاون معهم لسد حاجاتهم الحياتية . ولا سيما في مجتمعاتنا الحديثة ، حيث تعددت الاختصاصات ، و تكاثرت الحرف و الصناعات ، و تشابكت المصالح ، تبعا لتطور الاجتماع البشري ، و التقدم العمراني و الحضاري . لذلك كانت الجماعة البشرية كلها محتاجة بعضها إلى بعض ، يؤدي كل فرد من الجماعة عملا يعود نفعه على الجميع فالنساج ينسج النسيج للناس ليواروا به سوآتهم ، فهم في حاجة إليه ، وهو يحتاج إلى خبز الخباز و يحتاج لسكنه إلى أن يبني

---

(١) : المقدمة جـ١/٣٣٧ — ت/ د . علي عبد الواحد وافي ط٣ . بدون تاريخ دار النهضة — مصر للطبع و النشر — القاهرة .

البنّاءُ له بيتا يسكنه فيه ، ولكى ينسج يحتاج إلى المزارع الذى يزرع القطن ويجنى له ثمرته ، وكذلك الخباز يحتاج إلى دقيق القمح الذى زرعه غيره كما أن المزارع فى حاجة إلى البناء والحائك والطبيب ، وهم بدورهم شأنه غيرهم محتاجون إلى الغير لتكميل مصالحهم . ولذلك قال الله تعالى (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (١) ويقول النبى — صلى الله عليه وسلم — "الله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه " (٢).

ومن هنا لا يمكننا أن نتصور إنسانا يعيش عيشة الإنسانية وهو منعزل تماما عن غيره ، أو أن يستطيع أن يوفر مطالب حياته بدون أن يحتاج إلى عمل غيره .

وفى وسط التعاون المتبادل تنشأ حقوق وواجبات وتعهدات والتزامات ، وبناء على ذلك تنشأ النزاعات والخلافات نتيجة لما قد يحصل من تقصير البعض عن الوفاء بواجباته تجاه الآخرين . ومن هنا اضطر الناس إلى شرع ينظم ويرسى بينهم قواعد العدالة ، وتفصيل ذلك على حقيقته لا يعرف إلا من جانب الرسل المبلغين عن الله تعالى شرعه وعدله بين العباد .

وغاية عقل الإنسان فى هذا الصدد أن يدرك على وجه الإجمال حاجته إلى شريعة تنظم حياته ومعاملاته ، وتضمنه له

---

(١) سورة المائدة/٢ .
(٢) صحيح مسلم : ت/محمد فؤاد عبد الباقى ج٤/ ٢٠٧٤ ط٣ دار إحياء التراث العربى — بيروت لبنان — ١٩٧٢ م كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار .

العدل فى الأولى ، والسعادة فى العقبى ، وذلك كما يدرك المريض أنه فى حاجة إلى طبيب يعالجه من مرضه ، ولكنه لا يستطيع أن يدرك تفاصيل المرض وتنزيل الدواء عليه .

قال شيخ الإسلام

" والشرع هو النور الذى يبين ما ينفعه وما يضره ، والشرع نور الله فى أرضه وعدله بين عباده ، وحصنه الذى من دخله كان آمناً " (١).

ولابن القيم فى هذا المعنى كلام جيد آثرنا أن ننقله زيادة فى إيضاح ذلك :

قال : " ..... غاية العقل أن يدرك بالإجمال حسن ما أتى الشرع بتفصيله أو قبحه ، فيدركه العقل جملة ، ويأتى الشرع بتفصيله . وهذا كما أن العقل يدرك حسن العدل ، وأما كون هذا العقل المعين عدلا أو ظلما فهذا مما يعجز العقل عن إدراكه ، فى كل فعل وعقد ، وكذلك يعجز عن إدراك حسن كل فعل وقبح ، وأن تأتى الشرائع بتفصيل ذلك وتبيينه ، وما أدركه العقل الصريح من ذلك أتت الشرائع بتقريره وما كان حسنا فى وقت ، قبيحا فى وقت ولم يهتد العقل لوقت حسنه من وقت قبحه ، أتت الشرائع بالأمر فى وقت حسنه وبالنهى عنه فى وقت قبحه ، وكذلك الفعل يكون مشتملا على مصلحة ومفسدة ولا تعلم العقول مفسدته أرجح أم مصلحته ، فيتوقف العقل فى ذلك ، فتأتى الشرائع ببيانه ، تأمر براجح المصلحة ، وتنهى من راجح المفسدة ، وكذلك الفعل يكون مصلحة لشخص مفسدة لغيره ، والعقل لا يدرك ذلك فتأتى

---

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى — ١٩ / ٩٩ .

الشرائع ببيانه فتأمر به من هو مصلحة له ، وتنهى عن من هو مفسدة فى حقه ، وكذلك الفعل يكون مفسدة فى الظاهر ، وفى ضمنه مصلحة عظيمة لا يهتدى إليها العقل فلا يعلم إلا بالشرع كالجهاد و القتل فى الله ، يكون فى الظاهر مصلحة و فى ضمنه مفسدة عظيمة لا يهتدى إليها فتجىء الشرائع ببيان ما فى ضمنه من المصلحة و المفسدة الراجحة ، هذا مع أن ما يعجز العقل عن إدراكه من حسن الأفعال و قبحها ليس يدون (١) ما تدركه من ذلك فالحاجة إلى الرسل ضرورية بل هى فوق كل حاجة فليس العالم إلى شىء أحوج منهم إلى المرسلين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ ..... فإذا كان العقل قد أدرك حسن بعض الأفعال و قبحها فمن أين له معرفة الله تعالى "بأسمائه وصفاته" ؟

و من أين له معرفة تفاصيل شرعه و دينه الذى شرعه لعباده ؟؟؟

و من أين له تفاصيل مواقع حبه و رضاه و سخطه و كراهيته ؟؟؟ و من أين له معرفة تفاصيل ثوابه وعقابه ، و ما أعد لأوليائه و ما أعد لأعدائه ، و مقادير الثواب و العقاب و كيفيتها و درجاتها ؟ (٢).

---

(١) أى ليس بأقل فى الأهمية و الحاجة إليه .

(٢) ابن القيم : مفتاح دار السعادة ج٢/١١٧، ١١٨.

و أرى أن أكمل كلام ابن القيم هنا لأنه كلام عظيم الفائدة قال : ...

"و من أين له معرفة الغيب الذى لم يظهر الله عليه أحدا من خلقه إلا من ارتضاه من رسله إلى غير ذلك مما جاءت به الرسل و بلغته عن الله ، و ليس فى العقل طريق إلى معرفته ، فكيف يكون معرفة حسن بعض الأفعال وقبحها بالعقل مغنيا عما جاءت به الرسل ، و قد ظهر بذلك قصور الفلاسفة فى معرفة النبوات ، و أنهم لا علم عندهم بها إلا كعلم عوام الناس بما عندهم من العقليات ، بل علمهم بالنبوات و حقيقتها وعظم قدرها ، و ما جاءت به أقل بكثير من علم العامة بعقلياتهم فهم عوام بالنسبة إليها ....

فلولا النبوات لم يكن فى العالم علم نافع ألبتة ، و لا عمل صالح ، و لا صلاح فى معيشه ، ولا قوام لمملكة و كان الناس بمنزلة البهائم و السباع العادية ، و الكلاب العاوية التى يعدو بعضها على بعض. وكل دين =

. . . .

= فى العالم فمن آثار النبوة وكل شىء وقع فى العالم أو سيقع فبسبب خفاء آثار النبوة و دروسها فالعالم حينئذ روحه النبوة و لا قيام للجسد بدون روحه و لهذا إذا اتم انكساف شمس النبوة من العالم ، و لم يبق فى الأرض شىء من آثارها ألبته انشقت سماؤه و تناثرت كواكبه وكورت شمسه ، و خسف قمره ، و نسفت جباله ، وزلزلت أرضه ، و أهلك من عليها فلا قيام للعالم إلا بآثار النبوة و لذلك كان كل موضع ظهرت فيه آثار النبوة فأهله أحسن حالا ، و أصلح بالا من الموضع الذى يخفى فيه آثارها و الجملة فحاجة العالم إلى النبوة أعظم من حاجتهم إلى نور الشمس و أعظم من حاجتهم إلى الهواء و الماء الذى لا حياة لهم بدونه ا ه‍ من مفتاح دار السعادة ج٢ / ٢ ، ١١٨ وزاد المعاد ١ / ١٥ .

ثالثا _ النبوة ضرورة لمعرفة غيبيات اليوم الاخر :

عقيدة الإسلام لا تكتمل إلا بالإيمان باليوم الآخر ، ولا يتم منهجها إلا به ، لأنه لا بد من عالم مرتقب يكمل فيه الجزاء _ وترد فيه الحقوق الضائعة والمظالم ، لا بد من عالم يتعلق به القلب وتحسب حسابه النفس ويقيم الإنسان نشاطه وأعماله فى هذه الأرض على أساس ما ينتظره هناك . (١)

إن النفس الإنسانية لا تتوازن إلا إذا أحست أن الجزاء يلاحقها والثواب أو العقاب على الأعمال ينتظرها . فهذا هو ثمرة الإيمان بالله تعالى المنطوية على الطاعة الكاملة له سبحانه ، ولقد علم سبحانه وتعالى أن هذه الطاعة لا تقع على وجهها الصحيح التام _ عند كثير من الناس _ بمجرد الإيمان بالله ، وإنما بالإيمان الراسخ بأن هناك بعثا وحسابا وثوابا وخوفا من العذاب والعقاب . (٢)

لقد رأينا فى هذه الحياة _ كما سبق الإشارة إليه _ أناسا اشتهرت نفوسهم بالخير ، ومعاونة الخلق والاندفاع نحو إسعاد الآخرين ورأينا فى المقابل من تمحضت نفوسهم للشر والبغى والعدوان ، ظلموا الناس واستعبدوهم ، وأذلوهم وقهروهم ، وقتلوا الرجال وسبوا النساء واسترقوا الزرارى بغير حق ، وظلموا العباد وأفسدوا فى البلاد .

---

(١) انظر : احمد فائز: اليوم الاخر فى ظلال القران ص/ ١٣ . ط١٣/١٤٠٠
(٢) انظر :محمد قطب : دراسات قرانية ص/٦٣، ٦٤ دار الشروق.

و قد نرى المظلوم و المكلوم يسكت أو يخضع لذلك الظلم و القهر إمـــا رغبة في الحصول على ما يقيت به نفسه و ذويه ، و إما رهبة من السلب و التعذيب و القتل .

فهل يستوى البار و الفاجر ؟؟ أم هل يستوى المحسن و المسيء ؟ أم هل يستوى في العاقبة من كان مؤمنا تقيا ، بمن كان جبارا شقيا ؟؟

إن الحكمة الإلهية و العدل الرباني ، يقضيان أن يكون هناك يوم تعود فيه الأمور إلى نصابها ، و الحقوق المسلوبة إلى أصحابها قال تعالى (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) (١).

و من هنا وجدنا القرآن الكريم كثيرا ما يربط بين الإيمان بالله بين الإيمان باليوم الآخر قال تعالى : (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ) (٢).
و قال تعالى : (ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ) (٣).
و قال تعالى : (يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ...) (٤).
و قال تعالى : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ) (٥).

---

(١) سورة الأنبياء /٤٧.
(٢) سورة البقرة / ١٧٧.
(٣) سورة البقرة /٢٣٢.
(٤) سورة آل عمران / ١١٤.
(٥) سورة الأحزاب / ٢١.

وقال تعالى فى شأن الكفار : (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ..) (١)
وقال تعالى عن المنافقين : (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) (٢).

إن الله تعالى قد كلف المؤمنين به إقامة دين الله وتمكينه فى الأرض ، لتكون كلمة الله هى العليا وليكون المنهج الربانى القائم بين الناس المهيمن على جميع معاملاتهم .

ولكن الباطل لا يترك الحق يشق طريقه لإقرار دين الله فى الأرض وفى عدله بين عباده .

والكفر لا بد من أن يصد الإيمان ، ويقف له بالمرصاد والمؤمنين حيال ذلك لا يجدون بدا من مقارعة الباطل وقتال الكفر الواقف فى طريق الحق .

إذا فلا بد من جهاد .

جهاد يحرم المؤمن حتى من المتاع المباح ، ويعرضه لأن يفقد ماله أو راحته أو أمنه أو أهله ، بل قد يعرضه للتعذيب والتشريد وقد يعرضه للموت بوسيلة من وسائل القتل ، وذلك غير القتال فى سبيل الله وما يصاحبه

(١) سورة التوبة / ٢٩ .
(٢) سورة البقرة / ٨ .

من المشقة و الحرمان الذى يصل إلى الموت فى ساحة القتال فماذا يعوض المؤمن عن ذلك كله ، ويغريه بتحمل العذاب فى الحياة الدنيا بشتى صنوفه ، إلا ذلك الإيمان الجازم بأن كل حرمان يتعرض له فى الأرض – فى سبيل مرضاة الله – جزاؤه النعيم الخالد الذى لا ينفذ ؟؟ و ماذا يمنعه من التقاعس – خوفا من عذاب الأرض – إلا الإيمان الجازم بأن عذاب الله عن هذا التقاعس هو العذاب الأشد و الذى يجل عن الإحتمال ؟؟ " (١)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ، إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٢)

(الـــم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)) (٣) .

وقال تعالى : (فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) (٤) .

و من هنا كانت حاجة الناس إلى النبوة لتعريفهم باليوم الآخر التى توضع فيه الموازين بالقسط . و بيان الحساب و العقاب أو الثواب ، و مقدار كل منهما . وما هى صورة النعيم و بما يصل العذاب الأليم . ما هى الجنة والنار ، و الصراط و الميزان و الحوض و أهوال الأحداث يوم القيامة ، من خشوع و همس و حر و كرب وزحام وشدة و شفاعة لأهل الموقف . إن هذا كله لا يمكن معرفته و الوقوف على حقيقته إلا من قبل الأنبياء و المرسلين المخبرين عن الله تعالى .

(١) محمد قطب : دراسات قرآنية ص/ ٦٧، ٦٨ ط ٦٨ – دار الشروق
(٢) سورة التوبة / ٣٨، ٣٩ .
(٣) سورة البقرة ١، ٤
(٤) سورة النجم / ٢٩ ، ٣٠

فإذا ثبت بذلك حاجة البشر إلى النبوة و الرسالة فما حكم النبوة و حكم إرسال الرسل ؟

أما أهل السنة فقد بينا فى الفصل السابق (١) أنهم يذهبون إلى أن بعثة الأنبياء ممكنة و جائزة ، وهى منحة إلهية و إصطفاء من الله تعالى لمن يشاء من عباده ، و أهل السنة لا يوجبون ذلك على الله كما أوجبه غيرهم ، إنما يوجبون على الله تعالى ما أوجبه على نفسه تفضلا و كرما كقوله تعالى (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) (٢)

لكن النبوة هبة من اللـــه ومنحة كما قلنا ، و قد بينا ذلك فى الفصل السابق فيبقى أن نبين حكم النبوة و إرسال الرسل عند المعتزلة و الأشاعرة .

---

(١) أنظر مبحث النبوة منحة إلهية ص/١٣٩ .
(٢) سورة الانعام / ٥٤ .

حكم إرسال الرسل عند المعتزلة :

يرى المعتزلة أن إرسال الرسل واجب على الله تعالى لأن فيه صلاحا للمكلفين ، ولأنه من مقتضيات عدله تعالى ، وذلك بناء على مذهبهم في التحسين والتقبيح العقليين ، وأن ما رآه العقل حسنا فهو حسن ، وأن ما رآه العقل قبيحا فهو قبيح ، وأيضا بناء على مذهبهم في وجوب فعل الصلاح والأصلح على الله تعالى لعباده ، يقول القاضي عبد الجبار " والأصل في هذا الباب أن نقول : أنه تقرر في عقل كل عاقل وجوب دفع الضرر عن النفس ، وثبت أيضا أن ما يدعو إلى الواجب ، ويصرف عن القبيح فإنه واجب لا محالة ، وما يصرف عن الواجب ويدعو إلى القبيح لا محالة إذا صح هذا وكما نجوز أن يكون في الأفعال ما إذا فعلناه كنا عند ذلك أقرب إلى أداء الواجبات واجتناب المقبحات ، وفيها ما إذا فعلناه كنا بالعكس من ذلك ، ولم يكن في قوة العقل ما يعرف به ذلك ، ويفصل بين ما هو مصلحه ولطف ، وبين ما لا يكون فلابد من أن يعرفنا الله حال هذه الأفعال ، كي لا يكون عائدا بالنقص على غرضه بالتكليف وإذا كان لا يمكن أن يعرفنا ذلك إلا بأن يبعث إلينا رسولا مؤيدا بعلم معجز دال على صدقه ، فلا بد من أن يفعل ذلك ، ولا يجوز الإخلال به ، ولهذه الجملة قال مشايخنا : إن البعثة متى حسنت وجبت " (١)٠

بيد أن المعتزلة لم يكونوا على وتيرة واحدة في هذا القول ، بل كان منهم" من قال : إنها واجبة مطلقا ،

ومنهم من قال : إذا علم الله من أمة النبي أنهم يؤمنون ، وجب إرساله إليهم وإلا بأن علم أنهم لا يؤمنون لم يجب الإرسال ، بل حسن قطعا لأعذارهم " (٢)٠

(١) القاضي عبد الجبار احمد الهمداني : شرح الأصول الخمسة ص/ ٥٦٤٠

(٢) الإيجي : المواقف ص/٢ ٤ ٥ ، وكذا الجرجاني : في شرح المواقف جـ٣/١٨٢٠

كما يرى المعتزلة أن البعثة لطف للمبعوث إليهم ، كما أنها لطف للمبعوث أيضاً يقول القاضى عبد الجبار : " إن البعثة لا بد من أن تكون لطفا لنا ، وكما تكون لطفا ، فلا بد أن تكون لطفا للمعبوث ، لأنه لا يجوز من الحكيم تعالى أن يحمل المكلف المشقة لنفع مكلف آخر فقط . " (١).

وهم يوجبون ذلك اللطف أيضا ، ويرون أن التكاليف السمعية ألطاف فى التكاليف العقلية (٢) ، واللطف واجب ، فالتكليف السمعى واجب وهذا التكليف السمعى الواجب لا يمكن معرفته إلا من جهة النبى ، فيكون وجود النبى واجبا ، لأن مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب (٣) واللطف عندهم ما يكون المكلف معه أقرب إلى فعل الطاعة وأبعد من فعل المعصية (٤) وقد استدلوا على كون التكليف السمعى لطفا فى التكليف العقلى ، بأن الإنسان اذا كان مواظبا وفعل الواجبات السمعية وترك المناهى الشرعية كان من فعل الواجبات العقلية ، والإنتهاء عن المناهى العقلية أقرب ، قالوا : وهذا معلوم بالضرورة لكل عاقل (٥).

كما استدلوا على وجوب اللطف بأن المكلف لا يمكن أن يطيع الله فى تكليفه إلا باللطف ، فلو كلفه من دونه كان ناقضا لغرضه ، فوجب اللطف عليه تعالى لأنه يحصل به غرضه بالتكليف وهو طاعة المكلف لله تعالى فى تكاليفه . (٦)

---

(١) القاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخسمة ص/ ٥٧٥ ، ٥٧٦ .
(٢) الشهرستانى : الملل والنحل ص/ ٤٥ .
(٣) انظر : ابن المطهر الحلى : كشف المراد ص/ ٢٧٣ .
(٤) انظر : الإيجى : المواقف ص/ ٣٢٨ ، وانظر : د / أحمد صبحى : نظرية الإمامة عند الشيعة الإثنى عشرية ص/ ٧٢ .
(٥) ابن المطهر الحلى : كشف المراد ص/ ٢٧٣ .
(٦) المصدر نفسه .

وهكذا نجد أن البعثة عند المعتزلة .... إنما وجبت بناء على وجوب اللطف (١)، وكذا بناء على وجوب الأصلح للعبد عندهم (٢)، ويتمسك القاضي عبد الجبار بالوجوب حتى يصل به الأمر إلى القول: "إنه تعالى إذا علم أن صلاحنا في بعثه شخص واحد بعينه وجب أن يبعثه بعينه ولا يعدل عنه إلى الغير، وإذا علم أن صلاحنا في بعثة شخصين وجب بعثهما لا محالة، ولا يجوز له الإخلال بهما، وكذلك إذا علم أن صلاحنا في بعثة جماعة وجب أن يبعث الكل، فأما إذا علم أن الصلاح معلق ببعثة كل واحد من الجماعة ـ على إنفراد فإنه يكون بالخيار إن شاء اختار هذا وإن شاء اختار غيره" (٣).

---

(١) انظر: الإيجي المواقف ص/ ٣٢٨.
(٢) المصدر نفسه ص/ ٣٢٩.
(٣) القاضي عبد الجبار: شرح الاصول الخمسة / ص/ ٥٧٥، ٧٦ طمعرفة رد ابن تيمية على هذا الايجاب انظر ص/ ١٣٦، ٣٢٨.

حكم إرسال الرسل عند الأشاعرة :

خالف الأشاعرة المعتزلة فى نظرية وجوب البعثة على الله ، حيث يرون إنها موهبة من الله تعالى و نعمة و منة على عبده ، و إنها جائزة الوقوع . و هم لا يوجبون شيئا عليه سبحانه بل يبنون أصولهم على إثبات الفاعل المختار ، قال الإيجى : " اعلم أن الأمة قد اجتمعت على أن الله لا يفعل القبيح و لا يترك الواجب ، فالأشاعرة من جهة أنه لا قبيح منه و لا واجب عليه ، و أما المعتزلة فمن جهة أن ما هو قبيح منه يتركه ، و ما يجب عليه يفعله " اهـ (١).

و معنى كلامه : أن إجماع الأمة قد انعقد على أن الله لا يفعل قبيحا ، و لا يترك واجبا (٢) ، فالأشاعرة يذهبون إلى ذلك بناء على أنه تعالى لا يصدر منه قبيح ، فكل أفعاله حسنه ، و إنه تعالى لا يجب عليه شئ ألبتة ، و من الأشاعرة من قال إن البعثة واجبة لما فيها من مصلحة وعاقبة حميدة ، و لكنه لا يقصد بذلك ما قصد إليه المعتزلة من الوجوب على الله تعالى بحيث يمدح إذا فعل ذلك ، و يذم إذا تركه ، و إنما يقصد إنها واجبة من جهة أن الحكمة تقتضيها ، و الله لا يجب عليه شئ و إنما هو يفعل ما يشاء و يختار (٣) . بل و نجد من الأشاعرة من يذهب إلى القول بأن بعثة الأنبياء ضرورية ، و أن الضرورة هنا عقلية و لا يجوز أن تتخلف . (٤)

---

(١) عبد الرحمن بن أحمد الإيجى / المواقف فى علم الكلام ص/ ٣٢٨.
(٢) انظر : ابن تيمية : منهاج السنة ج ١/ ١٣٤. ت د. محمد رشاد سالم .
(٣) التفتازانى : شرح العقائد النسفية ص/ ١٢٣.
(٤) انظر : الشهرستانى : نهاية الإقدام ص/ ٤٢٦.

وهكذا يتضح مما تقدم أن جمهور متكلمى الاشاعرة لا يوجبون على الله تعالى شيئا إنما هو الحاكم يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد (١)٠

و لكن الأشاعرة قد نحو منحى بعيدا فى مقابل ماغلا فية المعتزلة فبينما وجدنا المعتزلة — فيما تقدم — يوجبون على الله فعل الأصلح للعباد ، و يوجبون عليه اللطف ، و يوجبون عليه البعثة ، وجدنا الأشاعرة يقولون " لا يجب على الله شىء ، و يحسن منه كل شىء (٢) و إنما تنفى ما تنفيه بالخبر السمعى و نوجب وقوع ما يقع بالخبر السمعى أيضا " (٣)٠

بل ذهب الأشاعرة إلى جواز إثابة العاصى وعقوبة المطيع ، بناء على إثبات الإختيار المطلق ، و الإرادة المطلقة ، و القدرة غير المتناهية (٤) فـ" يجوز عندهم أن يعذب الله من هو من أبر الناس و أكثرهم طاعات و حسنات على سيئة صغيرة عذابا أعظم من عذاب أفسق الفاسقين ، و يجوز عندهم ان يغفر لأفسق الفاسقين من المسلمين و أعظمهم كبائر كل ذنب ، و يدخله الجنة إبتداء مع تعذيب ذلك فى النار على صغيرة " (٥)٠ و يجوز " أن يعذب الله جميع أهل العدل و الصلاح و الدين و الأنبياء و المرسلين بالعذاب الأبدى ، و أن ينعم

---

(١) انظر: الايجى : المواقف ص/ ٣٢٨٠

(٢) انظر الايجى : المواقف ص/ ٣٢٨، ٣٣٠، ٣٣١٠

(٣) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية جـ٢ / ٤١٥٠

(٤) انظر : الايجى : المواقف ص/ ٢٨٢٠

(٥) ابن تيمية : النبوات ص/ ٩٩

جميع أهل الكذب و الظلم و الفواحش بالنعيم الأبدى لكن بمجرد الخبر عرفنا أنه لا يفعل هذا " (١).

ولما كان الوجوب لدى المعتزلة مبنيا على وجوب فعل الأصلح و الحسن ، و أن الحسن و القبح عندهم مما يثبته العقل و يهتدى إليه و يحكم به فالأفعال حسنة أو قبيحة فى نفسها ، و الشرع كاشف و مبين ، و ليس له أن يعكس القضية (٢). ، رأينا الأشاعرة يقولون : " القبيح ما نهى عنه شرعا ، و الحسن بخلافه ، ولا حكم للعقل فى حسن الأشياء و قبحها ، و ليس ذلك عائدا إلى أمر حقيقى فى الفعل يكشف عنه الشرع ، بل الشرع هو المثبت له و المبين ، و لو عكس القضية فحسن ما قبحه ، و قبح ما حسنه لم يكن ممتنعا ، و إنقلب الأمر " (٣). ثم رتب الأشاعرة على ذلك ، القول بجواز تكليف مالا يطاق ،(٤) ثم انتهى بهم الأمر إلى نفى الحكمة عن أفعاله تعالى (٥) ، فهم ينفون أن يكون لشئ من أفعاله عز وجل علة مشتملة على حكمة تقتضى إيجاد الفعل أو عدمه ، حتى أنكروا كل لام تعليل فى القرآن ، و دليلهم على ذلك أن كونه تعالى يفعل شيئا لعلة ينافى كونه مختارا مريدا ، و يستلزم نقصه لذاته و هذا الأصل لديهم يطلقون عليه فى بعض مصنفاتهم : نفى الغرض عن الله ، و يعتبرونه من لوازم التنزيه ، و جعلوا أفعاله تعالى كلها راجعة إلى محض المشيئة و لا تعلق لصفة أخرى كالحكمة - مثلا

---

(١) ابن تيمية : النبوات ص/ ٩٨.
(٢) انظر : الايجى : المواقف ص/ ٣٢٣.
(٣) الايجى : المواقف ص٩ ٣٢٣.
(٤) انظر: الايجى المواقف / ٣٣٠.
(٥) ينبغى ان ننبه الى ان بعض الاشاعرة يرون مقتضى الحكمة و لكنهم يذهبون الى تفسيرها بعلمه بافعال عباده وايقاعها على الوجه الذى اراده ، و لم يثبتوا الا العلم والارادة و القدرة . انظر : ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج١/ ١٤١.

بهما قال صاحب المواقف :

" المقصد الثامن فى أن أفعال الله تعالى ليست معللة بالأغراض " (١).

ثم بين حجته فى ذلك فقال : " لو كان فعله تعالى لغرضه لكان ناقصا لذاته ، مستكملا بتحصيل ذلك الغرض " (٢).

فتبين من قولهم هذا أن الله تعالى لا يفعل شيئا لشىء ، إذ ليس شىء من الكائنات إلا فعلا له لا غرضا لفعل آخر . (٣).

فهذا هو حكم إرسال الرسل عند الأشاعرة و لسوف نعرض لمزيد من ذلك أيضا عند أهل السنة من خلال رد ابن تيمية على المتكلمين . (٤) وقد قلنا بأننا قد بينا مذهب أهل السنة فى حكم ارسال الرسل فى الفصل الثانى .

---

(١) الإيجى : المواقف ص/ ٣٣١. وانظر :
شرح الكبرى ص/ ٣٢٢ ، ٣٢٣.
شرح أم البراهين ص/ ٣٦.
ابن تيمية : النبوات ص/ ٢١٠ ، ٢٢١ ، ٢٣٣.
مجموع الفتاوى ج١٦/ ٢٩٩.

(٢) : المواقف فى علم الكلام : ص/ ٣٣١ ، ٣٣٢.

(٣) انظر : الإيجى : المواقف ص/ ٣٣٢.
انظر : محمد بن يوسف السنوسى : أم البراهين ، وفيها يقول : " و مما يستحيل فى حقه تعالى عشرون صفه " وعددها وذكر منها : أن " يتصف بالأغراض فى الأفعال و الأحكام " انظر فى ذلك : محمد بن عبد الرحمن المغراوى : المفسرون بين التأويل و الإثبات فى آيات الصفات ج١/ ٦٤.

(٤) انظر الفصل الخامس من هذا الباب ص/ ٢٩٨.

الفصل الرابع

طرق إثبات النبوة عند ابن تيمية

١ - إثبات النبوة لا يتوقف على المعجزة وحدها .

٢ - طرق إثبات النبوة كثيرة متعددة .

وهي أقسام ثلاثة :

المبحث الأول: ١ - أحواله وفيه مسلكان :

أ - المسلك النوعي .

ب - المسلك الشخصي .

١ - ما قبل البعثة .

٢ - ما بعد البعثة .

المبحث الثاني: ٢ - دعوته .

أو الدلالة الموضوعية للرسالة .

المبحث الثالث : ٣ - الآيات والبراهين أو المعجزات .

١ - إثبات النبوة عند ابن تيمية لا يتوقف على المعجزة وحدها .

يقرر ابن تيمية ان إثبات النبوات لها طرق متعددة ، و ليست طريقا واحدا (١) ففى حين وجدنا البعض من العلماء يثبت صدق النبوة بالمعجزة فقط ، فإننا نجد شيخ الإسلام يثبتها بالمعجزة وبغيرها من دلائل الصدق .

و لذا وجدناه يقول : " ... و لا ريب أن المعجزات دليل صحيح لتقرير نبوة الأنبياء ، لكن كثير من هؤلاء (٢) ، بل كل من بنى إيمانه عليها يظن أن لا تعرف نبوة الأنبياء إلا المعجزات " (٣).

و يقول : " و المقصود هنا إن طرقه العلم بالرسالة كثيرة جدا و متنوعه و نحن اليوم إذا علمنا بالتواتر أحوال الأنبياء ، و أوليائهم ، و أعدائهم ، علمنا علما يقينا أنهم كانوا صادقين على الحق من وجوه متعددة " (٤).

ثم يذكر ابن تيمية أن للناس علاقات و طرقا و أدلة متنوعة وكثيرة فى تمييز الصادق و الكاذب فيما هو دون دعوى النبوة فكيف بدعوى النبوة ؟؟ حيث قال : " ... فإن المقصود إنما هو معرفة صدق مدعى النبوة أو كذبه فإنه إذا قال إنى رسول الله فهذا الكلام إما أن يكون صدقا وإما أن يكون كذبا

(١) ابن تيمية : دقائق التفسير جـ١ / ١٥١. ت/ محمد السيد الجليند - مؤسسة علوم القرآن - دمشق - ط١ / ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م . وشرح الأصفهانية / ١٣١.

(٢) يعنى أهل الكلام و النظر : انظر الأصفهانية ص/٨٨.

(٣) ابن تيمية : شرح الاصفهانية ص/٨٨.

(٤) السابق ص/١٠٤ - انظر كذلك - ابن تيمية : دقائق التفسير - و شرح الأصفهانية ص/ ١٣١.

و إن شئت قلت هذا خبر ، فإما أن يكون مطابقا للمخبر و إما أن يكون مخالفا لــه سواء كانت مخالفته له على وجه العمد أو الخطأ ، إذ قد يظن الرجل فى نفســه أو غيره أنه رسول الله غير متعمد للكذب بل خطأ وضلال، كمثل كثير ممن يتمثل لــه الشيطان ، و يقول إنى ربك و يخاطبه بأشياء ، و قد يقول له أحللت لك ما حرمت على غيرك (١) و أنت عبدى ورسولى و أنت أفضل أهل الأرض ، و أمثال هذه الأكاذيب فإن مثل هذا قد وقع لكثير من الناس ، فإذا كان مدعى الرسالة لم يكن صادقا فلابد أن يكون كاذبا عمدا أو ضلالا ، فالتمييز بين الصادق و الكاذب له طرق كثيرة فيما هو دون دعوى النبوة فكيف بدعوى النبوة " (٢) .

و يذهب ابن تيمية مؤكدا على هذا المعنى إلى أن المعنى إلى أن مدعى النبــوة إن كان صادقا فلا بد أن يظهر صدقه بوجوه كثيرة ، و إن كان كاذبا فلابد أن يستبين كذبه بأمور كثيرة أيضا إذ أن الصدق مستلزم للبرور ، و الكذب مستلزم للفجور و يستدل على ذلك بحديث فى الصحيحين حيث يقول :

" كل شخصين ادعيا أمرا من الأمور أحدهما صادق فى دعواه و الآخر كاذب ، فلابد

---

(١) قال ابن تيمية فى : التوسل و الوسيلة ص/٢٨ و قد جرت هذه القصة لغير واحد من الناس فمنهم من عصمه الله و عرف أنه الشيطان كالشيخ عبد القادر فى حكايته المشهورة حيث قال : " كنت مرة فى العبادة فرأيت عرشا عظيما وعليه نور ، فقال يا عبد القادر أنا ربك و قد أحللت لك ما حرمت على غيرك قال فقلت له : أأنت الله الذى لا إله إلا هو ؟ ؟ إخسأ يا عدوا الله ، قال فتمزق ذلك النور و صار ظلمة ، و قال يا عبد القادر نجوت منى بفقهك فى دينك و علمك و بمنازلاتك فى أحولك ، لقد فتنت بهذه القصة سبعين رجلا . فقيل له كيف علمت أنه الشيطان قال بقوله لى حللت لك ما حرمت على غيرك ، و قد علمت أن شريعة محمـــد — صلى الله عليه و سلم — لا تنسخ ولا تبدل ، و لأنه قال أنا ربك و لم يقدر أن يقول أنا الله الذى لا إله إلا أنا . التوسل و الوسيلة ص/٢٨ المكتب الإسلامى ط٢/١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م .

(٢) ابن تيمية : شرح الأصفهانية ص/٨٩ .

أن يبين صدق هذا وكذب هذا من وجوه كثيرة ، إذ الصدق مستلزم للبر ، و الكذب مستلزم الفجور ، كما في الصحيحين عن ابن مسعود عن النبي — صلى الله عليه و سلم — أنه قال : " عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر ، و إن البر يهدى إلى الجنة و لا يزال الرجل يصدق و يتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، و إياكم و الكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور و إن الفجور يهدى إلى النار ، و لا يزال الرجل يكذب و يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا " (١).

و لهذا قال تعالى : (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ، يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) (٢) ، و بين سبحانه أنه ليس بكاهن تنزل عليه الشياطين ، و لا شاعر حيث كانوا يقولون ساحر و شاعر فبين أن الشياطين تنزل على الكاذب الفاجر ، يلقون إليهم السمع و أكثرهم كاذبون فهؤلاء الكهان و نحوهم وإن كانوا يخبرون أحيانا بشيء من الغيبيات و يكون صدقا فمعهم من الكذب و الفجور مايبين أن الذى يخبرون به ليس عن ملك و ليسوا بأنبياء " (٣).

ثم يوضح ابن تيمية أن :

صفة من تنزل عليه الشياطين ، غير صفة من تنزل عليه الملائكة المقربين . فمن عرف الرسول الصادق و صدقه ووفاء ، ومطابقة قوله لعلمه ، علم يقينا أنه ليس بشاعر ، أما الشعراء فيتبعهم الغاوون ، و الغاوى هو الذى يتبع هواه و لو كان فيه مضرته .

---

(١) الصحيحين البخارى ، ج ٧/ ٩٥ .
و مسلم ، ج٤ / ٢٠١٣ — ت/ محمد فؤاد عبد الباقى .

(٢) سورة الشعراء : / ٢٢١ / ٢٢٦.

(٣) ابن تيمية : شرح الأصفهانية ص/ ٩٠ ، و انظر : النبوات ص/ ٢٦٤ ، وما بعدها .

قال شيخ الإسلام : " ... بين الله سبحانه و تعالى أن الشعراء يتبعهم الغاوون ، و الغاوى الذى يتبع هواه ، و شهرته ، وإن كان ذلك مضرًا له فى العاقبة ، قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) (١) فهذه صفة الشعراء ، كما أن تلك صفة من تنزل عليه الشياطين ، فمن عرف الرسول و صدقه و وفاءه ومطابقة قوله لعلمه علم علما يقينا أنه ليس بشاعر و لا كاهن و لا كاذب " (٢)

حتى إن شيخ الإسلام يذهب أبعد من ذلك فى هذا الشأن فيقول : " و الناس يميزون بين الصادق و الكاذب بأنواع من الأدلة حتى فى المدعين للصناعات و المقالات كالفلاحة و النساجة و الكتابة و علم النحو و الطب و الفقة و غير ذلك فما من أحد يدعى العلم بصناعة ، أو مقالة إلا و التفريق فى ذلك بين الصادق و الكاذب له وجوه كثيرة و كذلك من أظهر قصدا و عملا كمن يظهر الديانة و الأمانة و النصيحة و المحبة و أمثال ذلك من الأخلاق فإنه لا بد أن يتبين صدقة و كذبه من وجوه متعددة " (٣)

لقد ردد ابن تيمية هذا المعنى ، و هو أن أدلة النبوة ، و براهين صدقها متعددة الطرق ، كثيرة الوجوه ، و أكد عليه كثيرًا فى مواضع كثيرة من مؤلفاته ، منكرا على من يقتصر على دليل واحد أو طريق واحد فى إثبات النبوة . و لعل فيما بيناه ووضحناه من منهجه فى هذا المبدأ الكفاية و بيان المقصود ، و سوف يتضح لنا أكثر إن شاء الله — عند عرض مناقشته للمتكلمين .

---

(١) سورة الشعراء / ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٢) ابن تيمية : شرح الأصفهانية ، وانظر بنحوه : النبوات ص/ ٢٧١ .

(٣) ابن تيمية : شرح الأصفهانية ص/ ٩١ . دقائق التفسير جـ١ / ١٥١ .

٢ ـ طرق إثبات النبوة كثيرة و متعددة :

و بعد أن رأينا ما قرره شيخ الإسلام و أكد عليه كثيرا من أن طرق إثبات النبوة كثيرة و متنوعة ، حيث يقول : " وآيات الله كثيرة متنوعة كآيات وجوده ووحدانيته ، وعلى قدرته وحكمته و رحمته سبحانه و تعالى و القرآن مملوء من تفصيل آياته و تصريفها ، وضرب الأمثال فى ذلك و هو يسميها آيات و براهين " (١)
و يقول ابن القيم : " فطرق الهداية متنوعة ، رحمة من الله بعباده و لطفا بهم لتفاوت عقولهم و أذهانهم ، و بصائرهم ..... " (٢) نشرع الآن فى بيان تلك الطرق التى أشار إليها فى مصنفاته . و يمكن تقسيم تلك الطرق إلى ثلاثة أقسام رئيسية : الأول : أحواله ، وفيه مسلكان :

أ : المسلك النوعى ,

ب : المسلك الشخصى ، و هو قسمان :

١ ـ ما قبل البعثة .

٢ ـ ما بعد البعثة .

الثانى : دعوته ، و هى الدلالة الموضوعية للرسالة .

الثالث : الآيات و البراهين الخارقة و هى (المعجزات) .

و سنتناول كل قسم من هذه الأقسام بشىء من التفصيل كل منها فى مبحث .

---

(١) ابن تيمية : النبوات ص/ ١١٤ .
(٢) ابن القيم : مفتاح دار السعادة جـ٢ / ١٣ .

المبحث الاول

أحواله ، وفيه مسلكان :

١ ـ المسلك النوعى :

و المقصود به النظر فى نوع ما حصل للنبى من بدايات الوحى و أوائل النبوة هل هو من نوع ما حصل للأنبياء قبله أم لا ؟؟ و هذا المسلك هو الذى إستدل به على صحة النبوة و صدق مدعيها أصحاب الآفاق الواسعة من البشر فقد استدل به ورقة بن نوفل ، و السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ و هرقل ، و النجاشى على صدق نبوة الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ حتى استبان لهم بهذا المسلك أن الذى أنزل على محمد هو وحى من الله تعالى ، كالذى حصل لموسى ـ عليه الصلاة و السلام ـ و سماه ورقه الناموس. (١)

فإن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما رجع إلى خديجة ـ رضى الله عنها ـ من غار حراء يرجف فؤاده بعد رؤيته لجبريل ـ عليه السلام ـ فطمأنته ، ثم إنطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ـ ابن عم خديجة ـ و كان امرءًا تنصر فى الجاهلية ، و كان يكتب العبرانى ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، و كان شيخا كبيرا قد عمى ، فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخى ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ خبر ما رأى ، فقال له ورقة ، هذا الناموس الذى أنزل على موسى

(١) الناموس: هو صاحب سر الملك ، وهو جبريل ، واهل الكتاب يسمون جبريل ـ عليه السلام ـ الناموس ، كما سماه ورقة ـ . لسان العرب جـ٦/ ٢٤٤ .

يا ليتني فيها جذعا (١) . ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك ، فقال : رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ أو مخرجي هم ؟ قال: نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ، ثم لم ينشب ورقة أن توفى ، وفتر الوحي " (٢).

وهذا المسلك أيضا قد استدل به النجاشي ملك الحبشة على صدق نبوة محمد ـ صلى الله عليه و سلم ـ ولذلك يقول ابن تيمية : " والمسلك الأول النوعي هو مما إستدل به النجاشي على نبوته ، فإنه لما استخبرهم عما يخبر به ، و استقرأهم القرآن فقرأوه عليه ، قال : إن هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة (٣) واحدة (٤).

---

(١) الجذع : بفتح الجيم والذال المعجمة ،معناه الصغير السن ، لسان العرب جـ٨/ ٤٣ ، ومعناه ليتني اكون شابا حين تظهر دلائل النبوة حتى ابالغ في نصرته ، انظر لسان العرب جـ٨ / ٤٥ .

(٢) البخارى : كتاب (١) بدء الوحي باب (١) جـ١ / ٣ .

(٣) قال في اللسان : " وفي حديث النجاشي : انما يخرج من مشكاة واحدة ، المشكاة الكوة غير النافذة ، وقيل هي الحديدة التي يعلق عليها القنديل ،

انظر : ابن منظور : لسان العرب جـ١٤ / ٤٤١ . ـ مادة شكا "

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية جـ١/ ٣٣٥، ٣٣٦ ـ ت / مصطفى السقا واخرين ، ط٢/ ١٣٧٥هـ=١٩٥٥م ـ شركة الحلبي وأولاده ـ بمصر .
ومسند احمد جـ١/ ٢٠٣ ، جـ٥/ ٢٩١ .

ب - المسلك الشخصي ، وهو قسمان :

ا - ما قبل البعثة : وفيه :

- شرفُ النسب .

- شرفُ الخُلُق .

- الدلائل الأخرى الحاصلة عند ولادته ، وأثناء نشأته الطاهرة .

ب ـ المسلك الشخصي :

ويطلق ابن تيمية هذا التعبير على ما يظهر من أحوال الانبياء وصفاتهم وخلقهم وشمائلهم سواء كانت قبل البعثة أم كانت بعدها فكلها تدل على عظيم صدقهم وكمال عقولهم ، وصفاء سلوكهم . فقد كانت أخلاقهم مضرب الأمثال ، وتفوقهم في المدارك العقلية والمواهب الروحية ، وما اشتهروا به بين الخلائق من مكارم الأخلاق وحميد الصفات دلائل واضحة على صدق نبوتهم ، وقد ذكر ابن تيمية بعض هذه الأحوال في كلامه عن النبوة .

وينقسم كلام ابن تيمية هنا عن المسلك الشخصي إلى قسمين نتكلم عنهما كما ذكرهما :

١ ـ ما قبل البعثة .

٢ ـ ما بعد البعثة .

١ ـ أحـوال الأنبيـاء قبـل البعـثـة :

لقد اشتهر الأنبياء بين أقوامهم بصدق الحديث ، وشرف الأمانة واستفاضت عنهم محامد الشمائل ، والبعد عن سفاسف الأمور ومساوئ العادات وصدق عليهم قول الله تعالى عنهم : (وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ) (١) . فهى خيرية مطلقة فى جميع الأفعال والصفات (٢) . ولثبوت تلك الخيرية للأنبياء والمرسلين ، سلم عليهم ربهم تبارك وتعالى : فقال : (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (٣) .

لقد اختارهم الله من أشرف الناس نسبا ، وأعلاهم حسبا ومعرفة النسب النبوى الشريف عنصر مهم جدا فى إثبات صدق النبوة قال ابن خلدون : فى علامات النبوة : " ومن علاماتهم أيضا أن يكونوا ذوى حسب فى قومهم " (٤).

ولقد قرر العلماء أن شرف النسب من دلائل النبوة ، روى البيهقى فى الدلائل بسنده عن واثلة بن الأسقع ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول اللـه

---

(١) سورة ص/ ٤٧ .
(٢) الفخر الرازى: التفسير الكبير جـ٢٦ مجلد ١٣ ص/ ٢١٧.
(٣) سورة الصافات / ١٨٠ ـ ١٨٢.
(٤) المقـدمـة جـ١/ ٤٠١ ت/د. على عبد الواحد وافى ط٣ ـ دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ القاهرة .

— صلى الله عليه و سلم — " إن الله عز وجل ، اصطفى بنى كنانة من بنى إسماعيل و اصطفى من بنى كنانة قريشا ، و اصطفى من قريش بنى هاشم ، و اصطفانى من بنى هاشم " (١).

و قال — صلى الله عليه و سلم — " إن الله عز وجل اختار ، فاختار العرب ، ثم اختار منهم كنانة ، أو النضر بن كنانة ، ثم اختار منهم قريشا ، ثم اختار منهم بنى هاشم ، ثم اختارنى من بنى هاشم . " (٢).

و قال أيضا : (" بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ " (٣).

و قال أيضا : " إن الله عز وجل يوم خلق الخلق جعلنى فى خيرهم ثم حين فرقهم جعلنى فى خير الفريقين ، ثم حين جعل القبائل جعلنى فى خير قبيلة ، ثم حين جعل البيوت جعلنى فى خير بيوتهم ، فأنا خيرهم نسبا و خيرهم بيتا " (٤)

---

(١) البيهقى : دلائل النبوة جـ١/ ١٦٥ ت/ عبد المعطى قلعجى — دار الكتب العلمية بيروت ط١/ ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥م . ومسلم : كتاب الفضائل (٤٣) باب (١) فضل نسب النبى — صلى الله عليه و سلم — جـ١٧٨٢/١. والترمذى : أول كتاب المناقب (٥٨٣/٥) و قال حديث حسن صحيح . وأحمد : المسند جـ١٠٧/٤.

(٢) البيهقى : دلائل النبوة جـ١٦٧/٤.

(٣) صحيح البخارى : كتاب المناقب (٦١) باب صفة النبى صلى الله عليه و سلم. (٢٣) جـ١٦٦/٤ .

(٤) البيهقى : دلائل النبوة جـ١٦٨/١.
الترمذى : فى كتاب المناقب (٥٠) جـ٦٥٣/٥ وقال هذا حديث حسن صحيح .
ابن ماجه : فى المقدمة باب (١١) حديث رقم (١٤٠) جـ٥٠/١.

وقد استدل هرقل بشرف نسب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على صدق نبوته ، عندما سأل أبا سفيان : كيف نسبه فيكم ؟ فقال أبو سفيان : هو فينا ذو نسب " (١) ثم قال هرقل : فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها .

بيد أن شرف النسب وحده غير كاف ليؤهل بشرا لحمل النبوة والرسالة لذلك كان مع علو النسب صدق الحديث والاتصاف بالأمانة ، كما قالت خديجة ـ رضي الله عنها ـ (٢) . وقد اشتهر عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ان أهل الجاهلية كانوا يلقبونه الصادق الأمين . (٣)

ومع صدق الحديث والأمانة ، تأتي صلة الرحم ، ومعونة المحتاج إلى عون ، ومواساة الفقير وغير ذلك من مكارم الأخلاق .

وهذا هو الذي ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية وسماه بالمسلك الشخصي (٤).

---

(١) رواه البخاري : كتاب بدء الوحي (١) باب (١) حـ١/٤ -

(٢) في الحديث الذي روته عائشة ، البخاري كتاب بدء الوحي (١) باب (٣)

(٣) ورد في حديث حسن رواه احمد (٣/ ٤٢٥) وله شاهد من حديث علي ، رواه الطيالسي في مسنده ٢ / ٨٦ ترتيب الشيخ عبد الرحمن البنا . انظر تحقيق الألباني على فقه السيرة للشيخ / محمد الغزالي ص / ٨٤ .

(٤) انظر : ابن تيمية : شرح الأصفهانية ص / ٩٣ .

إن النبي — صلى الله عليه و سلم — لما فجاءه الملك و هو في غار حراء و قرأ عليه أول سورة (اقرأ) فرجع بها يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد — رضي الله عنها — فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، فقال لخديجة : وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة : كلا و الله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، و تحمل الكل (١) وتكسب المعدوم (٢) وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق (٣) ... (٤) فهذا الذي أقسمت عليه — رضي الله عنه — وهي نفي الخزي عنه — صلى الله عليه و سلم — استدلت عليه بأن وصفته بأصول مكارم الاخلاق ، لأن الإحسان إما إلى الأقارب أو إلى الأجانب ، أو بالبدن أو بالمال ، و إما على من يستقل بأمره أو من لا يستقل وذلك كله مجموع فيما وصفته به (٥) قال : ابن حجر : وفي رواية المصنف في التفسير من طريق يونس عن الزهري من الزيادة " تصدق الحديث " وهي من أشرف الخصال (٦).

وهو شاهد قوي على ما نحن بصدده — فهذا طريق عظيم من طرق الاستدلال على إثبات النبوة و صدق مدعيها .

---

(١) الكل : بفتح الكاف الذي هو عيال وثقل على صاحبه ، اللسان جـ١١/ ٥٩٤ ، ومعناه في الحديث : الثقل من كل ما يتكلف ، اللسان جـ١١/ ٥٩٥ .

(٢) المعدوم : والعديم الفقير الذي لا مال له ، او انه يكسب الناس الشيء المعدوم الذي لا يجدونه مما يحتاجون اليه ، وقيل اراد بالمعدوم الفقير الذي صار من شدة حاجته كالمعدوم نفسه . اللسان جـ١٢/ ٣٩٣ .

(٣) " وتعين على نوائب الحق " كلمة جامعة لافراد ما تقدم و لما لم يتقدم . ابن حجر : الفتح جـ١/ ٢٥ .

(٤) صحيح البخاري : كتاب بدء الوحي (١) باب (١) جـ١/ ٣ .

(٥) ابن حجر : جـ١/ ٢٤ . — السلفية .

(٦) نفسه ص/ ٢٥ .

لقد قرر ابن تيمية أن مدعى الرسالة " إما أن يكون من أفضل الخلق وأكملهم ، وإما أن يكون من أنقص الخلق وأرذلهم ، ولهذا قال أحد أكابر ثقيف للنبى – صلى الله عليه وسلم – لما بلغهم الرسالة ودعاهم إلى الإسلام " والله لا أقول لك كلمة واحدة ، إن كنت صادقا فأنت أجل فى عينى من أن أرد عليك ، وإن كنت كاذبا فأنت أحقر من أن أرد عليك " فكيف يشتبه أفضل الخلق وأكملهم بأنقص الخلق وأرذلهم ، وما أحسن قول حسان :

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهته تأتيك بالخبر

وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لم له أدنى تمييز ، وما من أحد ادعى النبوة من الصادقين إلا وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز فإن الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور ، ويأمرهم بأمور ، ولا بد أن يفعل أمورًا " (١)

وهذا المسلك الشخصى هو ما استدل به أيضا هرقل ملك الروم على صدق نبوة النبى – صلى الله عليه وسلم – " فإن النبى – صلى الله عليه وسلم – لما كتب إليه يدعوه فيه إلى الإسلام ، طلب هرقل من كان هناك من العرب وكان أبو سفيان قد قدم فى طائفة من قريش فى تجارة إلى غزة فطلبهم وسألهم عن أحوال النبى – صلى الله عليه وسلم – وأمر الباقين إن كذب أن يكذبوه فصار يجدهم موافقين له فى الإخبار " (٢) .

---

(١) ابن تيمية : شرح الأصفهانية ص/٨٩ .

(٢) نفسه ص/ ٩٣ ، ٩٤ . حديث هرقل رواه البخارى كتاب بدء الوحى (١) باب (١) جـ١/٤ وفيه قال أبو سفيان : " ... ثم كان أول ما سألنى عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب . =

وبعد ان سأل " هرقل " أبا سفيان أكثر من عشرة أسئلة يستوضح منهـا صدق النبوة المحمدية ، بين لهم ما فى هذه الأسئلة من الدلالة على ذلك ، فهو سألهم عن أسباب الكذب وعلاماته فرآها منتفية ، و سألهم عن علامات الصدق فوجدها ثابتة (١)

= قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟؟؟
قلت : لا .
٣ ــ قال : فهل كان من آبائه من ملك ؟
قلت : لا .
٤ ــ قال : فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟
فقلت : بل ضعفاؤهم .
٥ ــ قال : أيزيدون أم ينقصون ؟
قلت : بل يزيدون .
٦ ــ قال : فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟؟
قلت : لا
٧ ــ قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟؟
قلت : لا
٨ ــ قال : فهل يغدر ؟
قلت : لا ، ونحن منه في مدة لا ندرى ما هو فاعل فيها .
٩ ــ قال : فهل قاتلتموه ؟
قلت : نعم ، قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه ، قال : ما ذا يأمركم ؟ قلت : يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة .... " صحيح البخاري حـ١/٤ .

(١) انظر : ابن تيمية : شرح الاصفهانية ص / ٩٤ .

ذلك حين أمر هرقل ترجمانه أن يقول لأبي سفيان .

١ ـ سألتك عن نسبه ، فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها .

٢ ـ وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول ؟ فذكرت أن لا . فقلت لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتي بقول قيل قبله .

٣ ـ وسألتك هل كان من آبائه من ملك ؟ فذكرت أن لا ، قلت فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه .

٤ ـ وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله .

٥ ـ وسألتك : أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل .

٦ ـ وسألتك : أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون وذلك أمر الإيمان حتى يتم

٧ ـ وسألتك : هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا .

وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب .

٨ ـ وسألتك : هل يغدر ؟ فذكرت أن لا .

وكذلك الرسل لا تغدر .

٩ ـ وسألتك : بما يأمركم ؟؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه . (١) .

---

(١) صحيح البخاري جـ١/٤ .

فهذا المسلك الشخصي الذى استدل به عقلاء الناس كخديجة ــ رضى الله عنها و هرقل ، على صدق نبوته ــ صلى الله عليه و سلم ــ و هذه هى أحواله قبل البعثة

و قد كان مما سأل عن هرقل أبا سفيان : هل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟ قال أبو سفيان : لا .

فالعادة أن الرجل يتبع عادة آبائه و قومه ، و كثيرا ما يقع الاقتداء من أصحاب الدعوات بأناس قبلهم ، يأتون بهم ، و ينسجون على منوالهم .

و لذلك يقول ابن تيمية :

" .... ولا ريب أن اتباع الرجل لعادة آبائه واقتدائه بمن كان قبله كثيرا ما يكون فى الآدميين بخلاف الإبتداء بقول لم يعرف فى تلك الأمة قبله ، و طلب أمر لا يناسب حال أهل بيته ، فإن هذا قليل فى العادة لكنه قد يقع . ولهذا أردفه بقوله : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فقالوا : لا ، قال فقد علمت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله . وذلك أن مثل هذا يكون كذبا محضا يكذبه لغير عادة جرت ، و هذا لا يفعله إلا من يكون من شأنه أن يكذب ، فإذا لم يكن من خلقه الكذب قط بل لم يعرف منه إلا الصدق و هو يتورع أن يكذب على الناس كان تورعه أن يكذب على الله أولى و أحق والإنسان قد يخرج عن عادته فى نفسه إلى عادة بنى جنسه ، فإذا إنتفى هذا وهذا كان هذا أبعد عن الكذب و أقرب إلى الصدق " (١).

---

(١) ابن تيمية : شرح الأصفهانية ص / ٩٤ .

وقد ينضم إلى ما سبق أدلة أخرى ، كثيرا ما يثبتها علماء الحديث والسير في مصنفاتهم على أنها من علامات النبوة ودلائلها ، وقد يفردون هذا الباب بمصنفات كما في دلائل النبوة للبيهقي ، ودلائل النبوة للأصفهاني ، وكتاب دلائل النبوة لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي ، وكذلك دلائل النبوة لأبي الحسن الماوردي .

ومن هذه الدلائل ، حبس الفيل عن مكة عام ولادته - صلى الله عليه وسلم - (١) ورؤية أمه النور عند ولادته وقد ملأ الآفاق (٢) ، وكذلك حادثة شق الصدر (٣) وهو رضيع ، وكذلك العلامات التي ظهرت في بني سعد أيام رضاعه ، ثم بعد ذلك نشأته الطاهرة وحفظ الله تعالى إياه ، من أقذار الجاهلية ، ثم بعد ذلك انقطاعه عن مشاركة أهل مكة في باطلهم ولهوهم ، وتحنثه في غار حراء . (٤)

---

(١) انظر : البيهقي : دلائل النبوة جـ١/ ١١٥ وما بعدها ، وابن هشام : السيرة النبوية جـ١/ ٤٩ - ٥١ ، وابو نعيم الاصفهاني : دلائل النبوة ص/ ١٠٠ - ١٠٨ ، وابن كثير : البداية والنهاية جـ٢/ ١٧٠ - ١٧٦ ، والحاكم في المستدرك جـ٢ / ٥٣٥ وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وهذا مشهور في كتب التفسير عند قوله تعالى : (الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل) .

(٢) انظر : البيهقي : دلائل النبوة جـ ١/ ٨٠ - ١٣٦ ، واحمد : المسند جـ٤/ ١٢٧ والحاكم : المستدرك جـ٢/ ٦٠٠ وصححه ووافقه الذهبي ، والهيثمي : مجمع الزوائد جـ٨/ ٢٢٣ ، وابن سعد : الطبقات جـ١/ ١٠٢ .

(٣) الصحيحين ، البخاري : كتاب بدء الخلق (٥٩) باب (٦) جـ٤/ ٧٧ ، مسلم كتاب الايمان (١) باب (٧٤) جـ ١/ ١٤٩ - ١٥٠ ، والنسائي جـ١/ ٧٦ ، والترمذي ، كتاب التفسير - تفسير سورة ٩٤ ، والبيهقي : الدلائل جـ١/ ١٣٥ ، ابن هشام السيرة جـ١/ ١٦٤ ، ابو نعيم : الدلائل ص/ ١١١ وابن كثير : البداية والنهاية جـ ٢/ ٢٧٥ ، السيوطي : الخصائص الكبرى جـ١/ ٥٤ . وكتب التفسير .

(٤) البخاري : كتاب بدء الوحي (١) باب (١) جـ١/ ٣ ، مسلم كتاب الايمان (١) باب (٧٣) جـ١ / ١٩٣ ، ابن هشام : السيرة النبوية جـ١/ ٢٣٤

وهذه الدلائل والعلامات المنضمة إلى ما سبق أن ذكره ابن تيمية قد أومأ إليه فى كتاب الجواب الصحيح " حيث قال (١) : " وآيات النبوة وبراهينها تكون فى حياة الرسول ، وقبل مولده ، وبعد مماته لا تختص بحياته فضلا عن أن تختص بحال دعوى النبوة أو حال التحدى ، كما ظنه بعض أهل الكلام ، بل لا بد من آيات فى حياته تدل على صدقه تقوم بها الحجة ، وتظهر بها المحجة ، كما قال النبى - صلى الله عليه وسلم - فى الحديث الصحيح : " ما من نبى من الأنبياء إلا وقد أوتى من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلىّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة (٢) .

ويقول ابن تيمية أيضا : " وسيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - من آياته وأخلاقه وأقواله وأفعاله وشريعته من آياته وأمته من آياته ، وعلم أمته ودينهم من آياته ، وكرامات صالح أمته من آياته ، وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد إلى أن بعث ، ومن حيث بعث إلى أن مات ، وتدبر نسبه وبلده ، وأصله وفصله فإنه كان من أشرف أهل الأرض نسبا من صميم سلالة إبراهيم ، الذى جعل الله فى ذريته النبوة والكتاب ، فلم يأت نبى من بعد إبراهيم إلا من ذريته .... وكان من أكمل الناس تربية ونشأة لم يزل معروفا بالصدق والبر والعدل ، ومكارم الأخلاق وترك الفواحش والظلم وكل وصف مذموم مشهودا له بذلك عند جميع من يعرفه قبل النبوة وممن آمن به وكفر بعد النبوة ، لا يعرف بشىء يعاب به ، لا فى أقواله ولا فى أفعاله ولا فى

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٤/ ٢٥٠ ، ٢٥١ - مطبعة المدنى : بدون تاريخ .

(٢) متفق عليه رواه البخارى فى صحيحه - كتاب (٦٦) فضائل القران باب (١) جـ٦/ ٩٧ . - وكذلك كتاب (٩٦) الإعتصام - باب (١) جـ٨/ ١٣٨ . - ورواه الإمام مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٧٠) - صحيح مسلم - جـ١/ ١٣٤ - ت/ محمد فؤاد عبد الباقى ط٢/ ١٩٧٢م .
ورواه أحمد فى المسند جـ٢/ ٣٤١ ، ٤٥١ .

أخلاقه ، ولا جُرِّبَ عليه كذبة قط ، ولا ظلم ولا فاحشة ، وكان خلقه وصورته من أكمل الصور وأتمها وأجمعها للمحاسن الدالة على كماله وكان أميا من قوم أميين ، لا يعرف لا هو ولا هم ما يعرفه أهل الكتاب ، من التوراة والإنجيل ، ولم يقرأ شيئا عن علوم الناس ، ولا جالس أهلها ، ولم يدع نبوة إلى أن أكمل الله له أربعين سنة فأتى بأمر وهو أعجب الأمور وأعظمها ، وبكلام لم يسمع الأولون والآخرون بنظيره

وأخبرنا بأمر لم يكن في بلده وقومه من يعرف مثله ، ولم يعرف قبله ولا بعده لا في مصر من الأمصار ، ولا في عصر من الأعصار ، من أتى بمثل ما أتى به ، ولا من ظهر كظهور ، ولا من أتى من العجائب والآيات بمثل ما أتى به ، ولا من دعا إلى شريعة أكمل من شريعته ، ولا من ظهر دينه على الأديان كلها بالعلم والحجة ، وباليد والقوة كظهوره " (١).

---

(١) ابن تيمية : دقائق التفسير جـ١/ ١٥٩ ت/محمد السيد الجليند ط٢ / ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤ م ـ مؤسسة ـ علوم القرآن ـ بيروت ـ دمشق .

٢ ـ مـــا بـعـــد الـبـعـثـــة :

١ ـ أتباع الأنبياء هم ضعفاء الناس .

٢ ـ أتباع الأنبياء يزيدون و لا ينقصون .

٣ ـ الغدر ليس من شيم الأنبياء .

٤ ـ محاربة الأنبياء و مسالمتهم تجرى على مقتضى الحكمة .

٥ ـ الكذاب لا يدوم حاله إلا مدة يسيرة .

٦ ـ الآثار الدالة على إكرام الله لأنبيائه ، و إهانه أعدائهم من قرى و مساكن .

٧ ـ الإستدلال على صدق النبوة بالنظر فى أطراف دعواها .

٨ ـ من آيات الله على صدق الرسل نصرهم على أعدائهم .

مـا بعـد البعثـة

وكما كانت أحوال الأنبياء قبل مبعثهم دليلا على صدقهم فكذلك أحوالهم بعد البعثة تدل دلالة أوضح من التي قبلها .

- فالأنبياء لا يتبعهم بادىء الأمر إلا ضعفاء الناس .

- وان أتباعهم يزيدون ولا ينقصون ، ولا يرتد منهم أحد بعد إيمانه . وأن الغدر والخديعة ليس من خلق الأنبياء ، وأن محاربتهم ومسالمتهم لأعدائهم تجرى على سنن الأنبياء السابقين قبلهم ، فى تمحيص المؤمنين ، ومحق الكافرين .

١ - أما كون أتباع الانبياء هم ضعفاء الناس :

فلقد جرت سنة الله تعالى مع أنبيائه ورسله - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أنهم لا يتبعهم بادىء الأمر إلا ضعفاء الناس دون أشرافهم ، باستثناء فرد أو فردين كأبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - فهذا نادر ، وهذا يعتبر علامة على نبوتهم لذلك قال تعالى حكاية عن قوم نوح - عليه السلام - : (قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ) (١) .

وقال تعالى عنهم أيضا : (مَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ) (٢)

وقال تعالى فى قصة صالح - عليه السلام - : (قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ، قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ) (٣) .

وقال تعالى فى قصة شعيب - عليه السلام - : (قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا

(١) سورة الشعراء / ١١١ .
(٢) سورة هود / ٢٧ .
(٣) سورة الاعراف / ٧٥ - ٧٦ .

كَارِهِينَ ، قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ، وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ، وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ، رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) (١).

و قد كان من أوائل من آمن بالنبى محمد ـ صلى الله عليه و سلم ـ آل ياسر عمار و أبوه و أمه سمية و قد بشرهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالجنة ، و سلمان الفارسى وزيد بن حارثة ، و صهيب بن سنان .

و هكذا مضت السنة الإلهية أن اتباع الأنبياء بادىء الأمر هم الضعفاء .

و لعل الحكمة فى ذلك هى أن الضعفاء " بفطرهم أقرب إلى الإستجابة للدعوة التى تحرر الناس من العبودية للكبراء ، و تصل القلوب بإله واحد قاهر عال على الأعلياء . و لأن فطرتهم لم يفسدها البطر و الترف ، و لم تعوقها المصالح و المظاهر عن الإستجابة . ولأنهم لا يخافون من العقيدة فى الله أن تضيع عليهم مكانة مسروقة لغفلة الجماهير و استعبادها للخرافات الوثنية فى شتى صورها ، و أول صور الوثنية الدينوية و العبودية و الطاعة و الاتباع للأشخاص الزائلة ، بدلا من الإتجاه بهذا كله لله وحده ، دون شريك ، فرسالات التوحيد هى حركات التحرير الحقيقية للبشر فى كل طور وفى كل أرض ، و من ثم كان يقاومها الطغاة دائما ، و يصدون عنها الجماهير ، ، و يحاولون تشويهها ، و اتهام الدعاة إليها بشر التهم للتشويش و التنفير " (٢).

أما الملأ من الكبراء " فتقعد بهم كبرياؤهم ، و تقعد بهم مصالحهم القائمة على الأوضاع المزيفة ، المستمدة من الأوهام و الأساطير التى تلبس ثوب الدين ، ثم هم فى النهاية يأنفون أن يسويهم التوحيد الخالص بالجماهير من الناس ، حيث تسقط

---

(١) سورة الاعراف / ٨٨ ـ ٨٩.

(٢) سيد قطب: فى ظلال القران جـ٤ / ٢ / ١٨٧٢. دار الشروق ط. ١٠/٢/١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢م.

القيم الزائفة ــ كلها ترتفع قيمة واحدة ، قيمة الإيمان و العمل الصالح ، قيمة واحدة ترفع قوما و تخفض آخرين ، بميزان واحد هو ميزان العقيدة و السلوك القويم "٠ (١)

قال ابن حجر : " إن أتباع الرسل فى الغالب أهل الإستكانة لا أهل الإستكبار الذين أصروا على الشقاق بغيا و حسدا كأبى جهل و أشياعه إلى أن أهلكهم الله تعالى ، و أنقذ بعد حين من أراد سعادته منهم " (٢)٠

ان ضعفاء الناس يجدون العدالة و المساواة فى كنف الأنبياء و المرسلين ، ويلتذون برحابة الإيمان ، و إنطلاقة الحرية من إستعباد البشر ، وهذا هو السر فى أن الذين يبادرون إلى الإيمان بالرسل هم الضعفاء فى الأعم الأغلب ٠

(١) سيد قطب : فى ظلال القران جـ٥/٢٦٠٧ ، ٢٦٠٨ ــ دار الشروق ــ ط١٠ ، ١٤٠٢ ، ١٩٨٢م٠

(٢) ابن حجر : فتح البارى جـ١/٣٦ ٠ الطبعة السلفية ٠

٢ـ أتباع الانبياء يزيدون ولا ينقصون :

ولقد سأل هرقل عن زيادة أتباعه ـ صلى الله عليه و سلم ـ ودوامهم على متابعته ، فأخبروه أنهم يزيدون و يدومون و هذا من علامات الصدق و الحق فإن الكذب و الباطل لا بد أن ينكشف فى آخر الأمر ، فيرجع عنه أصحابه ، و يمتنع عن من لم يدخل فيه ٠ (١)٠

٣ ـ الغدر ليس من شيم الأنبياء :

ثم يتطرق شيخ الإسلام بعد ذلك لسؤال هرقل عن الغدر ، فيقرر أن الغدر لا يصدر أبدا من الرسل ، لأن الغدر قرين الكذب ، فقد قرن النبى ـ صلى الله عليه و سلم ـ بينهما فى الحديث الصحيح ـ يقول ابن تيمية : " وأما القدر فإن الرسل لا تغدر أصلا إذ الغدر قرين الكذب كما فى الصحيحين عن النبى ـ صلى الله عليه و سلم ـ أنه قال : " آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان " (٢)٠ وفى الصحيحين أيضا عن النبى ـ صلى الله عليه و سلم ـ " أربع من كن فيه كان منافقا خالصا و من كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا أؤتمن خان وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر " (٣)٠

يقول ابن تيمية " الغدر و نحوه داخل فى الكذب كما قال تعالى : (وَمِنْهُم

(١) انظر : ابن تيمية : شرح الأصفهانية ص/ ١٥٠

(٢) صحيح البخارى كتاب الإيمان (٢) باب علامة المنافق (٢٤) جـ١/ ١٤
وصحيح مسلم :
كتاب الإيمان (١) باب خصال المنافق (٢٥) جـ١/ ٧٨ ت/محمد فؤاد عبد الباقى ٠

(٣) نفس المصدر السابق و الصفحة ، فى البخارى و مسلم ـ

مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ـ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) (١).

وقال تعالى : (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ، لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ) (٢).

فالغدر يتضمن كذبا في المستقبل والرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ منزهون عن ذلك فكان هذا من العلامات " (٣).

لقد أوجب الله الوفاء بالعقود والعهود فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ) (٤).

وقال عز وجل : (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) (٥).

وحرم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما يقابل ذلك وهو الغدر فقد صح عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : " لكل غادر لواء (٦) يوم القيامة ، يقال : هذه غدرة فلان " (٧).

وقال أيضا : " لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ألا لا غادر وأعظم غدرا من أمير عامة " (٨).

---

(١) سورة التوبة / ٧٥/ ٧٧.
(٢) سورة الحشر / ١١ ، ١٢.
(٣) ابن تيمية : الأصفهانية ص/ ٩٨.
(٤) سورة المائدة : / ١.
(٥) سورة الاسراء / ٣٤.
(٦) الغادر : هو من يعاهد ولا يفي بعهده واللواء : الراية العظيمة لا يمسكها إلا صاحب جيش الحرب وصاحب دعوة الجيش ويكون الناس تبعا . والمعنى أنه لكل غادر لواء أي : علامة يشتهر بها في الناس وكانت العرب تنصب الالوية في الاسواق لغدر الغادر ليشتهر.
(٧) البخاري : جـ٤/ ٧١ ـــ كتاب الجزية والموادعة (٥٨) باب (٢٢) والأدب (٩٩) والحيل (٩) ومسلم : جـ ٣/ ١٣٦٠ كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (٤) ح (١٧٣٦).

وقال ـ صلى الله عليه وسلم : قال تعالى (ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ ، رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا ثُمَّ أَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ " (١).

قال ابن بطال : " أشار البخارى بهذا إلى أن الغدر عند كل الأمم قبيح مذموم وليس هو من صفات الرسل " (٢).

ولا يتصور أن تكون هذه تعاليم ـ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا يلتزمها هو ، بل هى من صميم صفاته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد كان خلقه القرآن (٣) وقد كان أول المسلمين الملتزمين بأحكام الله تعالى .

٤ ـ محاربة الأنبياء ومسالمتهم تجرى على مقتضى الحكمة :

ولم يفت هرقل أن يسأل أبا سفيان عن محاربته ومسالمته ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبروه أنه فى الحرب تارة يَغْلِب كما غُلِبَ يوم بدر ، وتارة يُغْلَب كما غُلِبَ يوم أحد ، وأنه إذا عاهد لا يغدر (٤) . كما مر سابقا ـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

" . . . فهو لما كان عنده من علمه بعادة الرسل وسنة الله فيهم أنه تارة ينصرهم وتارة يبتليهم ، وأنهم لا يغدرون ، علم أن هذا من علامات الرسل فإن سنة الله

(١) صحيح البخارى : جـ٣/ ٤١ ـ كتاب البيوع (٣٤) باب (١٠٦).
(٢) ابن حجر : فتح البارى جـ٦/ ٢٧٦ ـ السلفية .
(٣) مسلم : كتاب صلاة المسافرين (٦) باب (١٨) جامع صلاة الليل ومن نام عنه وأحمد جـ٦/ ٥٤ ، ٩١ ، ١١١ ، ١٦٢ ، ١٨٨ ، ٢١٦ ، وابو داود ـ كتاب التطوع (٢٦) والترمذى : كتاب البر (٦٩) ، النسائي : قيام الليل (٢) .
(٤) انظر : ابن تيمية : شرح الاصفهانية ص/ ٩٦ .

في الأنبياء و المؤمنين ، أنه يبتليهم بالسراء و الضراء ، لينالوا درجة الشكر و الصبر (١) كما في الصحيح عن النبي — صلى الله عليه و سلم — أنه قال : " و الذى نفسي بيده لا يقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له و ليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، و إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له " (٢).

ثم يبين ابن تيمية الحكمة من إدالة العدو على الأنبياء وعلى المؤمنين من تمحيص المؤمنين ، و تمييزهم عن غيرهم ، و محق الكافرين ، مستشهدا على ذلك من القرآن الكريم فيقول : " .... و الله تعالى قد بين في القرآن ما في إدالة العدو عليهم يوم أحد من الحكمة فقال : ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ، وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (٣).

ثم يقول :

" فمن الحكم تمييز المؤمن عن غيره ، فإنهم إذا كانوا دائما منصورين لم يظهر لهم وليهم وعدوهم ، إذ الجميع يظهرون الموالاة ، فإذا غلبوا ظهر لهم عدوهم (٤) ، قال تعالى : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلِيَعْلَمَ

---

(١) ابن تيمية : شرح الأصفهانية ص/٩٦.
(٢) صحيح مسلم: جـ٤/ ٢٢٩٥ كتاب الزهد والرقائق (٥٣) باب (١٣) و نص الحديث " عجبا لأمر المومن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له ".
(٣) سورة آل عمران / ١٣٩ — ١٤١.
(٤) ابن تيمية : شرح الأصفهانية ص/٩٦.

الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ، يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ، الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا ، لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) (١) .

وقال تعالى : (الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤) مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧))(٢) إلى قوله : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠) وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ (١١)) (٣). وقال تعالى : (مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) (٤). وأمثال ذلك .

ومن الحكم أن يتخذ منكم شهداء ، فإن منزلة الشهادة منزلة عالية في الجنة ، ولا بد من الموت ، فموت العبد الشهيد أكمل له وأعظم لأجره وثوابه ،

(١) سورة آل عمران / ١٦٦ ــ ١٦٨.
(٢) سورة العنكبوت / ١ ــ ٧.
(٣) سورة العنكبوت / ١٠ ــ ١١.
(٤) سورة آل عمران / ١٧٩.

ويكفر عنه بالشهادة ذنوبه وظلمه لنفسه ، والله لا يحب الظالمين .

ومن ذلك أن يمحص الله الذين آمنوا ، فيخلصهم من الذنوب فإنهم إذا إنتصروا دائما حصل للنفوس من الطغيان وضعف الإيمان ما يوجب لها العقوبة والهوان ، قال تعالى : (إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا) (١) . وقال تعالى : (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧)) (٢) .

وفى الصحيحين عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : " مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تقيمها الرياح تقومها تارة وتميلها أخرى ، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تزال ثابتة على أصلها حتى يكون انجفافها مرة واحدة " (٣) .

ويبين ابن تيمية مصداق ذلك وهو أن أشد الناس بلاء الأنبياء فيقول :

" وسئل — صلى الله عليه وسلم — : أى الناس أشد بلاء ؟ فقال : الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل . يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان فى دينه رقه خفف عنه ، وإن كان فى دينه صلابة زيد فى بلائه ولا يزال البلاء بالمؤمن فى نفسه وأهله وماله ، حتى يلقى الله وليس عليه خطيئة " (٤)

وقد قال تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ

---

(١) سورة آل عمران / ١٧٨ .

(٢) سورة العلق / ٦ — ٧ .

(٣) البخارى : كتاب المرضى (٧٥) باب (١) جـ٧ / ٢ .
مسلم : كتاب صفات المنافقين وأحكامهم (٥٠) باب (١٤) جـ٤ / ٢١٦٣ . محمد فؤاد عبد الباقى .
الترمذى : الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى ، كتاب الأمثال (٤٥) باب (٤) حديث رقم ٢٨٦٦ . وأحمد : ٢ / ٢٣٤ ، ٢٨٤ .

(٤) رواه الترمذى : الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى جـ٤ / ٦٠١ ، ٦٠٢ كتاب الزهد (٣٧) باب (٥٧) وقال أبوعيس الترمذى " هذا حديث حسن صحيح " وصححه الألبانى فى فى الصحيحة جـ١ / ٢٦٥ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ وكذلك جـ٣ / ١٥٣ الحديث رقم ١١٦٥ .

مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) (١).

وهكذا يمضى ابن تيمية فى هذا الإتجاه مبينا أن شدة البلاء علامة من علامات سلامة دين العبد وقربه من ربه بدليل أن شدة المصاب وعظم البلاء إنما تقع للأنبياء ومن تبعهم على طريقتهم والأمثل فالأمثل ، يقول: وقد شهدنا أن العسكر إذا انكسر خشع لله وذل ، وتاب إلى الله من الذنوب وطلب النصر من الله ، وبرئ من حوله وقوته متوكلا على الله ولهذا ذكرهم الله بحالهم يوم بدر ، وبحالهم يوم حنين فقال (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣)) (٢).

وقال تعالى: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ، وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦)) (٣).

يقول ابن تيمية : " وشواهد هذا الأصل كثيرة ، وهو يجده الناس بقلوبهم ويعرفونه من أنفسهم ومن غيرهم وهو من المعارف الضرورية الحاصلة بالتجربة لمن جربها ، والأخبار المتواترة لمن سمعها .

ثم ذكر حكمة أخرى فقال , (وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ) (٤) وذلك أن الله سبحانه إنما يعاقب الناس بأعمالهم ، والكافر إذا كانت له حسنات أطعمه الله بحسناته فى الدنيا

---

(١) سورة البقرة / ٢١٤.
(٢) سورة آل عمران / ١٢٣.
(٣) سورة التوبة / ٢٥ — ٢٦ .
(٤) سورة آل عمران / ١٤١.

فإذا لم تبق له حسنة عاقبه بكفره ، والكفار إذا أديلوا يحصل لهم من الطغيان والعدوان وشدة الكفر والتكذيب ما يستحقون به المحق ، ففي إدالتهم ما يمحقهم الله به " (١)

٥ ـ الكذاب لا يدوم حاله إلا مدة يسيره :

وكذلك يرى ابن تيمية أن من دلائل النبوة أن الصادق في دعوى النبوة ، ينصره الله ويظهر أمره ويستمر على ذلك حتى ينتهي الأجل المقدر له ثم يحمل دينه أتباعه وأصحابه ، ولا يزال دينه وأتباعه في نصر حتى يأتي نبي بعده ، أو يأتي يوم القيامة .

وأما الكذاب فلا يدوم أمره إلا قليلا ، ولذا نجده يقول : " ولهذا أخبرت الأنبياء المتقدمون أن المتنبئ الكذاب لا يدوم إلا مدة يسيرة ، وهذه من حجج ملوك النصارى الذين يقال أنهم من ولد قيصر ، هذا أو غيرهم حيث رأى رجلاً يسب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من رؤوس النصارى ، ويرميه بالكذب فجمع علماء النصارى وسألهم عن المتنبي والكذاب كم تبقى نبوته ؟ فأخبروه بما عندهم من النقل عن الأنبياء أن الكذاب المفترى لا يبقى إلا كذا وكذا سنة لمدة قريبة إما ثلاثين سنة أو نحوها فقال لهم : هذا دين محمد له أكثر من خمسمائة سنة أو ستمائة سنة ، وهو ظاهر مقبول متبوع ، فكيف يكون هذا كذابا ، ثم ضرب عنق ذلك الرجل " (٢)

ويذكر ذلك ويكرره أيضا في موضع آخر من شرح الأصفهانية فيقول مؤكدا على ذلك . :

(١) ابن تيمية : شرح الأصفهانية / ٩٨ .
(٢) نفس المصدر ص/ ٩٥ ، ٩٦ .

" ....جاء فى النبوات المتقدمة أن الكذاب لا يدوم أمره أكثر من مدة قليلة ، إما ثلاثين سنة وإما أقل فلا يوجد مدعى النبوة كذابا إلا ولا بد أن ينكشف ستره ، ويظهر أمره ، فالأنبياء الصادقون لا يزال يظهر صدقهم " (١).

ويرى ابن تيمية ان هذا أمر مطرد حتى فى من يدعى العلم ببعض الفنون والصناعات ، والصلاح ، والزهد ، ويقرر أنه لا بد أن تظهر حقيقته فيقول :

" .... بل الذين يظهرون العلم ببعض الفنون والخبرة ببعض الصناعات ، والصلاح والدين والزهد لا بد أن يتميز هذا من هذا ، وينكشف ، فالصادقون يدوم أمرهم ، والكذابون ينقطع أمرهم ، هذا أمر جرت به العادة وسنة الله التى لن تجد لها تبديلا " (٢)

ثم يؤكد ابن تيمية هذا المعنى أيضا فى كتاب النبوات فيقول :

" .... جعل الله فى القلوب هداية ومعرفة بين هذا وهذا ، ولم يعرف قط فى بنى آدم أنه اشتبه صادق بكاذب إلا مدة قليلة ثم يظهر الأمر ، وليس هذا كالضلال فى أمور خفية ومشتبهة على أكثر الناس ، فإن التمييز بين الصادق والكاذب يظهر لجمهور الناس وعامتهم بعد مدة ، ولا يطول اشتباه ذلك عليهم " (٣).

وعلى ذلك فالأخبار الصادقة لا تزداد مع الأيام إلا ثباتا ووثوقا على عكس

---

(١) نفس المصدر ص/ ١٥١ .
(٢) نفس المصدر والصفحة .
(٣) ابن تيمية : النبوات ص/ ١٢٧ . الجواب الصحيح جـ١/ ٢٩.

الأخبار الكاذبة فإنها لا تزال تضمحل حتى تتلاشى وتنسى فلا يبقى لها أثر ، وإلى معنى ذلك أشار القاضي عياض حيث يقول في كتابه الشفا (١) : " وأيضا فإن أمثال الأخبار التي لا أصل لها ، وبنيت على باطل لا بد بعد مرور الأزمان ، وتداول الناس وأهل البحث من إنكشاف ضعفها ، وخمول ذكرها ، كما يشاهد في كثير من الأخبار الكاذبة ، والأراجيف الطارئة " فهذا وأمثاله مما يظهر زيفه ، وكذب قائله ومدعيه أما الصادق فأخباره على العكس من ذلك ، فإنها " لا تزداد مع مرور الزمان إلا ظهورا ومع تداول الفرق ، وكثرة طعن العدو ، وحرصه على توهينها وتضعيف أصلها ، وإجتهاد الملحد على إطفاء نورها ، إلا قوة وقبولا ، وللطاعنين عليها إلا حسرة وغليلا " (٢) .

٦ ـ الآثار الدالة على إكرام الله أنبياءه ، وإهانة أعدائهم .

ويرى ابن تيمية أن مشاهدة الآثار الدالة على صدق الأنبياء في العالم ، دليلا من دلائل النبوة ، فقد أبقى الله تعالى في هذا العالم آثار الأمم السابقة التي كذبت رسلها فأهلكها الله سبحانه جزاء ذلك التكذيب ، ولقد ذكر الله تعالى في القرآن مجموعة من هذه الآثار الباقية ، وبعضها معلوم بالتواتر كالطوفان وإغراق فرعون وجنوده .

يقول ابن تيمية :

" .... وأيضا فإن الله سبحانه وتعالى أبقى في العالم الآثار الدالة على ما فعله بأنبيائه والمؤمنين من الكرامة ، وما فعله بمكذبيهم من العقوبة ، وذلك معلوم

---

(١) القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى جـ١/٣٥٦ . ت: البجاوي.

(٢) نفس المصدر .

بالتواتر ، كتواتر الطوفان أو إغراق الطوفان ، و إغراق فرعون و جنوده .

و الله تعالى كثيرا ما يذكر ذلك فى القرآن ، كقوله :

" وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٢) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٣) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وكذب موسى فامليت للكافرين ثم اخذتهم فكيف كان نكير (٤٤) فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ، وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ (٤٥) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ، أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ . (٤٦)) (١) .

و قال تعالى : (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧)) (٢) .

و قال تعالى : (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ، وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٤)(٣)

إلى قوله تعالى : (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (٢١) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٢)) (٤) .

و يذكر ابن تيمية أدلة كثيرة من مثال هذه الآيات التى تدل على تلك الآثار المعلومة ، ثم قال :

---

(١) سورة الحج الآيات / ٤٢ ــ ٤٦ .

(٢) سورة ق الايتان / ٣٦ ، ٣٧ .

(٣ ، ٤) سورة غافر الاية / ٤ ــ ٢٢ .

" ولما ذكر فى سورة الشعراء قصص الأنبياء (١) نبيا بعد نبى كقصة موسى وإبراهيم ونوح ومن بعده يقول فى آخر كل قصة : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ، وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦٨)﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (٣) وقال تعالى ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) وَقَارُونَ ، وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ، وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ، فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ، وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ، وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤٢) وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (٤٣)﴾ (٤)

ويسرد ابن تيمية مزيدا من الآيات فى هذا الباب ثم يقول :

" فهو سبحانه يذكر ما ظهر للموحدين من مساكنهم التى كانت حول أهل مكة ، فإن عامة من قص الله نبأه من الرسل و أممهم بعثوا حول مكة كهود باليمن ، وصالح بالحجر مما ناحية الشام ، وإبراهيم وموسى وعيسى ويونس ولوط وأنبياء بنى إسرائيل بأرض الشام ومصر والجزيرة وما يليها من العراق (٥) ثم يستشهد بآيات كثيرة على ذلك يقول :

---

(١) ابن تيمية : شرح الأصفهانية ص/ ١٠٠ و النبوات ص/ ١١١ .
(٢) سورة الشعراء الآيات (٦٧ ، ٦٨) عقب قصة موسى (١٠٣ ، ١٠٤) عقب قصة إبراهيم ، و (١٢١ ، ١٢٢) عقب قصة نوح ، (١٣٩ ، ١٤٠) عقب قصة هود ، و (١٥٨ ، ١٥٩) عقب قصة صالح ، (١٧٤ ، ١٧٥) عقب قصة لوط ، و (١٩٠ ، ١٩١) عقب قصة شعيب .
(٣) سورة الأعراف / ٧٨ .
(٤) سورة العنكبوت / ٣٨ — ٤٣ .
(٥) ابن تيمية : شرح العقيدة الأصفهانية ص/ ١٠١ و النبوات ص/ ١١١ .

" ومثل هذا فى القرآن متعدد فى غير موضع يذكر الله تعالى قصص رسله ومن آمن بهم وما حصل لهم من النصر والسعادة وحسن العاقبة ، وقصص من كفر بهم وكذبهم وما حصل لهم من البلاء والعذاب وسوء العاقبة ، وهذا من أعظم الأدلة والبراهين على صدق الرسل وبرهم . وكذب من خالفهم وفجوره " (١).

ويبين ابن تيمية أن تلك الآثار تعلم بالبصر أو بالسمع أو بهما معا .
فالبصر لمن رآهم أو رأى آثارهم الدالة عليهم ، كمن شاهد أصحاب الفيل وما أحاط بهم ومن شاهد آثارهم بأرض الشام واليمن والحجاز وغير ذلك ، كآثار أصحاب الحجر وقوم لوط ونحو ذلك .
والسمع فبالأخبار التى تفيد العلم كتواتر أخبار موسى ـ عليه السلام ـ مع فرعون ، وأخبار الخليل مع النمرود ، وتواتر أخبار نوح والطوفان .
وأما إشتراك البصر والسمع كما يشاهد بعض الآثار مع تواتر الأخبار ، كما نشاهد السفن ونعلم أن ابتداءها كان سفينة نوح ـ عليه السلام ـ.

ويرى ابن تيمية أن العلم بأخبار الأنبياء وآثارهم هو من أظهر العلوم المتواترة وأجلاها كما أن نقل هذه الأمور أظهر وأوضح من نقل أخبار ملوك الفرس والعرب فى جاهليتها ، وأخبار اليونان ، وعلماء الطب والنجوم والفلسفة اليونانية كبقراط ، وجالينوس ، وبطليموس ، وسقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو وأتباعه . (٢)
لقد كتب ابن تيمية فصلا جامعا فى أحوال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد

(١) المصدر السابق نفسه ص / ١٠٢ .
(٢) انظر : ابن تيمية شرح العقيدة الاصفهانية ص/١٠٢ ـ ١٠٣ .
انظر معنى ذلك فى النبوات / ص ١٣٨ .

بعثته يلخص فيه ما تقدم من أدلة على صدق نبوته فقال في دقائق التفسير " : ٠٠٠٠ثم انه اتبعه أتباع الأنبياء وهم ضعفاء الناس ، وكذبه أهل الرياسة وعادوه وسعوا في هلاكه وهلاك من اتبعه بكل طريق كما كان الكفار يفعلون بالأنبياء وأتباعهم .

والذين اتبعوه لم يتبعوه لرغبة ولا لرهبة ، فإنه لم يكن عنده مال يعطيهم ولا جهات يوليهم إياها ولا كان له سيف ، بل كان السيف والمال والجاه مع أعدائه .

وقد آذوا أتباعه بأنواع الأذى ، وهم صابرون محتسبون ، لا يرتدون عن دينهم لما خالط قلوبهم من حلاوة الإيمان والمعرفة .

وكانت مكة يحجها العرب من عهد إبراهيم فتجتمع في الموسم قبائل العرب فيخرج إليهم يبلغهم الرسالة ، ويدعوهم إلى الله صابرا على ما يلقاه من تكذيب المكذب ، وجفاء الجافي ، وإعراض المعرض إلى أن إجتمع بأهل يثرب ، وكان جيران اليهود قد سمعوا أخباره منهم وعرفوه ، فلما دعاهم علموا أنه النبي المنتظر ، الذي تخبرهم به اليهود وكانوا قد سمعوا من أخبار ما عرفوا بمكانته ،فإن أمره كان قد انتشر وظهر في بضع عشر سنة ،فآمنوا به وتابعوه على هجرته وهجرة أصحابه إلى بلدهم ، وعلى الجهاد معه ، فهاجر هو ومن اتبعه إلى المدينة ، وبها المهاجرون والأنصار ، ليس فيهم من آمن برغبة دنيوية ولا برهبة ، إلا قليلا من الأنصار أسلموا في الظاهر ، ثم حسن إسلام بعضهم ، ثم أذن له في الجهاد ، ثم أمر به ، ولم يزل قائما بأمر الله على أكمل طريقة وأتمها عن الصدق والعدل والوفاء ، لا يحفظ له كذبة واحدة ، ولا ظلم لأحد ، ولا غدر بأحد ، بل كان أصدق الناس وأعدلهم ، وأوفاهم بالعهد ، مع اختلاف الأحوال عليه ، من حرب وسلم ، وأمن وخوف ، وغنى وفقر ، وقلة وكثرة وظهوره على العدو تارة ، وظهور العدو عليه ، وهو – على ذلك كله – ملازم لأكمل الطرق وأتمها حتى ظهرت الدعوة في جميع أرض العرب التي كانت مملوءة من عبادة الأوثان ، ومن أخبار الكهان ، وطاعة المخلوق في الكفر بالخالق ، وسفك

الدماء المحرمة ، وقطيعة الأرحام ، لا يعرفون آخرة ولا معادا ، فصاروا أعلم أهل الأرض وأدينهم ، وأعدلهم وأفضلهم .

حتى إن النصارى لما رآوهم — حين قدموا الشام — قالوا : ما كان الذين صحبوا المسيح بأفضل من هؤلاء .

وهذه آثار علمهم وعملهم فى الأرض وآثار غيرهم ، يعرف العقلاء فرق ما بين الأمرين .

وهو — صلى الله عليه وسلم — مع ظهور أمره وطاعة الخلق له وتقديمهم له على الأنفس والأموال — مات — صلى الله عليه وسلم — ولم يخلف درهما ولا دينارا ولا شاة ولا بعيرا له إلا بغلته وسلاحه ، ودرعه مرهونة عند يهودى على ثلاثين وسقا من شعير ، ابتاعها لأهله وكان بيده عقار ينفق منه على أهله والباقى يصرفه فى مصالح المسلمين ، فحكم بأنه لا يورث ، ولا يأخذ ورثته شيئا من ذلك .

وهو فى كل وقت — يظهر على يديه من عجائب الآيات وفنون الكرامات ما يطول وصفه ، ويخبرهم بخبر ما كان وما يكون ، ويأمرهم بالمعروف ، وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويشرع الشريعة شيئا بعد شىء ، حتى أكمل الله دينه الذى بعث به ، وجاءت شريعته أكمل شريعة ...... وأمته أكمل الأمم فى كل فضيلة ، فإذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم ظهر فضل علمهم ، وإن قيس دينهم وعبادتهم وطاعتهم لله بغيرهم ، ظهر أنهم أدين من غيرهم .

وإذا قيس شجاعتهم وجهادهم فى سبيل الله ، وصبرهم على المكاره فى ذات الله ، ظهر أنهم أعظم جهادا وأشجع قلوبا . وإذا قيس سخاؤهم وبذلهم وسماحة أنفسهم بغيرهم ، تبين أنهم أسخى وأكرم من غيرهم ، وهذه الفضائل به

نالوها ، ومنه تعلموها ، وهو الذى أمرهم بها لم يكونوا قبله متبعين لكتاب جاء بتكميله ، كما جاء المسيح بتكميل شريعة التوراة ....فلم يكونوا قبله يقرؤون كتابا ، بل عامتهم ما آمنوا بموسى وعيسى وداود ، والتوراة والإنجيل والزبور ، إلا من جهته ، فهو الذى أمرهم أن يؤمنوا بجميع الأنبياء ويقروا بجميع الكتب المنزلة من عند الله ، ونهاهم ان يفرقوا بين أحد من الرسل " (١) ا . هـ

٧ ـ الإستدلال على صدق النبوة بالنظر فى أطراف دعواها :

ونقصد بأطراف دعوى النبوة هو ان النبوة تتضمن مُخبِرا (بكسر الباء) وهو النبى أو مدع النبوة .
ومُخبَرًا عنه (بفتح الباء) وهو الله سبحانه وتعالى .
ومُخبَرًا به (بفتح الباء) وهو الشرع الذى أخبر به مدع النبوة ، وفى هذه الأطراف الثلاثة من الأدلة ما تبين منها صدق الصادق ، وكذب الفاجر .

يقول ابن تيمية :

" تفاوت الطرق فى معرفة قدر النبوة والنبى متعددة تعددا كثيرا ، إذ النبى يخبر عن الله سبحانه أنه قال ذلك ، إما إخبارا من الله تعالى ، وإما أمرا أو نهيا ، والكل من حال المخبر ، والمخبر عنه ، والمخبر به ، بل ومن حال المخبرين ـ مصدقهم ومكذبهم دلالة على المطلوب سوى ما ينفصل عن ذلك الخوارق ، وأخبار الأولين ، والهواتف والكهان وغير ذلك " (٢) .

---

(١) ابن تيمية : دقائق التفسير جـ١/١٥٩ ـ ١٦٢ . ت/ محمد السيد الجليند .
(٢) ابن تيمية : شرح العقيدة الأصفهانية ص / ١٤٦ .

ثم يتناول ابن تيمية كل طرف من هذه الأطراف ليبين كيف يستدل من حاله على صدق النبوة . فيقول :

" .... فالمخبر مطلقا يعلم صدقه وكذبه بأمور كثيرة لا يحصل العلم بآحادها كما يحصل العلم بمخبر الأخبار المتواترة ، بل بمخبر الخبر الواحد احتفت بخبره قرائن أفادت العلم (١).

---

(١) ابن تيمية : شرح العقيدة الأصفهانية ص/ ١٤٦ . قال الشيخ / محمد الامين الشنقيطي في مذكرة أصول الفقه : " حاصل كلام أهل الاصول في هذه المسالة التي هي هل تفيد خبر الآحاد اليقين أولا يفيد إلا الظن أن فيها للعلماء ثلاثة مذاهب : المذهب الأول : وهو مذهب جماهير الأصوليين أن أخبار الآحاد إنما تفيد الظن فقط ولا تفيد اليقين .... وحجة هذا القول ، أنك لو سئلت عن أعدل رواة خبر الآحاد أيجوز في حقه الكذب والغلط لاضطررت أن تقول نعم فيقال قطعك إذن بصدقه مع تجويزك عليه الكذب والغلط لا معنى له . والمذهب الثاني : أنه يفيد اليقين إن كان الرواة عدولا ضابطين واحتج القائلون بهذا ، بأن العمل بخبر الآحاد واجب والظن ليس من العلم حتى يجب العمل به لأن الله تعالى يقول : (إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا) والنبي - صلى الله عليه وسلم يقول : " إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث " وهذا القول بإفادته العلم رواية عن أحمد ، وحكاه الباجي عن خويزمنداد من المالكية وهو مذهب الظاهرية . والمذهب الثالث : هو التفصيل بأنه إن احتفت به قرائن دالة على صدقه أفاد اليقين وإلا أفاد الظن ، ومثال ما احتفت به القرائن أخبار رجل بموت ولده المشرف على الموت مع قرينة البكاء وإحضار الكفن والنعش . ومن أمثلته أيضا أحاديث الشيخين لأن القرائن دالة على صدقها لجلالتهما في هذا الشأن وتقديمهما في تمييز الصحيح على غيرهما وتلقي العلماء لكتابيهما بالقبول وهذا التلقي وحده أقوى في إفادة العلم من مجرد كثرة الطرق كما قاله غير واحد واختار هذا القول ابن الحاجب وإمام الحرمين والآمدي والبيضاوي قال صاحب الضياء اللامع وممن اختار هذا القول أبو العباس ابن تيمية - رحمه الله تعالى - وحمل بعضهم الرواية عن أحمد لما كانت القرائن على صدقه خاصة دون غيره " اهـ مذكرة أصول الفقه على روضة الناظر للعلامة ابن قدامة - تأليف الشيخ / محمد الأمين بن المختار الشنقيطي - دار القلم - بيروت - بدون تاريخ . ص/١٠٣ .

ويشبه ابن تيمية تلك الحالة بحالة علم الإنسان بعدالة الشاهد والمحدث والمفتى حتى تزكيته فإنه لو احتاج كل مزكى إلى مزك آخر لزم التسلسل ، بل يعلم الحاكم صدق الشاهد بطرق مختلفة ومتعددة .

فتارة يعلم صدقه بإختباره ومباشرته .

وتارة أخرى باستفاضة صدقه بين الناس .

وعلى ذلك فصدق النبى المخبر عن الله ، يعلم باستفاضة صدقه بين الناس ، وليس بشىء واحد لأن التعديل لا ينضبط ولا يحتاج إلى بيان سبب كما ذهب إلى ذلك علماء الجرح والتعديل .

أما الجرح فإنه ينضبط ولذلك لا يقبل إلا مفسرا عند جمهور العلماء (١).

فصدق الشخص سواء النبى وغيره يعرف من خلقه وعادته ، بطول المباشرة له والخبرة ، ثم إذا إستفاض ذلك عنه عند عامة من يعرفه ، كان ذلك طريقا للعلم لمن لم يباشره كما يعرف الإنسان عدل عمر بن الخطاب ، وعمر بن عبد العزيز وظلم الحجاج ... فخلق الشخص وعادته فى الصدق والكذب يمتنع فى العادة أن يخفى على الناس فلا يوجد أحد يظهر تحرى الصدق وهو يكذب إذا أراد إلا ولابد أن يتبين كذبه " (٢).

---

(١) انظر: ابن تيمية : شرح العقيدة الأصفهانية ص/ ١٤٦، ١٤٧ .

(٢) ابن تيمية : شرح العقيدة الأصفهانية ص/ ١٤٧ . ويقول ابن تيمية تتميما لذلك " .... فإن الإنسان حيوان ناطق فالكلام له وصف لازم ذاتى لا يفارقه ، والكلام إما خبر وإما انشاء والخبر اكثر من الانشاء واصل له كما ان العلم اعم من الارادة واصل لها ، والمعلوم اعظم من المراد ، فالعلم تناول الموجود المعدوم ، والواجب والممكن والممتنع ، وما كان وما سيكون ، وما يختاره العالم ومالا يختاره . واما الارادة فتختص ببعض الأمور دون بعض ، والخبر يطابق العلم فكل ما يعلم يمكن الخبر به ، والإنشاء يطابق الإرادة ، فإن الأمر إما محبوب يؤمر به ، أو مكروه ينهى عنه ، وأما ماليس بمحبوب ولا مكروه ، فلا يؤمر به ولا ينهى عنه "

" فالإنسان إذا كان ولا بد متحريا للصدق ، عرف ذلك منه ، وإذا كان يكذب أحيانا لغرض من الأغراض لجلب ما يهواه أو دفع ما يبغضه أو غير ذلك فان ذلك لابد أن يعرف منه ، و هذا أمر جرت به العادات كما جرت بنظائره فلا تجد أحدا بين طائفة من الطوائف طالت مباشرتهم له إلا و هم يعرفونه هل يكذب أو لا يكذب ..... فمن خبر شخصا خبرة باطنة فانه يعلم من عادته علما يقينا أنه لا يكذب لا سيما فى الأمور العظام . و من خبر عبد الله بن عمر ، و سعيد بن المسيب ، و سفيان الثورى و مالك بن أنس ، و شعبة بن الحجاج ، ويحيى بن سعيد القطان ، وأحمد بن حنبل وأضعاف أضعافهم حصل عنده علم ضرورى من أعظم العلوم الضرورية أن الواحد من هؤلاء لا يتعمد الكذب على رسول الله — صلى الله عليه و سلم — و من تواترت عنده اخبارهم من أهل زماننا و غيرهم حصل له هذا الضرورى ، و لكن قد يجوز على أحدهم الغلط الذى يليق به " (١).

بل ان ابن تيمية يريد ان يوضح ، هو أبعد من ذلك فيرى أن خبر الفاسق و الكافر ، بل و من عرف بالكذب أى وإشتهر بذلك بين الناس قد تقترن به القرائن وشواهد تفيد علما ضروريا أن المخبر أصادق فى ذلك الخبر بعينه ، فكيف بمن عرف عنه الصدق ، وإستفاضت عنه الأمانة طيلة حياته (٢).

ثم يقول : " فمن كان خبيرا بحال النبى — صلى الله عليه و سلم — مثل زوجته خديجة وصديقه أبى بكر إذا أخبر النبى — صلى الله عليه و سلم — بما رآه أو سمعه حصل له علم ضرورى بأن ما آتاه صادق أو كاذب فيصير أخباره عما علمه بالضرورة كإخبار أهل التواتر عما علموه بالضرورة " (٣)

و لا يترك ابن تيمية الكلام عن المتنبىء الكذاب ، فيؤكد أنه لا بد وأن يظهر

---

(١) ابن تيمية : شرح العقيدة الاصفهانية ص/١٤٨.
(٢) انظر : المصدر السابق و الصفحة .
(٣) نفس المصدر .

كذبه فيما يخاطب به الناس ، لأنه لو تكلم فى الأمور الحسية المشاهدة فلا بد أن يقع فى الكذب فوقوع الكذب منه فى الأمور الغيبية أعظم ، يقول ابن تيمية : " وأيضا فالمتنبىء الكذاب كمسيلمة الكذاب والعنسى ونحوهما يظهر لمخاطبه من كذبه فى أثناء الأمور أعظم مما يظهر من كذب غيره فإنه إذا كان الإخبار عن الأمور المشاهدة لابد أن يظهر فيه كذب الكاذب ، فما الظن بمن يخبر عن الأمور الغائبة التى تطلب منه ، ومن لوازم النبى التى لابد منها ، الأخبار عن الغيب الذى أنباه الله تعالى به ، فان من لم يخبر عن غيب لا يكون نبيا فاذ أخبرهم المتنبىء عن الأمور الغائبة عن الحواسهم من الحاضرات ، والمستقبلات والماضيات فلا بد أن يكون فيها ، ويظهر لهم كذبه وان كان قد يصدق أحيانا فى شىء ، كما يظهر كذب الكهان والمنجمين ونحوهم ، وكذب المدعين للدين والولاية والمشيخة بالباطل فان الواحد من هؤلاء وان صدق فى بعض الوقائع فلا بد أن يكذب فى غيرها ، بل يكون كذبه أغلب من صدقه بل تتناقض أخباره وأوامره ، وهذا أمر جرت به السنة الله التى لن تجد لها تبديلا ، قال تعالى : (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا) (١).

وأما النبى الصادق المصدوق فهو فيما يخبر به عن الغيوب توجد أخباره صادقه مطابقة ، وكلما زادت أخباره ظهر صدقه ، وكلما قويت مباشرته وامتحانه ظهر صدقه ، كالذهب الخالص الذى كلما سبك خلص وظهر جوهره بخلاف المغشوش ، فانه عند المحنة ينكشف ويظهر ان باطنه خلاف ظاهره " (٢).

واذا وجد شخص يكذب ويتحرى الكذب فإن غاية أمره أن يكذب فى أمور يتعلق بالخلق ، وبمعاملات البشر ، وأنه لا يجروء على الكذب على الله تعالى إلا أفجر الناس وأظلمهم ، كما قد ألمح إلى ذلك ابن تيمية حين يقول :

---

(١) سورة النساء الاية/ ٨٥.
(٢) ابن تيمية : شرح العقيدة الأصفهانية ص/ ١٤٨، ١٤٩.

" ولا أعظم فرية ممن يكذب على الله عز وجل كما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ، أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ (١)

وذلك لأن الرسول يخبر عن الله بأنه أرسله ، وبأنه أوحى إليه شرعا يبلغه الناس فالمصدق له لا يصدقه إلا بما رأى من آيات الصدق وبراهين النبوة ، والمنكر لنبوة أحد الأنبياء لا يسعه الإنكار إن كان قد أقر بنبوة غيره ، ولذلك فإن الله تعالى يلزم من أقر بنبوة موسى — عليه السلام — أن يقر بنبوة عيسى ومحمد — عليهما الصلاة والسلام — ولقد أشار ابن تيمية حين ذكر الآية المتقدمة ، ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﴾ (٢). قال ذكرها الله تعالى بعد قوله تعالى :

﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ، قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ، تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ، وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ، قُلِ اللَّهُ ، ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١) وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ..... (٩٣) ﴾ (٣)

يقول ابن تيمية مفسرا ذلك الترتيب بين الآيات فنقض سبحانه دعوى الجاحد النافي للنبوة بقوله : ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ ﴾ (٤). وذلك الكتاب أي الكتاب الذي جاء به موسى — عليه السلام — ظهر فيه من الآيات والبينات واتبعه كل الأنبياء والمؤمنون وحصل فيه ما لم يحصل في غيره فكانت البراهين والدلائل على صدقه أكثر

---

(١) سورة الأنعام / ٩٣.
(٢) سورة الأنعام / ٩٣.
(٣) سورة الأنعام / ٩١ ، ٩٣.
(٤) سورة الأنعام / ٩١.

وأظهر من أن تذكر بخلاف الإنجيل وغيره .

وأيضا فإنه أصل ، والإنجيل تبع له إلا فيما أحله المسيح ، وهذا كما يقول سبحانه:

(. . . . . . أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ : قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا . . .) (١).

أي القران والتوراة ، وفي القراءة الأخرى : قالوا ساحران ، أي محمد والقرآن ،

وكذلك قوله : (إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا) (٢).

أي وقد رأيتم من الآيات في إغراق فرعون لتصديق موسى ما يدلعلى صدق هذا الرسول الذي أرسلناه إليكم .

وكذلك قوله تعالى : (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ، وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً) (٣).

وكذلك قول الجن : (إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ) (٤).

يقول ابن تيمية : " ولهذا كانت قصة موسى هي أعظم قصص الأنبياء المذكورين في القرآن وهي أكبر من غيرها وتبسط بأكثر من غيرها قال عبد الله بن مسعود : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عامة نهاره يحدثنا عن بني إسرائيل " (٥)

---

(١) سورة القصص / ٤٨.
(٢) سورة المزمل / ١٥.
(٣) سورة هود الآية/ ١٧.
(٤) سورة الاحقاف / ٣٠.
(٥) ابن تيمية : شرح الأصفهانية ص/ ١٥٥.

وبعد أن استعرض ابن تيمية دلائل الصدق فى نبوة موسى — عليه السلام — وبين انتقاض دعوى الجاحد للنبوة النافى لها أخذ يتكلم عن حال الكذابين فى دعوى النبوة ، وبين أصنافهم بمنطوق القرآن فقال :

" ... ولما قرر الصدق بين حال الكذابين بأنهم ثلاثة أصناف إذ لا يخلوا الكذاب من :

— أن يضيف الكذب إلى الله تعالى ويقول إنه أنزله " (١). وذلك قوله تعالى : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) (٢).

فأضاف الكذب إلى الله تعالى أى أخبر الكذاب بأن الله أرسله أو نبأه أو أوحى إليه ، قال : " — أو يحذف فاعله ولا يضيفه إلى أحد " (٣). وذلك قوله تعالى : (أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ ..) (٤). بالبناء للمجهول قال : " . — أو أن يقول إنه هو الذى وضعه معارضا " (٥).

وذلك قوله تعالى : (... وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ) (٦). والأنبياء والمرسلون لا يتأتى أن يكونوا واحداً من هذه الأصناف الثلاثة .

— وأما المخبر عنه (بفتح الباء) فهو الله عز وجل . ومعلوم من أمور الرب عز وجل بما نصبه من الأدلة والبراهين الحسية والعقلية ما يدل على صدق الصادق وكذب الكاذب

ومن ذلك إنه قد علم أن الله تعالى لا يأمر بالفواحش والمظالم والشرك والكذب فمن أمر بشىء من ذلك وهو مدع للنبوة علم ضرورة بأنه كاذب فى دعواه . سواء

(١) ابن تيمية : شرح العقيدة الأصفهانية ص/ ١٥٥/ ١٥٦.
(٢) سورة الأنعام / ٩٣.
(٣) ابن تيمية شرح العقيدة الأصفهانية ص/ ١٥٦.
(٤) سورة الأنعام الآية / ٩٣.
(٥) ابن تيمية : شرح العقيدة الأصفهانية / ١٥٦
(٦) سورة الأنعام الآية / ٩٣.

أضاف ذلك إلى الله عز وجل و نسبه إليه فإن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء ، أم أنه أضاقه إلى نفسه ، أو لم يضفه إلى فاعل ٠

قال ابن تيمية : " ولا ريب أنه يعلم من أمور الرب سبحانه بما نصبه من الأدلة المعاينة الحسية التى يعقل بها نفسها ، وبالأمثال المضروبة وهى الأقيسة العقلية ما يمتنع معه خفاء كذب الكاذب بل يمتنع معه خفاء صدق الصادق " (١)٠

و يضرب ابن تيمية لذلك مثالا فيقول : " فالدجال مثلا قد علم بوجوه متعددة ضرورية أنه ليس هو الله ، وإنه كافر مفتر ، وإذا كانت دعواه معلوما كذبها ضرورة لم يكن ما يأتى به من الشبهات مصدقا لها ، إذ العصمة الضرورية ٠ لا يقدح فيها الطرق النظرية فإن الضروريات أصل النظريات ، فلو قدح بها فيها ، لزم إبطال الأصل بالفرع فيبطلان جميعا فإنه يظهر أيضا من عجزه ما ينفى دعواه " (٢)٠

و يذكر ابن تيمية كما قدمنا قبل قليل أن من أباح الفواحش و المظالم و الشرك و الكذب مدعيا للنبوة فإنه لا بد أن يعلم كذبه بالإضطرار ، و ذلك للعلم الضرورى بأن الله سبحانه لا يأمر بهذا ، سواء قيل إن العقل يعلم به حسن الأفعال و قبحها أو لا يعلم به ، فليس كلما أمكن فى العقل وقوعه ، وكان الله قادرا عليه يشك فى وقوعه " (٣)٠

وقال أيضا : " وكل ذى فطرة سليمة يعلم بالإضطرار أن الله تعالى لا يأمر عباده بالكذب و الظلم و الشرك والفواحش و أمثال ذلك مما قد يأتى به كثير من الكذابين ، بل يعلم بفطرته السليمة ما يناسب حال الربوبية " (٤)٠

---

(١) ابن تيمية شرح الاصفهانية ص/ ١٥٦٠

(٢) نفس المصدر والصفحة٠

(٣) نفس المصدر٠

(٤) نفس المصدر و الصفحة و انظر كذلك ص/ ٩١٠

— و أما المخبر به و هي الأوامر و النواهي و الشريعة التي يأتي بها مدع النبوة فهي على وجهين :

الأول : إنها تارة تنبه العقول على الأدلة العقلية التي يعلم بها صحة تلك التشريعات الدالة على صدق النبوة .

الثاني : وتارة يخبر النبي بأمور و يأمر بأمور لا يتبين للعقول صدقها و منفعتها في أول الأمر ، فإذا صدق الإنسان خبره و أطاع أمره و نهيه وجد في ذلك من البيان للحقائق و المنفعة و الفوائد الشيء العظيم مما يعلم به أن عنده من عظيم العلم و الصدق و الفضائل مالا يعلمه إلا الله تعالى . (١)

و يأتي تفصيل ذلك في المبحث التالي .

٨ — من آيات الله على صدق الأنبياء نصرهم على قومهم .

و لا شك أنه في النهاية تكون العاقبة للمتقين ، و النصر و الظهور والتمكين للأنبياء و المرسلين .

فإن هذا النصر و التأييد هو من آيات الله تعالى على صدق أنبيائه و رسله (٢)

ويرى ابن تيمية ان نصر الله تعالى للأنبياء و الرسل على قومهم هو على وجهين : (٣)

١ — فتارة بإهلاك الأمم و إنجاء الرسل .

٢ — تارة أخرى بظهور حجج الأنبياء وعلمهم على مخالفتهم ، حيث يقول : و من آياته نصر الرسل على قومهم و هذا من وجهين :

---

(١) انظر : ابن تيمية : شرح العقيدة الاصفهانية ص/ ١٤٩ ، ١٥٠ .
(٢) انظر ابن تيمية : النبوات ص/ ١٥٦ ، ١٥٧ .
(٣) نفس المصدر ص/ ٢٥ .

١ ـ الوجه الأول : تارة يكون بإهلاك الأمم و إنجاء الرسل و أتباعهم ، كقوم نوح ، و هود و صالح و شعيب ، و لوط و موسى و لهذا يقرن الله بين هذه القصص فى سورة الأعراف ، و هود ، و الشعراء و لا يذكر معها قصة إبراهيم (١) و إنما ذكر قصة إبراهيم فى سورة الأنبياء ، و مريم و العنكبوت ، والصافات فإن هذه السور لم يقتصر فيها على ذكر من أهلك من الأمم . بل فى سورة الأنبياء كان المقصود ذكر الأنبياء ، و لهذا سميت سورة الأنبياء ، وإن لم يذكر قومهم ، كما ذكر قصة داود و سليمان وأيوب و ذكر آخر الكل (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) (٢) . وبدأ فيها بقصة إبراهيم ، إذ كان المقصود ذكر إكرامه للأنبياء قبل محمد و إبراهيم أكرمهم على الله تعالى ، و هو خير البرية ، و هو أب أكثرهم ..... " (٣) .

٢ ـ الوجه الثانى : هو إظهار الله تعالى برهان أنبيائه بالحجة و العلم ، و إظهارهم أيضا بالقدرة ، حيث أذل أعداءهم و نصرهم قال ابن تيمية :

" ...... و الله تعالى لم يذكر قط عن قوم إبراهيم أنهم أهلكوا ، كما ذكر ذلك عن غيرهم ، بل ذكر أنهم ألقوه فى النار فجعلها الله عليه بردا و سلاما و أرادوا به كيدا فجعلهم الله الأسفلين

---

(١) قال المصحح الشيخ / محمد حامد الفقى فى كتاب النبوات ص/ ٢٥ :قوله " ولا يذكر معها قصة إبراهيم " نعم ذكرت قصة إبراهيم فى سورة الشعراء ، و لكن على نسق من القصص غير نسق ما بعدها من بقية الأمم المذكورة فيها ، حيث ذكر هلاكهم و تدمير الله لهم " انظر النبوات ص/ ٢٥ بتصحيح الشيخ / محمد حامد الفقى .

(٢) سورة الأنبياء آية / ٩٢ .

(٣) ابن تيمية : النبوات ص/ ٢٥ .

الأخسرين ، وفى هذا ظهور برهانه وآيته وانه أظهره عليهم بالحجة والعلم ، وأظهره أيضا بالقدرة حيث أذلهم ونصره " (١)٠

كما يشبه ابن تيمية حال الرسل فى الوجه الأول حيث أهلك الله أقوامهم بالمجاهد الذى قتل عدوه ، وفى الوجه الثانى الذى هزم عدوه ٠ (٢)

ويذكر ابن تيمية ان الرسل الذين أيدهم الله ونصرهم بإهلاك أقوامهم ، قد أقاموا بين ظهرانى أقوامهم حتى سلط الله عليهم العذاب والهلاك ، إما بإستئصال جميع النوع (٣) البشرى كما حدث مع نوح — عليه السلام — ولم يبق من البشر إلا ذرية نوح ، كما قال تعالى : (وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ البَاقِيْنَ) (٤) ولم يهلك جميع النوع بعد نوح (٥) — عليه السلام — ٠

واما باستئصال قوم النبى الذين أرسل إليهم ،كقوم هود وصالح ، وشعيب ولوط ، وموسى — عليهم السلام —

وأما الأنبياء والرسل الذين لم يهلك الله أقوامهم ، فإنهم لم يقيموا بين ظهرانى أقوامهم بل رحلوا عنهم وهاجروا إلى أماكن آخر ، فإبراهيم — عليه السلام — بعد أن بلغ قومه دعوته لم يقم بينهم ، بل هاجر وتركهم ، فلم يوجد فى حق قوم إبراهيم سبب الهلاك وهو إقامته بينهم وانتظار العذاب النازل بهم وهكذا محمد مع قومه لم يقم فيهم بل خرج

---

(١) ابن تيمية : النبوات ص/ ٢٦ ٠
(٢) انظر ابن تيمية : النبوات ص / ٢٦ ٠
(٣) انظر المصدر السابق نفسه والصفحة ٠
(٤) سورة الصافات اية / ٧٧ ٠
(٥) انظر ابن تيمية : النبوات ص/ ٢٦ ٠

عنهم حتى أظهره الله تعالى عليهم بعد ذلك (١) " وقوم إبراهيم أوصلوه إلى العذاب لكن جعله الله عليه بردا وسلاما ، ولم يفعلوا بعد ذلك ما يستحقون به العذاب إذ الدنيا ليست دار الجزاء التام ، وإنما فيها من الجزاء ما تحصل به الحكمة والمصلحة كما في العقوبات الشرعية ..... " (٢).

ثم يبين ابن تيمية أن من كان من أتباع الأنبياء وأراد أعداؤه أن يهلكوه بنوع من أنواع الهلاك ، فعصمه الله ، وجعل صورة الهلاك في حقه نعمه ، ولم يهلك أعداءه ، بل أخزاهم ونصره ، فهو أشبه بإبراهيم (٣) — عليه السلام —.
" وإذا عصمه من كيدهم ، وأظهره حتى صارت الحرب بينه وبينهم سجالا ثم كانت العاقبة له ، فهو أشبه بحال محمد — صلى الله عليه وسلم — (٤).

---

(١) انظر : ابن تيمية النبوات ص/ ٢٦.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر ص/ ٢٧.
(٤) نفس المصدر.

المبحث الثاني

دعوته : - صلى الله عليه وسلم -

أولا : الدلالة الموضوعية للرسالة وما أتت به من أحكام وفضائل .

المبحث الثاني : دعوته

أو الدلالة الموضوعية للرسالة و ما أتت به من احكام و فضائل

و المقصود بالدلالة الموضوعية للرسالة هو إثبات صدق النبى فى دعواه النبوة ببيان محاسن الشرع الذى أتى به ، وبيان أنه لا يمكن للعقل البشرى أن يتوصل إلى أفضل منه حسنا و إتقانا و لذا يقول ابن تيمية : " ... وكشريعته التى أتى بها فإنها أيضا من أعلام نبوته (١).

و قد نبهنا فى البحث السابق على أن ابن تيمية يسمى هذا الشرع و يطلق عليه " المخبر به "بفتح الباء" وأنه يستدل على صحته بوجهين :

الأول : أن الأمور التى يخبر بها النبى تنبه العقول على الأدلة العقلية التى يعلم بها صحتها ، فيكون ما علمته العقول بدلالة الشرع و إرشاده من الحق الذى أخبر به النبى ، ويكون الخبر الذى أمر به شاهدا بأنه هاد و مرشد ، وإنه معلم للخير ليس بمضل ولا مغو ، ولا معلم للشر ، ويقول ابن تيمية : " وهذه حال الصادق البر دون الكاذب الفاجر ، فإن الكاذب الفاجر لا يتصور أن يكون ما يأمر به عدلا و ما يخبر به حقا و إذا كان أحيانا يخبر ببعض الأمور الغائبة كشيطان يقرن به يلقى إليه ذلك أو غير ذلك ، فلا بد أن يكون كاذبا فاجرا ... فإن الشيطان لا ينزل على الصادق البار ما دام صادقا بارا إذ لا يحصل مقصوده بذلك ، و إنما ينزل على من يناسبه فى التشيطن ، و هو الكاذب الأثيم ، و الأثيم الفاجر " (٢).

---

(١) ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ٤/ ٧٠ ط المدنى ــ دقائق التفسير جـ١/ ١٥١، ١٥٩ ت / الجليند .

(٢) ابن تيمية : شرح العقيدة الأصفهانية ص/ ١٤٩، ١٥٠ . والنبوات ص/ ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٤٣، ١٧٠ .

و يقول ابن تيمية فى معرض كلامه عن قصة موسى وعلاقته بالسحر و بالسحرة " و لم يكن دين موسى دين السحرة ، و لا مقصوده مقصودهم بل هم و هو فى غاية التعادى و التباين ، وكذلك سائر السحرة و الكهنة مع الأنبياء من أعظم الناس ذما لهم ، و أمرا بقتلهم ، مع تصديق الأنبياء بعضهم لبعض ، وإيجاب بعضهم الإيمان ببعض وهم يأمرون بقتل من يكذب نبيا ، و يأمرون بقتل السحره ، و من آمن بهم و السحرة يذم بعضهم بعضا ، و الأنبياء يصدق بعضهم بعضا ، و هؤلاء يأمرون بعبادة الله وحده و الصدق و العدل ، ويتبرأون من الشرك و أهله ، وهؤلاء — يعنى السحرة يحبون أهل الشرك و يوالونهم و يبغضون أهل التوحيد و العدل ، فهذان الجنسان متعاديان كتعادى الملائكة و الشياطين ... " (١).

الثانى : أن النبى يأمر بأمور و يخبر بأمور قد لا يتبين للعقول صدقها و منفعتها بادئ الأمر ، و لكن الإنسان إذا صدق خبره و أطاع أمره ، وجد فى ذلك من البيان للحقائق و المنافع الفوائد ما يعلم به أن عنده من عظيم العلم و الصدق و الحكمة أعظم مما يتبين به صدق الطبيب إذا استعمل ما يصفه من الأدوية ، وكذلك أعظم مما يتبين صدق العقل المشير إذا جرب ما يشير به من الآراء (٢).

وبعد ما يقرر ذلك ابن تيمية يقول :

" و حينئذ فيحصل للنفوس علم ضرورى بكمال عقله و صدقه فإذا أخبر بعد ذلك عن أمور ضرورية يراها لو يسمعها حصل للنفوس علم ضرورى بأنه صادق لا يتعمد الكذب ، و أنه متيقن لما أخبر به ليس فيه خطأ ولا غلط أعظم مما يتبين به

(١) ابن تيمية : النبوات ص/ ١٦٠.
(٢) انظر : ابن تيمية : شرح الأصفهانية ص/ ١٤٩، ١٥٠ .

صد ق من أخبر عما رآه من الرؤيا أوعما رآه من العجائب و أمثال ذلك " (١)

و مما يقطع بعلمه أن العالم ما زال فيه نبوة و أنبياء يتوالون الواحد فى أثر الآخر فالنبى الثانى يعلم صدقه بأخبار النبى الأول به ، كما بشر بنبينا محمد — صلى الله عليه و سلم — الأنبياء قبله . وكذلك بشر بالمسيح الأنبياء قبله (٢).

وكذلك يعلم صد ق النبى بأن يأتى بمثل ما أتوا به من الخبر و الأمر " فإن الكذاب لا يتصور أن يكون فى أخباره و أوامره موافقا للأنبياء ، بل لا بد أن يخالفهم فى الأصول الكلية التى اتفق عليها الأنبياء ، كالتوحيد و النبوات و المعاد ، كما أن القاضى الجاهل أو الظالم لا بد أن يخالف سنة القضاة العالمين العادلين وكذلك المفتى الجاهل أو الكاذب ، و الطبيب الكاذب أو الجاهل ، فإن كل هوءلاء لا بد أن يتبين كذبهم أو جهلهم بمخالفتهم لما مضت به سنة أهل العلم و الصدق " (٣).

و إن كان لا بد أن يحصل تخالف بين بعضهم البعض فى أمور اجتهادية ، فإنه يعلم الفرق بين ذلك الإجتهاد وبين المخالفة فى الأصول الكلية التى لا يمكن إنخرامها (٤)

وعلى ذلك فانه من المقطوع به أن العالم لا يخلو من آثار نبى من الأنبياء من لدن آدم إلى زماننا ، وقد علم جنس ما جاءت به الأنبياء و المرسلون ، و ما كانوا يدعون إليه و يأمرون به و لم تزل آثار المرسلين فى الأرض ، ولم يزل عند الناس من آثار الرسل ما يعرفون به جنس ما جاءت به الرسل و يفرقون به بينهم و بين غيرهم .

فالناظر المتأمل للقرآن و التوراة يجدهما يتفقان فى عامة المقاصد

---

(١) المصدر نفسه ص/ ١٥٠ و انظر : الجواب الصحيح جـ١/ ٢٩.

(٢) انظر : ابن تيمية : شرح الأصفهانية ص/ ١٥٠.

(٣) نفس المصدر .

(٤) نفس المصدر .

الكلية من التوحيد والنبوات والأعمال الكلية وسائر الأسماء والصفات. ومن كان له علم بهذا علم علما ضروريا ما قاله النجاشي : "إن هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة" (١) . وقول ورقة ابن نوفل : "إن هذا هو الناموس الذى كان يأتى موسى" (٢) .

قال تعالى (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ) (٣) .

وقال تعالى : (فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ) (٤) . وقال تعالى : (قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) (٥) .

فالكثير من أخبار الأنبياء منقول بالتواتر كمعجزات موسى وعيسى — عليهما السلام — يقول ابن تيمية : "فإن كان فى الكتب التى بأيدى أهل الكتاب ، وفيما ينقلونه بالتواتر ما يوافق ما أخبر به نبينا محمد — صلى الله عليه وسلم — كان فى ذلك فوائد جليلة هى من بعض حكمة إقرارهم بالجزية" (٦) .

---

(١) أخرجها ابن اسحاق فى المغازى : انظر ابن هشام جـ١/ ٣٣٤ — ٣٣٨ وأحمد رقم (١٧٤٠) من طريق ابن اسحاق بسند صحيح ، من حديث أم سلمة — رضى الله عنها — .

(٢) البخارى : كتاب بدء الوحى باب (١) جـ١/ ٣ .

(٣) سورة الأحقاف الآية / ١٠ هذا الشاهد من بنى اسرائيل قيل هو عبد الله بن سلام وقيل رجل آخر من بنى اسرائيل . وليس هو عبد الله بن سلام لأن السورة مكية وعبد الله بن سلام أسلم بالمدينة ، واختار ذلك ابن جرير الطبرى ، ورجح الشوكانى أنه هو عبد الله بن سلام . انظر : الشوكانى : فتح القدير جـ٥/ ١٦ ، ١٩ وابن كثير : التفسير جـ٧ / ٢٦٢ . ط الشعب .

(٤) سورة يونس الآية / ٩٤ — وقيل فى الذين يقرأون الكتاب . هم أهل الكتاب . أو هو عبد الله بن سلام انظر ابن جرير جـ١١ / ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٥) سورة الرعد الآية / ٤٣ . "ومن عنده علم الكتاب أيضا قيل هو عبد الله بن سلام الشوكانى جـ٥/ ١٩ .

(٦) ابن تيمية : شرح الأصفهانية : ص/ ١٥٢ .

ثم يعد ابن تيمية تلك الفوائد الجليلة فيقول : (١).

أحدها : انه إذا علم إتفاق الرسل على مثل هذا علم صدقهم فيما أخبروا به عن الله تعالى حيث أخبر محمد - عليه السلام - بمثل ما أخبر به موسى من غير تواطوء ولا تشاعر .

الثاني : أن ذلك دليل على إتفاق الرسل كلهم فى أصول الدين كما يعلم أن رسل الله قبله كانوا رجالا من البشر لم يكونوا ملائكة ، فلا يجعل سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - هو الذى جاء بها كما قال تعالى : (قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ) (٢). وقال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ ، أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ، وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ، حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ . لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (٣).

الثالث : إن هذه آية على نبوة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - حيث أخبر بمثل ما أخبرت به الأنبياء من غير تعلم من بشر (٤) ، وهذه الأمور هى من الغيب قال تعالى : (تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ) (٥)

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية : ص/ ١٥٢.
(٢) سورة الأحقاف الآية / ٩.
(٣) سورة يوسف الآيات / ١٠٩ - ١١٠
(٤) القاضى عياض : الشفا جـ١ /
(٥) سورة هود الآية / ٤٩.

وقال تعالى : (ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (١)٠

وقال تعالى : (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤٤) وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا آتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦) وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى ، أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ، قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ (٤٨) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٩) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ، وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥١)٠ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥)) (٢) ٠ وكثير من أهل الكتاب آمنوا بمثل هذه الطرق ،

قال تعالى : (قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ، إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا

---

(١) سورة يوسف الاية / ١٠٢ ٠

(٢) سورة القصص الآيات / ٤٤ ــ ٥٥٠

لمفعولا (١٠٨) ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا (١٠٩) (١).

وقال تعالى : (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ، ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعوا وإليه مآب) (٢).

وقال تعالى : (ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد) (٣). وكذلك مما يدل على صدق النبى أنه لو كان أميا لا يقرأ ولا يكتب وأتى بشريعة فى غاية الحسن والإستقامة ، لا يتصور ان يأتى بمثلها رجل أمى ، كما كان حال نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فقد كان أميا نشأ بين قوم أميين ولم يكن يقرأ كتابا ولا يخطه طبقا لما أخبر الله تعالى بذلك :

(وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون) (٤).

وأن قومه الذين نشأ فيهم لم يكونوا يعلمون علوم الأنبياء ، بل كانوا من أشد الناس شركا وجهلا ، وتبديلا وتكذيبا بالمعاد ، وكانوا من أعظم الأمم إشراكا بالله تعالى وبعدا عن توحيده عز وجل . (٥)

فمن تأمل حال الرسل وما جاءوا به من الأخبار والأوامر علم يقينا صدقهم والكذب ممن ادعى دعواهم وهو كاذب .

وذلك لأن فيما أخبروا به وما أمروا به من الإحكام والإتقان ، وكشف الحقائق ، وهدى الخلائق ، وبيان ما يعلمه العقل جملة ، ويعجز عنه تفصيلا

---

(١) سورة الإسراء الآيات / ١٠٧ - ١٠٩ .

(٢) سورة الرعد الآية / ٣٦.

(٣) سورة سبأ الآية / ٦.

(٤) سورة العنكبوت آية / ٤٨.

(٥) ابن تيمية : شرح الأصفهانية ص/١٥٢ وانظر : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم جـ٦/ ٢٩٤ - ٢٩٦ ط. الشعب - القاهرة . وكذا نقل الشوكانى (فتح القدير جـ٤/ ٢٠٧) عن النحاس أن ذلك دليل على نبوته .

ما يبين أنهم من العلم و المعرفة و الخبرة فى الغاية التى باينوا بها لعلم الخلق ممن سواهم :

يقول ابن تيمية : " و إذا تأملت الحكمة الباهرة فى هذا الدين القويم ، و الملة الحنيفية و الشريعة المحمدية التى لا تنال العبارة كما لها ، ولا يدرك الوصف حسنها ولا تقترح عقول العقلاء و لو إجتمعت وكانت على أكمل عقل رجل منهم فوقها ، وحسب العقول الكاملة الفاضلة إن أدركت حسنها و شهدت بفضلها ، وإنه ما طرق العالم شريعة أكمل و لا أجل و لا أعظم منها ، فهى نفسها الشاهد و المشهود له ، و الحجة و المحتج له ، و الدعوى و البرهان ، ولو لم يأت الرسول ببرهان عليها لكفى بها برهانا وآية و شاهدا على أنها من عند الله " (١).

و يقول ابن تيمية فى بيان كمال دعوة النبى - صلى الله عليه و سلم - وعظمة شريعته التى تعتبر آية على صدقه و نبوته : " ..... وجاءت شريعته أكمل شريعة ، لم يبق معروف تعرف العقول أنه معروف إلا أمر به ، و لا منكر تعرف العقول أنه منكر إلا نهى عنه ، لم يأمر بشىء فقيل : ليته لم يأمر به ، ولا ينهى عن شىء فقيل : ليته لم ينه عنه ، وأحل الطيبات ، فلم يحرم شيئا منها كما حرم فى شرع غيره ، و حرم الخبائث لم يحل منها شيئا كما استحله غيره ، و جمع محاسن ما عليه الأمم ، فلا يذكر فى التوراة و الإنجيل و الزبور ، نوع من الخبر عن الله وعن ملائكته وعن اليوم الآخر ، إلا و قد جاء به على أكمل وجه ، و أخبر بأشياء ليست فى هذه الكتب . فليس فى تلك الكتب إيجاب لعدل و قضاء بفضل ، و ندب إلى الفضائل و ترغيب فى الحسنات ، إلا و قد جاء به و بما هو أحسن منه .

و إذا نظر اللبيب فى العبادات التى شرعها ، وعبادات غيره من الأمم

---

(١) ابن قيم الجوزية : مفتاح دار السعادة جـ١/ ٣٠١ - ٣٠٥.

ظهر فضلها و رجحانها ، وكذلك في الحدود و الأحكام و سائر الشرائع " (١)٠

وبمثل ذلك قال القاضي عياض عند كلامه عن دلائل نبوته ــ صلى الله عليه وسلم ــ فذكر فصاحته وبلاغته و إحاطته بلغات العرب ، و الحفظ لأيامها و أمثالها ، وغير ذلك ثم قال : " مع اشتمال شريعته على محاسن الأخلاق و محامد الآداب و كل شيء مستحسن مفصل ، لم ينكر ملحد ذو عقل سليم شيئا إلا من جهة الخذلان ، بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية ، إذا سمع ما يدعوا إليه صوبه و إستحسنه دون إقامته برهان عليه " (٢)٠

(١) ابن تيمية : دقائق التفسير جـ١/ ١٦١ تـ / محمد السيد الجليند .
و انظر :
ابن القيم : مفتاح دار السعادة جـ١/ ٣٠١ ــ ٣٠٥ جـ٢/ ٢، ٣ ٤و ما بعدها
(٢) القاضي عياض : الشفا جـ١/ ٥٠٢ ت ٠ على محمد البجاوى ٠

المبحث الثالث

" المعجزات " وهى الآيات والبراهين الخارقة للعادة .

- تسميتها بالآيات والبراهين أدل على المقصود من لفظ المعجزات.
- خوارق الأنبياء مختصة بهم .
- الخوارق عموما على ثلاث مراتب .
- الآيات الخارقة جنسان :

جنس فى نوع العلم .

وجنس فى نوع القدرة .

- خوارق الأنبياء خارجة عن مقدور الأنس والجن .
- أمثلة للعلم الخارق .
- أمثلة القدرة الخارقة .
- آية النبوة لا يشترط فيها التحدى .
- كلام ابن تيمية على لفظ الخارق للعادة .
- أقسام العادة عند ابن تيمية .

ـ عادة فى أفعال العباد .

ـ عادة كونية فى قوانين الطبيعة

ـ عادة فى أفعال الله تعالى وهى الوعد والوعيد

- شروط الآية المعجزة من خلال كلام ابن تيمية .
- الكرامة والولاية عند ابن تيمية .
- الفرق بين آية الأنبياء وأعمال السحرة .

" المعجزات " وهى الآيات والبراهين الخارقة للعادة .

" المعجزات " والتى هى الأمور الخارقة للعادة ، هى دليل من دلائل صدق الأنبياء والمرسلين . وليست هى الدليل أو الطريق الوحيد فى ذلك – كما قدمنا – بل الطرق متنوعة ومتعددة أقامها الله أدلة على صدق أنبيائه لعلمه سبحانه أن البشر متفاوتون فى عقولهم وأفهامهم ويتبع ذلك التفاوت ، تفاوت فى المناهج وطرق الإستدلال . فكان أن عدد الله تعالى لهم الطرق ، ونوع لهم السبل رحمة منه بهم – سبحانه .

يقول ابن القيم : " فطرق الهداية متنوعة رحمة من الله بعباده ، ولطفا بهم ، لتفاوت عقولهم وأذهانهم وبصائرهم فمنهم من يهتدى بنفس ما جاء به وما دعا إليه من غير أن يطلب منه برهانا خارجا عن ذلك كحال الكمل من الصحابة فالصديق – رضى الله عنه – ومنهم من يهتدى بمعرفته بحاله – صلى الله عليه وسلم – وما فطر عليه من كمال الأخلاق والأوصاف والأفعال ..... كخديجة – رض الله عنها – .... وهذه المقامات فى الإيمان عجز عنها أكثر الخلق فاحتاجوا إلى الآيات والخوارق ....(١))

هذه الآيات والخوارق هى التى اصطلح النظار على تسميتها " المعجزات " ومعجزات الأنبياء والرسل من أعظم الدلائل على صدقهم فى دعواهم ، وفى كل ما يخبرون به من أوامر ونواهى وأحكام .

" والمعجز " اسم فاعل من عجز الذى هو زوال القدرة عن الإتيان بالشئ

---

(١) ابن القيم : مفتاح دار السعادة جـ٢ / ١٣ .

من عمل أو رأى أو تدبير (١)٠

وقد ذهب ابن تيمية إلى أن الآيات والبراهين كثيرة ومتنوعة لنبينا محمد — صلى الله عليه وسلم — وهى أكثر وأعظم من آيات غيره من الأنبياء ، ويسميها النظار " معجزات " — كما قدمنا — وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة ، ونحو ذلك ، وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء ، كانت أدل على المقصود من لفظ " المعجزات " ولأن لفظ المعجزات غير موجود فى الكتاب ولا فى السنة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان (٢)٠

وإنما قلنا اصطلح على تسميتها بـ" المعجزات " ولا مشاحة فى ذلك ٠ إلا أن ابن تيمية يفضل أن يطلق عليها " آيات " وبراهين وبينات " ٠

وإننى لأرى أن من الأوفق فى نظرى هو ما قرره ابن تيمية من إطلاق هذه التسميات بدلا من " المعجزات " لأنها ألفاظ وأسماء تستند إلى أساس شرعى ونصوص قرآنية ، وحيث لا ضرورة للعدول عن الألفاظ الشرعية إلى غيرها من الإصطلاحات المحدثة ٠ ولذا يقول ابن تيمية : " فصل فى معجزات الأنبياء التى

(١) الفيروز آبادى : بصائر ذوى التمييز جـ١/ ٦٥٠ وقال فى اللسان المعجز بفتح الجيم وكسرها مفعلة من العجز عدم القدرة جـ٥/ ٣٦٩٠ وانظر : السفارينى : لوامع الأنوار جـ٢ / ٢٩١٠

(٢) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ٤/ ٦٧٠ والنبوات ص/ ٢ ، ٢٨ ، ١١٤ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٧٠
وانظر : السفارينى لوامع الأنوار البهية جـ٢ / ٢٩١٠

هى براهينهم كما سماها الله آيات وبراهين " (١).

ويقول أيضا : فالآيات التى تكون آيات للأنبياء هى دليل وبرهان والله تعالى سماها برهانا فى قوله لموسى : ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ ....﴾ (٢) وسماها برهانا وآيات فى مواضع كثيرة من القرآن " (٣).

ويقول كذلك :

" والله تعالى سماها آيات وبراهين وهو اسم مطابق لمسماه ، مطرد لا ينتقض فلا تكون قط إلا آيات لهم وبراهين (٤).

وقال فى موضع آخر بأن لفظ خرق العادة ولفظ المعجز ليس له ذكر فى الكتاب والسنة قال : " وإنما فيه آيات وبراهين " (٥) ويبين فى موضع آخر أن المتكلمين قد اضطربوا فى مسمى المعجزات " ولهذا لم يسمها الله فى كتابه إلا آيات وبراهين فإن ذلك اسم يدل على مقصودها ويختص بها لا يقع على غيرها ، لم يسمها معجزة ولا خرق عادة وإن كان ذلك من بعض صفاتها " (٦).

ويقول أيضا : " وكون الآية خارق للعادة أو غير خارقة هو وصف لم يصفه القرآن ، والحديث ولا السلف ، وقد بينا فى غير هذا الموضع أن هذا وصف لا ينضبط " (٧)

(١) ابن تيمية : النبوات ص/٢ ، ٢٨.
(٢) سورة القصص الآية / ٣٢.
(٣) ابن تيمية : النبوات ص/ ١٩٢. والجواب الصحيح ج٤/ ٦٧ وما بعدها.
(٤) نفس المصدر ص/ ١٩٣ -
(٥) نفس المصدر ص/ ٢٨.
(٦) نفس المصدر ص/ ٢٠٧.
(٧) انظر : تفصيل ذلك ص/ ١٣ من كتاب النبوات.

وابن تيمية يذهب إلى القول بأن كون المعجزة أو الآية خارقة وصف لا ينضبط لأن لكل قوم عادة تخصهم فما هو عادة عند قوم ليس بعادة عند غيرهم وهى أمر إضافى بحسب كل قوم وجماعة .

ويقول فى تأييد رأيه هذا : " والآيات والبراهين ..... ويسميها من يسميها من النظار معجزات ، وتسمى دلائل النبوة وأعلام النبوة ونحو ذلك وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ، ولهذا لم يكن لفظ " المعجزات " موجودا فى الكتاب والسنة ، وإنما فيه لفظ " الآية " " والبينة " " والبرهان " ....

وأما لفظ المعجز فانما يدل على إنه أعجز غيره كما قال تعالى : " وما هم بمعجزين "(١) وهذا اللفظ لا يدل على كون ذلك أية ودليلا إذا فسر المراد به ، وذكر شرائطه ولهذا كان كثير من أهل الكلام لا يسمى معجزا إلا ما كان للأنبياء فقط ، وما كان للأولياء إن ثبت لهم خرق عادة سماها كرامة . والسلف كأحمد وغيره كانوا يسمون هذا وهذا معجزا ، ويقولون لخوارق الأولياء إنها معجزات إذ لم يكن فى اللفظ ما يقتضى إختصاص الأنبياء بذلك " (٢) .

وهذه الآيات عند ابن تيمية التى هى المعجزات عند غيره هى الأمور الخارقة لعادة من سوى الأنبياء من الجن والأنس مطلقا (٣) . لا يشترك معهم فيها غيرهم ،

(١) سورة الزمر الاية / ٥١ .
(٢) ابن تيمية : الجواب الصحيح جـ٤/ ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ . ودقائق التفسير جـ١/ ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ .
(٣) النبوات ص/ ٢١٢ ، ٢١٣ .

ويذهب ابن تيمية إلى أن خوارق العادات على ثلاث مراتب :—

١ — آيات الأنبياء .

٢ — ثم كرامات الأولياء .

٣ — ثم خوارق الكفار والفجار والسحرة والكهان ، وما يحصل لبعض المشركين وأهل الكتاب والضلال من المسلمين (١) .

فآيات الأنبياء مختصة بهم لا تكون إلا لهم ، ولا يشركهم فيها غيرهم كما قدمنا قبل قليل — وكرامات الأولياء هى أيضا من آيات الأنبياء التى تدل على صدقهم وصدق الدين الذى يتبعه ذلك الولى . إلا أنها من الآيات الصغرى (٢) .

وأما خوارق الكفار والفجار كالسحرة والكهان وأمثالهم فهى تفترق عن آيات الأنبياء وكرامات الأولياء إلا أنها خارقة لعادات من لم يكتسب أسبابها .

ويقسم ابن تيمية الآيات الخارقة إلى قسمين :—

١ — جنس فى نوع العلم .

٢ — وجنس فى نوع القدرة . (٣)

" فما اختص به النبى من العلم خارج عن قدرة الأنس والجن " (٤)

ويكون هذا الخارق فى جنس العلم " تارة بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره ، وتارة بأن يرى ، ما لا يراه غيره يقظة لا مناما ، وتارة بأن يعلم ما لا يعلمه غيره وحيا

(١) انظر النبوات ص/ ٤٠ .
(٢) انظر نفس المصدر ص/ ١٩٨ .
(٣) نفس المصدر /٧ وكذا الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص/ ١٤٧ المكتب الإسلامى .
(٤) المصدر السابق نفسه .

و إلهاما ، أو إنزال علم ضرورى ، أو فراسة صادقة ، ويسمى كشفا و مشاهدات ، و مكاشفة ، و مخاطبات ، فالسماع مخاطبات ، و الرؤية مشاهدات ، و العلم مكاشفة و يسمى ذلك كشفا و مكاشفة ، أى: كشف له عنه " (١)٠

فهذه الخوارق الحاصلة فى جنس العلم إذا حصلت للنبى فهى آية وبرهان ، وهى خارجة عن مقدور الأنس و الجن ، لأن الجن من جملة من دعاه الأنبياء إلى الإيمان و أرسلت الرسل إليهم قال تعالى : ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ (٢)٠ و معلوم أن النبى إذا دعا الجن إلى الإيمان به فلا بد أن يأتى بآية خارجة عن مقدور الجن (٣)٠

و يبين ابن تيمية أمثلة لهذا العلم الخارق فيذكر من ذلك إخبار النبى عن أمور الربوبية ، و الملائكة ، و الجنة و النار ، بما يوافق الأنبياء قبله من غير تعلم منهم (٤)٠ وكذلك إخباره عن الأمور الغائبة ماضيها و حاضرها هو من باب العلم الخارق ، وكذلك إخباره عن الأمور المستقبلة ، " مثل مملكة أمته (٥) " و زوال مملكة فارس و الروم (٦)٠ و قتال الترك (٧)٠ و ألوف مؤلفة من الأخبار التى أخبر بها (٨)٠

---

(١) ابن تيمية : المعجزة وكرامات الأولياء - دار الكتب العلمية -بيروت- بدون تاريخ
(٢) سورة الأنعام آية / ١٣٠٠
(٣) ابن تيمية : النبوات : / ٧٠
(٤) ابن تيمية : المعجزة و كرامات الأولياء ص/ ٣٢٠
(٥) حديث اخباره بمملكة امته - صلى الله عليه و سلم - اخرجه مسلم كتاب الفتن واشراط الساعة (٥٢) باب (٥) ج٤/ ٢٢١٥ ، وابو داود - الفتن (١) والترمذى - الفتن (١٤) ، وابن ماجة - الفتن (٩) ، واحمد ج٤/ ١٢٣ ، ج٥/ ٢٧٨
(٦) مسلم كتاب الفتن (٥٢) باب (١٢) ج٤/ ٢٢٢٥ ، واحمد ج١/ ١٧٨ ، ج٤/ ٣٣٨
(٧) البخارى كتاب الجهاد (٥٦) باب (٩٥) ج٣/ ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ومسلم كتاب الفتن (٥٢) باب (١٨) ج٤/ ٢٢٣٣ ٠
(٨) المعجزة وكرامات الاولياء ص/ ٣٢ ٠

ـ صلى الله عليه و سلم ـ و أما الخوارق التى من باب القدرة " فهو التأثير ، وقد يكون همة وصدقا ، و دعوة مجابة ، وقد يكون من فعل الله الذى لا تأثير له ـ أى للعبد ـ فيه بحال ، مثل هلاك عدو بغير أثر منه كقول النبى ـ صلى الله عليه و سلم فى الحديث القدسى : " من عادى لى و ليا فقد بارزنى بالمحاربة ، و إنى لأثأر لأوليائى كما يثأر الليث المجرد " (١) ، و مثل تذليل النفوس له ، ومحبتها إياه ، و نحو ذلك " (٢) .

و يذكر ابن تيمية أن هذا التأثير إما أن يكون " فى العالم العلوى أو ما دونه ، و ما دونه إما بسيط أو مركب ، و البسيط إما الجو و إما الارض ، و المركب إما حيوان و إما معدن و إما نبات ، و الحيوان إما ناطق و إما بهيم .

فالعلوى كإنشقاق القمر (٣) ، ورد الشمس ليوشع بن نون (٤) ... وكذلك معراجه إلى السموات (٥) .

---

(١) صحيح البخارى ـ كتاب الرقاق (٨١) باب (٣٨) جـ ٧ / ١٩٠ .. ـ وابن ماجه ـ الفتن باب (١٦) .
(٢) ابن تيمة : المعجزة وكرامات الأولياء ص / ٣٠ ، ٣١ .
(٣) آية انشقاق القمر متواترة منصوص عليها فى القرآن ، مروى فى الصحيحين و غيرهما من طرق متعددة بحيث لا يمترى فى تواتره . و يأتى مزيد تفصيل لذلك إن شاء الله ـ عند رد ابن تيمية على المتكلمين .
(٤) حديث " غزا نبى من الانبياء ... " سبق تخريجه ص / ٧٥ .
(٥) قصة الإسراء و المعراج ثابتة بالقرآن و السنة المتواترة و اتفاق العلماء . وانظر : نظم المتناثر من الحديث المتواتر ص / ٢٠٧ ، و اللآلئ المتناثرة للزبيدى .

وأما الجو فاستسقاؤه واستصحاؤه (١) غير مرة ، كحديث الأعرابي الذي في الصحيحين وغيرهما (٢) ، وكذلك كثرة الرمي بالنجوم عند ظهوره (٣) ، وكذلك إسراؤه من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى (٤).

وأما الأرض والماء ، فكاهتزاز الجبل تحته (٥) ، وتكثير الماء في عين تبوك (٦)

كما يرى ابن تيمية أن الآية الدالة على النبوة ليس من شأنها أن تقترن بالتحدي فإن عامة معجزات النبي — صلى الله عليه وسلم — لم يكن يتحدى بها ويقول ائتوا بمثلها وسائر الآيات لم يتحد بها ، وليس فيما نقل تحد إلا بالقرآن ، ومن آيات الأنبياء ما كان قبل ولادتهم وقبل إنبائهم وما يكون بعد موتهم (٧).

لذا قال الإمام أبو محمد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ) " ومن ادعى أن إحالة الطبيعة لا تكون آية إلا حتى يتحدى فيها النبي — صلى الله عليه وسلم — الناس فقد كذب وادعى ما لا دليل عليه أصلا لا من عقل ولا من نص قرآن ولا سنة ، وما كان هكذا فهو باطل ويجب من هذا أن حنين الجذع وإطعام النفر الكثير من الطعام اليسير حتى شبعوا وهم مئون من صاع شعير ، ونبعان الماء من بين أصابع رسول الله — صلى الله عليه

---

(١) الاستسقاء : طلب السقي والاستصحاء : طلب الصحو وهو ذهاب الغيم .

(٢) أخرجه البخاري — كتاب الاستسقاء (١٥) باب (٦) جـ ٢ / ١٦ ، ومسلم كتاب صلاة الاستسقاء (٩) باب (٢) جـ ٢ / ٦١٢ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ٣ / ١٨ وتفسير القران العظيم جـ ٨ / ٢٦٧ . وابن هشام : السيرة النبوية جـ ١ / ١٨٩ .

(٤) متواتر بالقران والسنة ، انظر نظم المتناثر ص / ٢٠٧ ، واللالئ المتناثرة .

(٥) ذكر القرطبي في الاعلام ص / ٣٥٩ انه متواتر ، دار التراث العربي — القاهرة .

(٦) رواه البخاري : كتاب الوضوء (٤) باب (٤٥) جـ ١ / ٥٧ ، كتاب الوضوء (٤) باب (٤٦) جـ ١ / ٥٨ ، كتاب التيمم (٧) باب (٦) جـ ١ / ٨٨ ، ومسلم كتاب الفضائل (٤٣) باب (٣) جـ ٤ / ١٧٨٣ ، ١٧٨٤ .

(٧) انظر النبوات ص / ١٩٦ .

و سلم ــ و إرواء الف و أربعمائة من قدح صغير تضيق سعته عن الشبر ليس شيء من ذلك آية له ــ عليه السلام ــ لأنه ــ عليه السلام ــ لم يتحد بشيء من ذلك أحدا " (١).

و حتى يتبين لنا رأى ابن تيمية فى معنى الخوارق و حقيقتها ننقل عنه هذه النصوص الآتية . :ــ

١ ــ " فآية النبى لا بد أن تكون خارقة للعادة بمعنى أنها ليست معتادة للآدميين ، و ذلك لأنها حينئذ لا تكون مختصة بالنبى بل مشتركة وبهذا إحتجوا على أنه لا بد أن تكون خارقة للعادة ... لكن ليس فى هذا ما يدل على أن كل خارق آيــة فالكهانة و السحر هو معتاد للسحرة و الكهان و هو خارق بالنسبة إلى غيرهم كما أن ما يعرفه أهل الطب و النجوم و الفقه ، و النحو ، هو معتاد لنظرائهم و هو خارق بالنسبة إلى غيرهم " (٢).

٢ ــ " و أما أخبار الكهان ..... و سحر السحرة ..... مما هو بإعانة الشياطين فهذا أمر موجود فى العالم كثير معتاد يعرفه الناس ليس هذا من خرق العادة " (٣).

٣ ــ " الخوارق المقدورة للناس منها ما سببه من الناس بحذقهم فى ذلك الفن ، كما يحذق الرجل فى صناعة من الصناعات ، وكما يحذق الشاعر و الخطيب فى شعره و خطابته ، وعلمه .... فهذه كلها قد يأتى الشخص منها بما لا يقدر عليه أهل البلد بل اهل الأقليم لكنها مع ذلك مقدورة مكتسبة معتادة " (٤).

٤ ــ " و أما السحر والكهانة فهو من إعانة الشياطين لبنى آدم ....فأمورهم خارجة عما اعتاده الإنس " (٥).

---

(١) أبو محمد بن حزم : المحلى جـ١/ ٣٦.
(٢) ابن تيمية : النبوات ص/ ١١، ١٢ ــ محمد حامد الفقى .
(٣) نفس المصدر ص/ ٢٠٦ .
(٤) نفس المصدر ص / ٢٠٦ ، ٢٠٧ "
(٥) نفس المصدر ص/ ٢٠٧ .

٥ـ " أن آيات الأنبياء هى الخارقة للعادات ، عادات الإنس و الجن بخلاف خوارق مخالفيهم فإن كل ضرب منها معتاد لطائفة غير الأنبياء" (١) .

وبعد نقل هذه النصوص يقول صاحب خوارق العادات (٢) : " فأنت تراه فى هذه النصوص قد سلك مسلكا عجيبا فهو يصفه لما يأتى به السحرة و أهل الصناعات إنها خارقة للعادة تارة ، و تارة يصفها بأنها معتادة و ليست خارقة ، وكأنه بهذا التصرف فى هذا اللفظ " خرق العادة " يشير إلى أنه لا ضابط له ، وأنه أمر إضافى ، وقد صرح بنحو هذا فقال :وكون الآية خارقة للعادة أو غير خارقة هو وصف لم يصفه القرآن و الحديث و لا السلف وقد بينا فى غير هذا الموضع أن هذا وصف لا ينضبط " (٣) .

" لكنه قال فى موطن آخر : " وإنما الخارق كما قال فى القرآن (٤) : (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (٥) . فهو يشير بهذا إلى المعنى الحقيقى لخرق العادة و أنه أمر يفوق طاقات الإنس و الجن " (٦) .

ثم يقول ابن تيمية : " ولهذا قال فى آيات التحدى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ، وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (٧) وقال فى تلك الآية : (فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ) (٨) فلم

---

(١) المصدر السابق ص/ ٢٨١ .
(٢) عبد الرحمن إبراهيم الحميضى : خوارق العادات فى القرآن الكريم ص/١٧ . ط١/ ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م ـ عكاظ للنشر و التوزيع ـ السعودية . جدة .
(٣) ابن تيمية : النبوات ص/ ١١، ١٣ ـ الفقى .
(٤) المصدر السابق ص/ ٢١٦ ـ الفقى .
(٥) سورة الإسراء / ٨٨ .
(٦) عبد الرحمن ابراهيم الحميضى : خوارق العادات فى القرآن الكريم ص/ ١٧/ ١٨ .
(٧) سورة هود / ١٣ .
(٨) سورة هود / ١٤ .

يكتف بعجز المدعوين ، بل أمرهم أن يدعو إلى معاونتهم كل من استطاعوا أن يدعوه من دون الله ، وهذا تعجيز لجميع الخلق الإنس والجن والملائكة " (١) .

وهذا التعجيز فعلا يتناول الملائكة أيضا لأن الخارق هنا هو كلام الله تعالى المعجز لجميع الخلق بما في ذلك الملائكة ، فالملائكة في هذا لا يستطيعون الإتيان بمثله .

أما الخوارق في جنس المقدورات الأخرى ، فقد تكون من فعل الملائكة للأنبياء ، فلا تكون خوارق بالنسبة لهم لأنها من فعلهم ولأن الرسل لم يبعثوا إلى الملائكة فلم يجب أن يأتوا لهم بما يخرق عاداتهم .

قال ابن تيمية : " وأما ما تقدر عليه الملائكة فذاك قد يكون من آياتهم - أي آيات الأنبياء - لأنهم لم يرسلوا إلى الملائكة ، والملائكة لا تفعل شيئا إلا بإذن الله ، فما تفعله الملائكة معهم فهو بإذن الله ، وهو ما خص به الأنبياء " (٢) .

وبعد هذا يتضح من كلام ابن تيمية أن العادة أقسام متعددة وليست نوعا واحدا يقول صاحب " خوارق العادات " : " فالحاصل من استقرائي لمعنى العادة أنها تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

أولا : عادات تتمثل في أفعال العباد فهذه تختلف بحسب الأمور وحسب البلدان والأجناس فهذه لا ضابط لها " (٣) وهي أمر إضافي ، والعادات بهذا المعنى تختلف . (٤)

ثانيا : عادات كونية تتمثل في قوانين الطبيعة وخواص المادة ، ونظام الأسباب والمسببات وهذه يجوز عليها الخرق بفعله تعالى حسب ما تقتضيه سنته وحكمته عز وجل ،

وهذا عندي تحقيق للعادات في معنى خوارق العادات ولعل هذا ما أشار

---

(١) ابن تيمية : النبوات ص/ ٢١٦ .
(٢) نفس المصدر ص/ ٢١٨ .
(٣) الحميضي : خوارق العادات في القرآن الكريم ص/ ١١ .
(٤) ابن تيمية : النبوات ص/ ١٠٣ ، ٢١٩ - الفقي .

إليه العلامة ابن تيمية ــ رحمة الله ــ فى قوله : " فهذه إذا خرقت فليست إلا لصدق النبى " (١) فقد حد حدودا ووصف أوصافا توصله إلى هذا المعنى وان لم يصرح بذلك ٠

ثالثا : عادات تتعلق بفعله تعالى وتتمثل فى الوعد والوعيد وهى سنته وعادته فى إنجاز الوعد لرسله وأتباعهم وإنجاز الوعيد فى مكذبيهم وأتباعهم وهذه العادات لا تخرق ولا تتبدل ، وهى ما عنى ابن تيمية بقوله : " فهذا كله يبين أن سنة الله وعادته مطردة لا تنتقض فى إكرام مصدقى الرسل وإهانة مكذبيهم " (٢)٠

ويمكننا أن نستخلص مما سبق من رأى ابن تيمية وكلامه تعريفا للايات التى تدل على نبوة النبى وصدق دعواه ، فنقول : ايــة النبــي التي هي معــجزته البينــة وبرهانه هي امر يجريه الله على يديه على وجه الطلب او الابتداء خارقا لسنن الطبيعة وخواص المادة ، مجردًا عن الأسباب والمسببات المعتادة على وجه يفوق طاقات جميع الثقلين من غير الأنبياء ، وقد يتحدى بها النبى قومه ، فلا يستطيع أحد معارضته بمثله ، على الوجه الذى تحداهم به (٣)

ــ شــروط الآيــة (المعجزة) :

ومن خلال هذا التعريف المستنبط يمكننا أن نضع شروط الآية (المعجزة) على وفق رأى ابن تيمية :

١ ــ أن تكون بإذن الله وإنجازه ، فليس للنبى إلا الدعاء حتى يأذن الله فيها قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (٤)٠

٢ ــ أن تكون خارقة للعادة المألوفة فى الكون من غير ارتباط بين الأسباب والمسببات

---

(١) ابن تيمية : النبوات ص/ ٢١٩٠

(٢) الحميضى : خوارق العادات ص/ ١١، ١٢٠ وانظر: ابن تيمية: النبوات ص/ ٢١٩٠

(٣) انظر: التعريف عند الحميضى: خوارق العادات ص/ ٣٦، وقد رأيت أن أتصرف فى بعض الألفاظ والعبارات لتكون أكثر تحديدا وتوضيحا للمفهوم ليكون التعريف جامعا مانعا ٠

(٤) سورة الرعد / ٣٨٠

المعلومة للإنس والجن ، إذ لو كانت معلومة الأسباب ما كانت خارقة ٠

٣ـ أن لا يمكن معارضتها بمثلها على وجه وقوعها ، فى أى زمان أو مكان ، وحيث إنها لم تعارض فهى مختصة بالأنبياء لا يشركهم فيها غيرهم ، ولا يكون لها نظير لغير الأنبياء (١)

وبهذا يكاد يكون قد اتضح رأى ابن تيمية فى آيات النبوة ودلائلها ٠

الكرامة عند ابن تيمية :

الكرم : ضد اللؤم ، وكرم كرامة ، فهو كريم ومكرم ـ بفتح الراء ـ (٢)٠

والكرامة ضد الإهانة ، وخير الإكرام ما كان من الله عز وجل ٠ (٣) قال تعالى : ﴿ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ (٤)٠ ويعرفها علماء التوحيد بأنها " أمر خارق للعادة ، غير مقرون بدعوى النبوة ، ولا هو مقدمة ، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبى كلف بشريعته ، مصحوب بصحيح الإعتقاد والعمل الصالح ، علم بها ذلك العبد أم لم يعلم " (٥)٠

وابن تيمية من العلماء الذين أقروا بكرامات الأولياء وتكلموا فيها تحقيقا وإثباتا ، فقد قال : " ومن أصول أهل السنة والجماعة : التصديق بكرامات الأولياء وما يجرى الله على أيديهم من خوارق العادات ، فى أنواع العلوم والمكاشفات ، وأنواع القدرة والتأثيرات ، كالمأثور عن سالف الأمم فى سورة الكهف وغيرها ، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين ، وسائر قرون الأمة ، وهى موجودة فيها إلى يوم

---

(١) انظر : ابن تيمية : النبوات ص/ ٢٠٧ ـ وانظر هذه الشروط عند الحميضى خوارق العادات ص/ ٣٦٠

(٢) ابن منظور : لسان العرب ج٢ ١/ ٥١٠ مادة كرم ـ دار صادر ـ بيروت ـ والطاهر الزاوى : ترتيب القاموس المحيط ج٤/ ٤١٠

(٣) الحميضى : خوارق العادات فى القرآن الكريم ص/ ٣٧٠

(٤) سورة الحج الآية / ١٨٠

(٥) السفارينى : لوامع الأنوار البهية ج٢ / ٣٩٢٠

القيامة " (١)

ويبين ابن تيمية أن الكرامة يكرم الله بها بعض عباده الصالحين المتابعين للأنبياء والرسل لحجة في الدين أو حاجة للمسلمين . (٢).

كما أن هذه الكرامات هي من جنس آيات الأنبياء لأنها دلالة على صحة نبوتهم (٣): قال ابن تيمية : " قد يتنازع المسلمون والكفار في الدين ، فيؤيد الله المؤمنين بخوارق تدل على صحة دينهم ..... فهذه الخوارق هي من جنس آيات الأنبياء " (٤).

والأولياء دون الأنبياء والمرسلين ، فلا تبلغ كرامات أحد قط مثل معجزات الرسل ، كما أنهم لا يبلغون في الفضيلة والثواب إلى درجاتهم (٥) فالآيات الكبرى هي التي تكون للأنبياء والمرسلين كما قال تعالى عن نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- (لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ) (٦). وقال لموسى -عليه السلام- (لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى) (٧). وقال : (فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ) (٨) وقال تعالى : (وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا) (٩).

وأما الآيات الصغرى فقد تكون للصالحين ، مثل تكثير الطعام ، فهذا قد وجد لغير واحد من الصالحين ، ولكن لم يوجد كما وجد للنبي -صلى الله عليه

---

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ٣/ ١٥٦.
(٢) ابن تيمية : النبوات ص/ ١٠ - ت/ الفقي ، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص/ ١٥٧.
(٣) المصدر السابق ص/ ١٩٨.
(٤) ابن تيمية : النبوات ص/ ٩ ، ١٠ - الفقي .
(٥) المصدر السابق ص/ ٤.
(٦) سورة النجم الآية / ١٨.
(٧) سورة طه الآية / ٢٣.
(٨) سورة النازعات الآية / ٢٠.
(٩) سورة الزخرف الآية / ٤٨.

وسلم - أنه أطعم الجيش من شيء يسير . (١)

فقد تبين من هذا أن لله تعالى آية كبيرة وصغيرة فالآيات الكبرى هي مختصة بالأنبياء - كما قدمنا - وكرامات الأولياء هي من الآيات الصغرى التي تكون للأنبياء ، وقد يشترك معهم فيها غيرهم من الأولياء لكنه اشتراك في الجنس لا في القدر والقوة .

والكرامة عند ابن تيمية لا تلازم الولاية ، بل قد يكون وليا حقيقة ، ولا يجري على يديه أي خارق للعادة ، كما قد يجري الله على يدي شخص أمورًا خارقة وليس مطيعا لله ، فلا يكون بها وليا .

قال ابن تيمية : " وقد تنازع الناس في الخوارق ، هل تدل على صلاح صاحبها وعلى ولايته لله ؟

والتحقيق أن من كان مؤمنا بالأنبياء لم يستدل على الصلاح بمجرد الخوارق التي قد تكون للكفار والفساق ، وإنما يستدل بمتابعة الرجل للنبي ، فيميز بين أولياء الله وأعدائه بالفروق التي بينها الله ورسوله كقوله : (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (٢) .

وقد علق السعادة بالإيمان والتقوى في عدة مواضع كقوله لما ذكر السحرة (وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (٣) . وقوله عن

---

(١) ابن تيمية : النبوات ص / ١٩٨ .
(٢) سورة يونس الاية / ٦٢ .
(٣) سورة البقرة الاية / ١٠٣ .

يوسف : (نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (١).

وقوله فى قصة صالح : (وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (٢). وهذه طريقة الصحابة والسلف.

وأما دلالتها على ولاية المعين فالناس متنازعون ، هل الولى والمؤمن من مات على ذلك ، بحيث إذا كان مؤمنا تقيا ، وقد علم أنه يموت كافرا ، يكون فى ذلك الحال عدوا لله ، أو ينتقل من إيمان وولاية إلى كفر وعداوة ؟ وهما قولان معروفان :

فمن قال بالأول : (أى بأنه عدو لله وإن كان فى تلك الحال مؤمنا لأنه يموت على الكفر) فالولى عنده كالمؤمن عند من علم أنه يموت على تلك الحال (أى على الكفر) والخوارق لا تدل على ذلك (أى على الولاية) ولهذا قال هؤلاء كالقاضى أبى بكر وأبى يعلى وغيرهما لا تدل.

وأما من قال الولاية تتبدل ، فالولاية هنا كالإيمان (أى تتبدل كما يتبدل الإيمان بالكفر) ..... لكن هذا مثل الشهادة لمعين بالجنة وفيها ثلاثة أقوال : —

— قيل : لا يشهد بذلك لغير النبى ، وهو قول أبى حنيفة والأوزاعى وعلى بن المدينى وغيرهم.

— وقيل : يشهد به لمن جاء به نص إن كان خبرا صحيحا ، كمن شهد له النبى فقط وقول كثير من أصحابنا وغيرهم.

— وقيل : يشهد به لمن استفاض عند الأمة أنه رجل صالح كعمر بن عبد العزيز والحسن

---

(١) سورة يوسف الاية / ٥٧.
(٢) سورة فصلت الاية / ١٨.

البصرى ، وغيرهما ، وكان أبو ثور يشهد لأحمد بن حنبل بالجنة ، وقد جاء فى الحديث الذى فى المسند "يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار" قالوا بماذا يا رسول الله ؟ قال : "بالثناء الحسن و الثناء السىء" (١) وفى الصحيحين أن النبى - صلى الله عليه و سلم - مر عليه بجنازة فأثنوا عليها خيرا فقال "وجبت وجبت" و مر عليه بجنازة فأثنوا عليها شرا ، فقال "وجبت وجبت" فقيل يا رسول الله : ما قولك وجبت وجبت ؟ قال : "هذه الجنازة أثنيتم عليها الخير فقلت وجبت لها الجنة ، وهذه الجنازة أثنيتم عليها شرا فقلت : وجبت لها النار ، أنتم شهداء الله فى الأرض" (٢).

وفى حديث آخر : "إذا سمعت جيرانك يقولون قد أحسنت فقد أحسنت ، وإذا سمعتهم يقولون : قد أسأت فقد أسأت" (٣).

وسئل عن الرجل يعمل العمل لنفسه فيحمده الناس عليه ، فقال : "تلك عاجل بشرى المؤمن)" (٤).

---

(١) ابن ماجه - كتاب الزهد - باب (٢٥) . وأحمد : المسند ٣/٤١٦ ، ٦/٤٦٦ .

(٢) متفق عليه : رواه البخارى : كتاب الجنائز (٢٣) باب (٨٦) جـ٢/١٠٠ . وكتاب الشهادات (٥٢) باب (٦) جـ٣/١٤٨ .
ورواه مسلم : كتاب الجنائز (١١) باب (٢٠) صحيح مسلم جـ٢/٦٥٥ ت/ محمد فؤاد عبد الباقى . وأبو داود - كتاب الجنائز باب (٧٢) والترمذى : كتاب الجنائز - باب (٦٣) والنسائى : كتاب الجنائز باب (٥٠) وابن ماجه - كتاب الجنائز باب (٢٠) واحمد ٢/٢٦١ ، ٤٦٦ ، ٤٧٠ ، ٤٩٨ .

(٣) ابن ماجه - كتاب الزهد / ٢٥ . وأحمد : المسند ١/ ٤٠٢ .

(٤) رواه مسلم : كتاب البر (٤٥) باب (٥١) صحيح مسلم جـ٣/٢٠٣٤ ت/محمد فؤاد عبد الباقى . وابن ماجه - كتاب الزهد / ٢٥ . واحمد : المسند جـ٥/ ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٨ ، وانظر : ابن تيمية : النبوات ص/ ٨ ، ٩ - الفقى .

ويقرر ابن تيمية بعد ذلك أن ما دام الإيمان والتقوى داخلين في معنى الولاية ، فلا يمكن أن يعد واحد من الكفار والمنافقين وليا لله لانعدام الإيمان والتقوى ، وكذلك من لا يصح إيمانه وعباداته كالمجنون ، لا يعد وليا لله ، وعلى ذلك فإن من يحاول إظهار الولاية وهو لا يؤدي الفرائض ولا يجتنب المحارم لا يجوز أن يقال عنه هذا ولي مهما ظهر على يديه من الخوارق فإن الشيطان يعينه على ذلك ، وإن اعتقد مثل هذا أنه لا يجب عليه اتباع الرسول فهو كافر ، إلا أن يكون مجنونا قد رفع عنه القلم وسقط عنه التكليف . (١)

ويبين ابن تيمية أن أولياء الله لا يميزون بلباس خاص ، ولا يقتصرون على طائفة بل يوجدون في جميع أصناف الأمة ، في أهل القرآن واهل العلم ، وأهل الجهاد والسيف والتجار والصناع والزراع . (٢)

ثم يتناول الكلام عن الصوفية وأصلها والخلاف في ذلك ، ويوضح أنه ليس من شرط الولي أن يكون معصوما ، بل قد يخطئ ، ويجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ، أو أن يشتبه عليه بعض أمور الدين (٣).

ويذهب ابن تيمية أن لأولياء الله مخاطبات ، ومكاشفات ، وأنه قد يلقى إلى أحدهم في قلبه خواطر أو يقع إليه إلهاما وخطابا " (٤).

---

(١) انظر : ابن تيمية : الفرقان ص/ ٣٧ ، ٤١ . الكتب الاسلامي ط٥/ ١٤٠١ هـ بيروت
(٢) نفس المصدر ص/ ٤١.
(٣) نفس المصدر ص/ ٤٨ ، ٤٩ .
(٤) نفسه ص / ٥٢.

و لكن لا يجوز لولى الله " أن يعتمد على ما يلقى إليه فى قلبه إلا أن يكون موافقا ، وعلى ما يقع له مما يراه إلهاما و محادثة و خطابا من الحق ، بل يجب عليه أن يعرض ذلك جميعه على ما جاء به محمد ، فإن وافقه قبله و إن خالفه لم يقبله ، و إن لم يعلم أموافق هو أم مخالف توقف فيه " (١).

و يقول ابن تيمية : " و قد اتفق سلف الأمة و أئمتها على أن كل أحد يؤخذ من قوله و يترك ، إلا رسول الله ــ صلى الله عليه و سلم ــ (٢). ثم يبين الفارق بين النبى و بين الولى فيقول : " فإن الأنبياء ــ صلوات الله عليهم و سلامه ــ يجب لهم الإيمان بجميع ما يخبرون به عن الله ــ عز وجل ــ و تجب طاعتهم فيما يأمرون به ، بخلاف الأولياء ، فإنهم لا تجب طاعتهم فى كل ما يأمرون به ، و لا الإيمان بجميع ما يخبرون به ، بل يعرض أمرهم و خبرهم على الكتاب و السنة ، فما وافق الكتاب و السنة وجب قبوله ، و ما خالف الكتاب و السنة كان مردودا ، وإن كان صاحبه من أولياء الله ، و كان مجتهدا معذورا فيما قاله ، له أجر على إجتهاده ، و لكن إذا خالف الكتاب و السنة كان مخطئا ، و كان من الخطأ المغفور ، وإذا كان صاحبه قد اتقى الله ما إستطاع (٣) ، فان الله تعالى يقول :(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)(٤)

و ينقل ابن تيمية أقوال أئمة الصوفية و مشايخهم فى وجوب الاعتصام بالكتاب

---

(١) نفس المصدر السابق ص/ ٥٠ ، ٥١ ، ٥٧.
(٢) نفس المصدر ص/ ٥٥.
(٣) نفس المصدر ص/ ٥٥ ، ٥٦.

(٤) سورة التغابن الآية/ ١٦.

و السنة ، و تضليل من يدع الكتاب و السنة لمجرد الإلهام القلبى الذى قد يخطئ و قد يصيب فينقل قول أبى سليمان الدارانى (١): " إنه ليقع فى قلبى النكته من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين : الكتاب و السنة " و قول أبى القاسم الجنيد (٢) "علمنا هذا مقيد بالكتاب و السنة ، فمن لم يقرأ القرآن ، و يكتب الحديث لا يصلح له أن يتكلم فى علمنا ، أو قال لا يقتدى به " (٣).

و يتعرض ابن تيمية لمعنى الحقيقة و الشريعة التى ضل بسببها كثير من الناس ، كما ضل غيرهم فى مسألة الظاهر و الباطن فيبين أن الحقيقة هى دين الله الذى ألزم به الأولين و الآخرين من النبيين و المرسلين ، و دين الله هو الإسلام ، أما الشريعة فهى ما شرعه الله من الأحكام التى تتلاءم مع ظروف من شرعت له و من ثم فدين الأنبياء واحد و شرائعهم مختلفة (٤).

و يوضح بعد ذلك أن الإتفاق قد إنعقد على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء ، و أمة محمد أفضل الأمم ، و القرن الأول أفضل القرون ، و السابقون أفضل الصحابة ، ونبينا أفضل الأنبياء ، و أتباعه لا يحتاجون إلى غيره من النبوات المتقدمة ، فمن ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد — صلى الله عليه و سلم — له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد فهو كافر ملحد ، و مثله الذى يزعم أنه محتاج إلى النبى فى علم الظاهر دون علم الباطن ، أو يدعى أن الولاية

---

(١) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطيه الدارانى نسبه إلى داريا ، قرية من دمشق ت ٢١٥ هـ. وفيات الاعيان جـ١/ ٢٧٦ ، طبقات الصوفية ٧٥-٨٢ .

(٢) أبو القاسم الجنيد البغدادى الخزار ، أصله من نهاوند ، ومولده بالعراق تفقه على مذهب أبى ثور ت ٢٩٧ هـ. وفيات الاعيان جـ١ / ١١٧ ، حلية الاولياء جـ١٠/ ٢٥٥

(٣) انظر: هذه الأقوال و غيرها عند ابن تيمية : الفرقان ص/ ٨ هـ المكتب الاسلامى .

(٤) نفس المصدر ص/ ٦٧-٦٩ .

أفضل من النبوة . (١)

و أخيرًا يبين ابن تيمية أن إستقامة العبد على شرع الله و دينه هى أعظم الكرامة ، فأفضل الكرامة بلوغ الإستقامة ، حيث يقول : " قال أبو على الجوزجانى : كن طالبا للإستقامة لا طالبا للكرامة ، فإن نفسك منجبلة على طلب الكرامة ، و ربك يطلب منك الاستقامة " (٢).

ـ الفروق بين آيات الأنبياء و أعمال السحرة و الكهان :

بقى لنا أن نعرض لرأى ابن تيمية فى الفروق بين آيات النبوة ، و بين غيرها من خوارق السحرة و الكهان و المشعبذين ، فهو يبين أنه يوجد بين هذه و تلك فروق كثيرة ، نجملها فى النقاط الآتية . (٣)

١ ـ خبر النبى صدق ، و خبر غيره من السحرة و الكهان وعباد المشركين ، و أهل الكتاب ، و أهل البدع و الفجور من المسلمين لا بد فيه من الكذب .

٢ ـ الأنبياء لا يأمرون و لا يفعلون إلا العدل ، و مخالفوهم لا بد أن يأمروا ، ويفعلوا الظلم و العدوان ، و الفواحش و الشرك ، و القول على الله بغير علم ،

٣ ـ آيات الأنبياء تدل على صدقهم وصدق من أخبر بنبوتهم ، هم أو غيرهم ، وكرامات الأولياء من هذا ، وهى تختص بالأنبياء ، و ليست معتادة لغيرهم . أما السحر و الكهانة فهى أمور معروفة مقدورة للجن و الإنس و معتادة لغير الأنبياء فليست من آياتهم .

٤ ـ أن السحر و الكهانة يناله من يناله بالتعلم و السعى و الإكتساب ، وهذا شىء مجرب عند الناس ، بخلاف النبوة ، فإنها لا تنال بالكسب و لا بالسعى و التعلم

---

(١) ابن تيمية : الفرقان ص/ ٦٩ ، ٧٤ ـ المكتب الاسلامى .

(٢) ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ١١/ ٣٢٠ .

(٣) انظر: تلك الفروق عند ابن تيمية : النبوات ص/ ٢٧٩ و ما بعدها . ت/ الفقى .

ولو قدر أنها تنال بالإكتساب – وهذا ممتنع – فهي إنما تنال بعبادة الله وطاعته ولا يقول عاقل إن أحدا يصير نبيًا بالكذب والظلم ، بل بالصدق والعدل .

٥ – أفعال السحرة والكهان لا تخرج عن كونها مقدورة للإنس والجن ، أما آيات الأنبياء فلا يقدر على مثلها لا الإنس ولا الجن كما قال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾

٦ – أن ما يأتي به السحرة والكهان وكل مخالف للرسل تمكن معارضته بمثله وأقوى منه وآيات الأنبياء لا يمكن أحد أن يعارضها لا بمثلها ولا بأقوى منها ، كما أن بعض الآيات أكبر من بعض (١) . وكذلك آيات الصالحين ، ولكنها كلها متصادقة متعاونة متعاضدة على مطلوب واحد هو عبادة الله وحده لا شريك له ، وتصديق رسله .

٧ – أن آيات الأنبياء هي الخارقة لعادات الإنس والجن وهي ليست معتادة لغير الذين يصدقون على الله ويصدقون من صدق على الله ، وهم الذين جاءوا بالصدق وصدق به ، وهي آيات تدل على صدق أصحابها . بخلاف خوارق مخالفي الأنبياء فإن كل نوع منها معتاد لطائفة غير الأنبياء ، وهي معتادة لمن يفتري على الله الكذب ، أو يكذب بالحق لما جاءه ، فهي خوارق تدل على كذب أصحابها ، فالله تعالى لا يخلي الصادق مما يدل على صدقه ، ولا يخلي الكاذب مما يدل على كذبه .

٨ – آيات الأنبياء غير مقدورة لمخلوق سواء كان من الإنس أو الجن أو الملائكة ، وإن كانت الملائكة قد تكون سببا فيها فالملائكة لا يكذبون على الله . بخلاف خوارق غيرهم ، فهي إما مقدورة للإنس أو للجن ، أو مما يمكنهم التوصل إليه بسبب . وكرامات الأولياء من آيات الأنبياء ولكن ليست من آياتهم الكبرى ، ولا يتوقف إثبات النبوة عليها .

---

(١) كما قال تعالى لموسى – عليه السلام – : ﴿ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴾ سورة طـه : ٢٣ ، وقال عن محمد – صلى الله عليه وسلم – ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ سورة النجم الآية / ١٨ ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ... ﴾ الزخرف/ ٤٨ .

و ليست خارقة لعادة الصالحين بل هى معتادة فيهم و لكن آيات الأنبياء المختصة بهم خارقة لعادة الصالحين أيضا .

٩ ـ آيات الأنبياء لا تنال بمباشرة سبب من الأسباب و هى تنقسم إلى قسمين : قسم للدلالة فقط ، أى لاثبات الصدق و النبوة كإنشقاق القمر ، و قلب العصا حية ، و القرآن ، و الاخبار بالغيب و أمثال ذلك فهى آيات لمجرد الدلالة فقط على صدق النبوة .

و قسم آخر يجمع إلى الدلالة الإكرام من الله تعالى لرسله . فهى إكرام و دلالة كنصر الله لأنبيائه على أعدائهم ، وكشف الكربات و نوال الرغبات و نحوه . (١).

و خوارق الصالحين من هذا القسم الذى ينال بسبب العبادة و الطاعة و الإستقامة و الدعاء إكراما من الله تعالى لعباده الصالحين ، فهى تنال بالأسباب ، وخوارق السحرة و الكهان تنال أيضا بمباشرة الأسباب من الكفر و الشرك و الفجور لكنها لا تدل على الصدق بل تدل على الكذب و الإفتراء .

فأمر الآيات المجردة للدلالة إلى الله فقط لا إلى إختيار المخلوق ، و الله يأتى بها بحسب علمه و حكمته وعدله و مشيئته و رحمته ، بخلاف ما حصل بإختيار العبد أما لكونه يفعل ما يوجبه ، أو يدعو الله فيجيبه ، وإما بسعيه فى أسبابها كالتوجه بنفسه أو بإعانة الجن و غير ذلك . (٢).

١٠ ـ النبى له نظراء ، و قد تقدمه أنبياء يدعون إلى ما يدعو إليه ، فدعوته من جنس دعوة من سبق من الأنبياء وكلهم منزهون عن الشرك و الكذب

---

(١) ابن تيمية : النبوات ص ٢٨٢ .

(٢) نفس المصدر .

يصدق متأخرهم و متقدمهم و يبشر متقدمهم بمتأخرهم ، و الساحر و الكاهن لهما أيضا نظراء سابقون يدعون إلى السحر و الكهانة و الشرك و الفجور ٠ و هم يخرجون عما اتفقت عليه الأنبياء ، وكلهم يكذبون مع تنوعهم فى الكذب ، و يشركون و يبتدعون و يفجرون (١) ٠

١١ـ الأنبياء و المؤمنون بهم يخبرون بالحق الموافق لما توجبه العقول السليمة و الفطر المستقيمة بخلاف غيرهم الذين يفسدون الحس و العقل و الخبر ٠ (٢)

وبهذا تتبين آيات الأنبياء وبراهينهم ولا تلتبس بغيرها ٠ و تتضح بذلك نظرة ابن تيمية للمعجزات و الخوارق و مفهومها لديه ٠

---

(١) نفس المصدر ص/٢٨٢ ، ٢٨٣ ٠

(٢) نفس المصدر ص/٥٨٤ ، ٥٨٥ ٠

الفصل الخامس

مناقشة ابن تيمية للمتكلمين

المبحث الأول : طريقة إثبات النبوة عند المعتزلة

المبحث الثاني : طريقة إثبات النبوة عند الأشاعرة .

المبحث الثالث : مناقشة ابن تيمية للمتكلمين .

المبحث الأول

طريقة المعتزلة فى إثبات النبوة

ذهب المعتزلة إلى أن الطريق إلى إثبات النبوة هو المعجزة ، يقول القاضى عبد الجبار : " فإن قيل ما دليلكم على نبوة محمد — صلى الله عليه وسلم ... قيل له : الدليل على نبوته أنه ادعى النبوة و ظهر عليه المعجز عقيب دعواه .... " (١).

و الظاهر من أقوال المعتزلة عموما ، و مما نقلناه عن القاض عبد الجبار أنهم لا يستدلون على إثبات النبوة بدليل سوى المعجزة .

و المعجزة عندهم هى كل ما خرج عن الأمر المعتاد ، فكل خارق للعادة إذا اقترن بدعوى النبوة فهو معجزة ، (٢) و لذلك أنكروا الخوارق التى تقع لغير الأنبياء كخوارق السحرة و الكهان ، و كرامات الصالحين (٣).

و يؤكد على ذلك القاضى عبد الجبار فيقول فى المغنى : " ذكر شيخنا " أبو هاشم " ... فى كثير من كتبه أن الأعلام إنما تدل على النبوات عن طريق الإبانة و التخصيص ، إذا أثبت انها تدل من جهة الإبانة فيجب ألا يصح ظهورها على غير النبى لأن ذلك ينقض كونها إبانة " (٤) .

---

(١) القاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ص/ ٥٨٥ ، ٥٨٦ .
(٢) ابن تيمية : النبوات ص/ ٢ .
(٣) نفس المصدر .
(٤) القاضى عبد الجبار : المغني جـ١٥/ ٢١٨ .

ويوضح القاضى عبد الجبار حقيقة المعجز فيقول : "إنه تعالى إذا بعث إلينا رسولا ليعرفنا المصالح فلا بد أن يدعى النبوة ويظهر عليه العلم المعجز الدال على صدقه عقيب دعواه للنبوة وذلك يقتضى أن نبين حقيقة المعجز أولا ، اعلم أن المعجز هو من يعجز الغير ، كما أن المقدر من يقدر الغير ، هذا فى اللغة ، وأما فى المصطلح عليه فهو الفعل الذى يدل على صدق المدعى للنبوة وشبهه بأصل اللغة هو أن البشر يعجزون عن الإتيان بما هذا سبيله ، فصار كأنه أعجزهم " (١).

ثم يقول القاضى عبد الجبار : "قال شيوخنا فى إظلال الغمامة وغيره أن ذلك معجز لنبى فى الوقت. (٢)... أما كلام عيسى فى المهد فهو معجزة له ، ولا بد من أن تكون الدعوى منه قد تقدمت ، وهكذا ورد الكتاب بقوله (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) (٣). فقد قارنت المعجزة الدعوى... وغير ممتنع عندنا أن يكمل عقل الصبى فى حال صغره ويبلغه فى الفضل مبلغ الأنبياء (٤)

وهكذا يبدو - كما قدمنا - أن المعتزلة قد اعتبروا خرق العادة حدا للمعجزة ، فلا تخرق عادة إلا أن تكون معجزة لنبى ، وأن جميع ما حصل للأنبياء

---

(١) القاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ص٥٦٨/٩.
(٢) أى أن الإعجاز فيه أنه متقدم عن وقته والإعجاز فيه هو فى الوقت لا فى الخارق نفسه.
(٣) سورة مريم الآية / ٣٠.
(٤) القاضى عبد الجبار : المغنى ج١٥ / ٢١٥.

من الخوارق فهي معجزات (١).

وقد وجدنا أن ابن حزم يرى رأى المعتزلة فى هذه المسألة ، وقد قال مبينا رأيه : " وأن المعجزات لا يأتى بها أحد إلا الأنبياء — عليهم السلام قال عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (٢) وقال تعالى ﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ (٣) ، وقال تعالى حاكيا عن موسى — عليه السلام — أنه قال : ﴿ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ، قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى عَصَاهُ .. ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴾ (٥) فصح أنه لو أمكن أن يأتى أحد — ساحر أو غيره — بما يحيل طبيعة ، أو يقلب نوعا لما سمى الله تعالى ما يأتى به الأنبياء — عليهم السلام — برهانا لهم ، ولا آية لهم ، ولا أنكر على من سمى ذلك سحرا ، ولا يكون ذلك آية لهم — عليهم السلام — (٦).

ويقول أيضا : " ولو كان السحر يحيل طبيعة " لكان من جنس أعلام النبوة ، التى هى شهادة الله عز وجل للأنبياء بحقهم وصدقهم ، وهذا خروج

---

(١) انظر : الحميضى : خوارق العادات فى القرآن الكريم ص/ ٢٨.
(٢) سورة الرعد الآية/ ٣٨.
(٣) سورة القمر الآية / ٢.
(٤) سورة الشعراء الآية / ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢.
(٥) سورة القصص الآية / ٣٢.
(٦) ابن حزم : المحلى جـ١/ ٣٦.

عن الإسلام ممن ساوى بين الأمرين ، وخروج عن المعقول أيضا ، ومكابرة للضرورة ولا يجوز ألبتة وجود معجزة ، وإحالة طبيعية لغير نبى أصلا ، ولو كان ذلك لما كان بين النبى وغير النبى فرق (١).

وقد اشترط المعتزلة فى المعجزة شروطا لخصها القاضى عبد الجبار فى المغنى فقال : " واعلم أن من حق المعجز أن يكون واقعا من الله تعالى حقيقة أو تقديراً ، وأن يكون مما تنتقض العادة المختصة بمن أظهر المعجزة فيه ، وأن يتعذر على العباد فعل مثله فى جنسه أو صفته ، وأن يكون مختصا بمن يدعى النبوة على طريقة التصديق له فما اختص بهذه الصفات وصفناه بأنه معجز من جهة الاصطلاح . " (٢).

ثم عمد القاضى عبد الجبار إلى ما لخصه فى كتاب " المغنى " ففصله ووضحه فى كتابه الآخر " شرح الأصول الخمسة " فجعلها شروطا أربعة فقال : ...

فالفعل لا يدل على صدق المدعى للنبوة إلا إذا كان على أوصاف وشرائط :

أحدها : أن يكون من جهة الله تعالى أو فى الحكم كأنه من جهته جل وعز ، وإنما قلنا هذا هكذا ، لأن المعجز ينقسم إلى : ما لا يدخل جنسه تحت مقدور القُدَر كإحياء

---

(١) ابن حزم : الدرة فيما يجب اعتقاده ص/ ١٩٤.

(٢) المغنـي جـ١٥ / ١٩٩ .

الموتى وإبراء الأكمه و الأبرص ، وقلب العصا حية و ما شاكل ٠

و إلى ما يدخل جنسه جنسه تحت مقدور القدر ، و ذلك نحو قلب المدن ، ونقل الجبال إلى أشباهه ، وحنين الجذع و ما جرى مجراه " (١)٠

الثاني : أن يكون واقعا عقيب دعوى المدعى للنبوة ، لأنه لو تقدم الدعوى لم تتعلق به ، فلا يكون بالدلالة على صدقه أحق منه بالدلالة على صدق غيره ، وكذلك فلو تراخى عنه لم يتعلق به فلا يكون فالدلالة على صدقه أحق منه بالدلالة على صدق غيره الا انه لو ثبت صدق المدعى للنبوة بمعجز وتراخى عن دعواه معجز آخر جاز " (٢)٠

ثم يقول القاضي بأسلوب الحوار :

" فإن قال : أفيجوز أن تتقدم المعجزة على دعوى المدعى للنبوة أو يتأخر عنه؟ قيل له : أنا لا نجيز ذلك ، لأن ما يتقدم من المعجز لا يتعلق بالدعوى ، لأن الدعوى لم توجد ، فكيف يصح تعلقه بها ، أو يتأخر فلا يوجد إلا بعد موت النبي ، فإنه أيضا لا يتعلق بالدعوى لأن حكم

(١) شرح الاصول الخمسة ص/ ٥٦٩ ٠

(٢) نفس المصدر ص ٥٦٩ ، ٥٧٠ ٠

الدعوى قد بطل "(١).

وبناء على ما قرره القاضي عبد الجبار فإن كل خارق تقدم على دعوى النبوة أو تراخى عنها لا يعد معجزة لإثبات النبوة ، إنما المعجزة ما قارن الدعوى ، أو كان عقيبها ، بحيث يدل على تعلق الخارق بالدعوى - وتعلقها به ، بصورة تدل على أن الخارق آية وبينة على صدق الدعوى .

الثالث : أن يكون مطابقا لدعواه ، فإنه لو لم يكن كذلك وكان بالعكس ، لم يكن يتعلق بدعواه فلا يدل على صدقه ، بيان ذلك أن قائلا لو قال بحضرة جماعة : إني رسول فلان إليكم وعلامته أنه يحرك رأسه إذا بلغه كلامي هذا ، فإنه إذا بلغه ولم يحرك ، وسكن رأسه ، لم يدل على صدقه إن لم يدل على كذبه " (٢)

الرابع : أن يكون ناقضا لعادة من بين ظهرانيه ، لأنه لو لم يكن كذلك لم يكن ليدل على صدق من ظهر عليه أصلا ، ألا ترى أن أحدنا إذا ادعى النبوة ، وجعل معجزته طلوع الشمس من مشرقها ، وغروبها في مغربها لم تصح له دعواه ولم يدل ذلك على صدقه ، وبالعكس من ذلك فلو ادعى النبوة وجعل معجزته طلوع الشمس من المغرب ، وغروبها في المشرق فإنه يدل على صدقه لما انتقض في أحدهما ولم ينتقض في الآخر " (٣)

ويبدو من كلام القاضي أنه يذهب إلى أن المراد بالعادة هنا عادة المخاطبين

(١) المغني جـ١٥ / ٢١٣ .
(٢) شرح الأصول الخمسة ص/ ٥٧١ .
(٣) نفس المصدر .

بالنبوة ممن أرسل النبى إليهم ، ولا عبرة بعادة غيرهم ، وهذا ظاهر من قوله ، أن يكون ناقضا لعادة من بين ظهرانيه " (١).

أى لعادة من أرسل إليهم وهم قوم النبى الذين بعث فيهم خاصة ، يؤكد ذلك ما قاله فى المغنى ، حيث يقول : " واعلم أن من حق المعجز أن يكون واقعا من الله تعالى حقيقة ، أو تقديرا وأن يكون مما تنتقض به العادة المختصة بمن أظهر المعجز فيه " (٢).

وقال فى موضع آخر : " إن من حق نقض العادات أن يظهر فيمن العادة عادة له .... فمتى ظهر المعجز على الرسول — والحال هذه — ينقض تلك العادة فيجب كونه والا للوجه الذى بيناه فى دلالة المعجزات " ثم قال : " يبين ذلك ان عادة غيرهم لا يعتد بها " (٣).

وهذا النص من القاضى صريح فى أن المعتبر عنده عادة القوم الذين أرسل النبى إليهم لا عادة غيرهم . كما ذهب بعض المعتزلة إلى أن النبوة ثواب وجزاء على عمل صالح عمله النبى — صلى الله عليه وسلم — فاستحق أن يجزيه الله بالنبوة (٤)

إنكار المعتزلة للسحر وكرامات الأولياء :

وتبعا لما ذهب إليه المعتزلة من إنكار خوارق العادات لغير الأنبياء فقد ذهب أغلبهم — خلافا لأبى الحسين البصرى (ت٤٣٦هـ) (٥) منهم (٦)

---

(١) نفس المصدر .

(٢) القاضى عبد الجبار : المغنى جـ١٥/ ١٩٩.

(٣) نفس المصدر جـ ١٥/ ١٨٩ .

(٤) الاشعرى : مقالات الاسلاميين ص/ ٢٢٧.

(٥) هو محمد بن على الطيب ، أبو الحسين البصرى ، أحد أئمة المعتزلة ولد بالبصرة وتاريخ مولده غير معروف — وتوفى بها (٤٣٦هـ) قال الخطيب البغدادى " له تصانيف وشهرة بالذكاء والديانه على بدعته " من كتبه : " المعتمد فى أصول الفقه " وتصفح بالادلة " وشرح الأصول الخمسة ، وكتاب " فى الإمامة " انظر : الزركلى الأعلام جـ٦/ ٢٧٥ ، الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ٣/ ١٠٠ وفيات الاعيان جـ١/ ٤٨٢ ، لسان الميزان جـ٥/ ٢٩٨.

(٦) انظر : الإيجى : المواقف ص/ ٣٧٠.

إلى إنكار السحر وكرامات الصالحين ، بل قال الجويني : " أطبقت المعتزلة على منع ذلك " (١) وشبهتهم في ذلك : انه لو وقعت خوارق على أيدي غير الأنبياء ، فإنها تختلط بالمعجزات ، فتفقد دلالتها على صدقهم (٢) ، ووافق المعتزلة في ذلك أبو اسحاق الإسفراييني (٣)، وأبو عبد الله بن الحسن الحليمي (٤) من الأشاعرة (٥) ، وأبو منصور (٦) الماتريدي (ت٣٣٣هـ) (٧)

---

(١) الجويني : الإرشاد ص/ ٣١٦.

(٢) انظر : القاضي عبد الجبار : المغني جـ١٥/ ٢٤١ ، الإيجي : المواقف ص/ ٣٧٠ وابن حزم : المحلى جـ ٨/ ٣٦ ، وابن تيمية : النبوات ص/ ٢.

(٣) هو إبراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران الإسفراييني ، عالم بالفقه والأصول كان يلقب بركن الدين ، ونشأ في اسفرايين بها نيسابور وجرجان ، ثم خرج إلى نسيابور وبنيت له بها مدرسة فدرس فيها ، ورحل إلى خراسان وبعض انحاء العراق ، فاشتهر له كتاب الجامع " في أصول الدين ، وله مناظرات مع المعتزلة ، وكان من الطبقة الاولى من تلاميذ الأشعري مات في نيسابور (٤١٨ هـ) وتاريخ مولده غير معروف ودفن في اسفرايين.
ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ ١/ ٤ ، وابن العماد الحنبلي شذرات الذهب جـ٣/ ٢٠٩ ، والسبكي طبقات ٣/ ١١١، وانظر: ابن تيمية : النبوات ص/٢ والإيجي : المواقف : ص/ ٣٧١ ، وابن خلدون : المقدمة جـ٢/ ٤٠٢ ت/ علي عبد الواحد وافي.

(٤) ابو عبد الله بن الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم فقيه ، شافعي ، أشعري ولد في جرجان (٣٣٨هـ) وتوفي في بخارى (٤٠٣هـ) أشهر كتبه " المنهاج في شعب الايمان " (٣ اجزاء) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب جـ٣/ ١٦٧/ السمعاني : الانساب جـ٤/ ٢٢١ ، السبكي : الطبقات الكبرى جـ٣/ ١٤٧ وعمر رضا كحاله : معجم المؤلفين جـ٤/ ٣.

(٥) السفاريني : لوامع الأنوار : البهية جـ٢/ ٣٩٤.

(٦) محمد بن محمد بن محمود ، أبو منصور ، الماتريدي ، من أئمة علماء الكلام ، نسبته الى " ماتريد " محلة بسمرقند ، من كتبه : " التوحيد " و" اوهام المعتزلة " " الرد على القرامطة " وغيرها تاريخ مولده غير معروف ، وتوفي بسمرقند (٣٣٣هـ)
مفتاح السعادة جـ٢/ ٢١ ، كشف الظنون ٣٣٥.

(٧) انظر : أبو منصور الماتريدي : كتاب التوحيد ص/ ٨٩ ، ٢٠٩ ، وانظر : د/ احمد بن ناصر بن محمد الحمد : كتاب السحر بين الحقيقة والخيال ص/ ٣٨ وما بعدها.

و ممن أنكر ذلك أيضا أبو إسحاق الإستراباذي من أصحاب الشافعي (١)، والإمام أبو محمد بن حزم (٢) ، و غيرهم (٣).

ووجهتهم في ذلك :

— أن القول بأن للسحر أثرا ما لا يمكن معه التمسك بالنبوات ، لتعذر الاستدلال بالمعجزات عليها ، لأن تجويز حصول ما ينقض العادة بفعل الساحر ، مما يجوز كون ما يأتي به الأنبياء — عليهم السلام — من جنس ما يأتي به السحرة من الخوارق (٤)

— كما أن حصول الأثر المناقض للعادة بفعل الساحر لا يمكن معه بالفرق بين ما يختص الله تعالى — بالقدرة عليه و بين مقدور العباد (٥) .

— و كذلك فإن عدم حصول السحرة على الأموال العظيمة من غير تعب مع شدة الرغبة فيها والتعطش إليها دليل عدم إستطاعتهم قلب الأعيان بوساطة سحرهم ، إذ لو أمكنهم ذلك لقلبوا غير الذهب ذهبا ، و اغنوا أنفسهم ، وفي عدم حصول ذلك المطلوب لهم ، دليل على عدم قدرتهم عليه وعلى أمثاله ، مما لا يجوز للعبد إيقاعه اما لكثرته و اما لوجه مخصوص لا يتأتى منه إيقاعه عليه (٦).

فهذا هو رأي المعتزلة و موافقيهم في إنكار السحر و غيره من الخوارق و لسوف نناقشها إن شاء الله — في المبحث القادم .

---

(١) انظر : الامام القرطبي : الجامع لاحكام القران جـ٢/ ٣٢ ، و ابن حجر : فتح الباري جـ١٠/ ٢٢٢ و كناه ابن حجر اباجعفر بدلا من "ابي اسحاق" عند القرطبي وانظر : البحر المحيط جـ ١/ ٣٢٧.

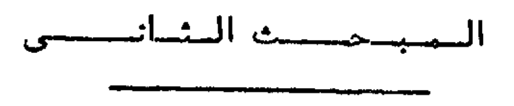
(٢) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، الظاهري ، أبو محمد (٣٨٤هـ — ٤٥٦هـ) عالم الاندلس في عصره واحد ائمة الاسلام ولد بقرطبة ، كان فقيها حافظا يستنبط الاحكام من الكتاب و السنة بعيدا عن المصانعة ، كان يقال لسان ابن حزم و سيف الحجاج شقيقان ، من اشهر تاليفه : الفصل في الملل و الاهواء و النحل و " المحلى و غيرهما انظر : الامـــام ابن حـجـــر العسقلاني : لســـان الميـــزان جـ ٤/ ١٩٨ ، و ابن خلكان : وفيات الاعيان جـ١/ ٣٤٠.

(٣) انظر ابن حزم الدرة فيما يجب اعتقاده ص/ ١٩٢ و ما بعدها و الفصل جـ٥/ ٩٩ ، ١١٠ و الأصول و الفروع جـ٢/ ٣٠٣ ، ٣٠٤ و المحلى جـ١/ ٣٦ و انظر : النبوات ص/ ٢ و ابن حجر : فتح الباري جـ١٠/ ٢٢٢.

(٤) انظر : القاضي عبد الجبار : المغني جـ١٥/ ٢٢١ — ٢٢٥ و متشابه القرآن له جـ١/ ١٠٢ ، ٢٩١ و ابن حزم : الدرة ص/ ١٩٢ و الفصل جـ٥/ ١٠٤ ، الأصول و الفروع جـ ٢/ ٣٠٣ ، الآمدي : غاية المرام ص/ ٣٣٤ و الرازي : التفسير الكبير جـ٣/ ٢٢٣ ، ٢٢٤.

(٥) انظر : القاضي عبد الجبار : متشابه القرآن جـ١/ ١٠٢ ، ٢٩١ وابن حزم : الفصل في الملل و الأهواء و النحل جـ٥/ ٩٩ ، ١٠٠.

(٦) انظر : متشابه القرآن جـ١/ ٢٩١ و الرازي : التفسير الكبير جـ٣/ ٢٢٣ ، ٢٢٤.



المبحث الثاني

طريقة الأشاعرة فى إثبات النبوة :

الأشاعرة يستدلون على صدق النبوة و إثباتها بأحوال النبى — صلى الله عليه و سلم — بجانب المعجزات ، فى حين رأينا المعتزلة يقتصرون على المعجزات فى إثبات النبوة .

قال صاحب المواقف — بعد ما تكلم عن المعجزات — : " المسلك الثانى : و ارتضاه الجاحظ و الغزالى ، الإستدلال بأحواله قبل النبوة و حال الدعوة و بعد تمامها ، و أخلاقه العظيمة و أحكامه الحكيمة ، و إقدامه حيث يحجم الأبطال " (١)

ثم يقول : " المسلك الثالث : اخبار الأنبياء المتقدمين عليه عن نبوته — عليه السلام — " (٢).

و الحاصل من ذلك ان الأشاعرة يستدلون على صدق النبوة بطرق أخرى بجانب المعجزة ، إلا أن المعجزة عندهم هى أشهر الطرق (٣) و أساسها جميعا و ما عداها فهو للتكملة و الزيادة ، قال الإيجى : " المسلك الأول — وهو العمدة — أنه ادعى النبوة و ظهرت المعجزة على يده ... " (٤) و قال فى موضع آخر : " المعتمد ظهور المعجزة على يده ، و هذه الوجوه الاخر للتكملة و زيادة التقرير " (٥).

و فى ذلك التأكيد على أن المعجزة هى الطريق الشهيرة عند الأشاعرة فى إثبات النبوة وعليها التعويل و المعتمد دون سواها ، و مما يزيد التأكيد على ذلك قول

---

(١) الايجي ص/٣٥٦ ، ٣٥٧.

(٢) نفس المصدر ص/٣٥٧.

(٣) انظر : ابن ابى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص/١٥٨ ، ت الالبانى ط ٦/ ١٤٠٠هـ المكتب الاسلامى — بيروت .
و ابن تيمية : شرح الاصفهانية ص/ ٨٨ ، بتقديم حسنين مخلوف ، دار الكتب الحديثة القاهرة — بدون تاريخ .

(٤) المواقف ص/٣٤٩ ، و انظر : الجرجانى : شرح المواقف ج٣/ ١٩٠.

(٥) المواقف ص/٣٥٧ ، و شرحه ج٣/ ٢٠٢.

التفتازاني (١) : " طريق إثبات النبوة على الإطلاق على المنكرين هو المعجزة لا غير ، وهذا لا ينافي خلق العلم الضروري بهـا ، أو ثبوتها بأخبار من نبي آخر أو كتاب (٢) ثم بعد أن قرر ذلك نسبه أيضا إلى إمام الحرمين (٣) فقال : " وما ذكر إمام الحرمين من أنه لا يمكن نصب دليل على النبوة سوى المعجزة ، لأن ما يقدر دليلا إن لم يكن خارقا للعادة ، أو كان خارقا ، ولم يكن مقرونا بالدعوى لم يصلح دليلا للاتفاق على جواز وقوع الخوارق من الله تعالى إبتداء ، محمول على ما يصلح دليلا للنبوة على الإطلاق ، وحجة على المنكرين ، بالنسبة إلى كل نبي حتى الذى لا نبي قبله ولا كتاب ، وأما ما سيأتي من الاستدلال على نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما شاع من أخلاقه وأحواله فعائد إلى المعجزة على ما نبين إن شاء الله تعالى " (٤) ، وما نقله التفتازاني عن الجويني (إمام الحرمين) قد ذكره الجويني نفسه في الإرشاد بصيغة سؤال وجواب فقال : فإن قيل هل في المقدور

---

(١) مسعود بن عمر التفتازاني ، سعد الدين ، من ائمة العربية والبيان والمنطق ولد بتفتازان من بلاد خراسان (٧١٢هـ) أقام بسرخس وأبعده تيمور لنك إلى سمرقند فتوفى بها (٧٩٣هـ) ودفن في سرخس كانت في لسانه لكنة وله مصنفات منها : تهذيب المنطق " "المطول في البلاغة " المختصر " و " مقاصد الطالبين " في الكلام وشرحه انظر : الدرر الكامنة جـ٤/ ٣٥٠ ، بغية الوعاة ٣٩١ .

(٢) سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني : شرح مقاصد الطالبين جـ٢/ ١٣٢ .

(٣) هو امام الحرمين ابو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، نسبه الى " الجوين " ناحية كبيرة من نواحي نيسابور ، ولد بها (٤١٩هـ) أعلم المتاخرين من اصحاب الشافعي ، رحل الى بغداد ثم الى مكة وجاور بها اربع سنوات ، وذهب الى المدينة فافتى " درس " له مصنفات كثيرة منها " غياث الامم والتياث الظلم " (" والعقيدة النظامية في الاركان الاسلامية " " الارشاد " "والشامل " في اصول الدين (" (البرهان " في اصول الفقه ت/ (٤٧٨هـ) انظر : ترجمته في : وفيات الاعيان جـ١/ ٢٨٧ ، السبكي : الطبقات جـ٣/ ٢٤٩ ، تبيين كذب المفترى ٢٧٨ ـ ٢٨٥ ، غيرها .

(٤) التفتازاني : شرح المقاصد جـ٢/ ١٣٥ .

نصب دليل على صدق النبوة غير المعجزة ؟ قلنا : ذلك غير ممكن ... إذ كل خارق للعادة يجوز تقدير وجوده ابتداء من فعل الله تعالى ، فإذا لم يكن بد من تعلقه بالدعوى فهو المعجزة بينهما " (١) وإذا كان الأشاعرة ـ كما تقدم ـ يرون أن الطريق الشهيرة والأساسية فى إثبات النبوة هو المعجزة فما هى المعجزة عندهم؟ وما شروطها ؟ وهل يتفقون مع المعتزلة فى التعريف والشروط أم لا ؟

المعجزة عند الأشاعرة :ـ

لم يتفق علماء الأشاعرة على تعريف واحد للمعجزة ، وإن كانت عباراتهم تدور على أساس واحد هو ما قصد به إظهار صدق المدعى للنبوة من الأمور الخارقة للعادة .

إلا أن لهم فى ذلك مسلكين :ـ

الأول : أن بعضهم عرفها بذكر خواصها التى تتميز بها عن غيرها ، كالباقلانى (٤٠٣هـ) والجوينى (٤٧٨هـ) ، والتفتازانى (٧٩٣هـ) وكذا الجلال الدوانى (٩١٨هـ).

الثانى : أن البعض الآخر عرفها بمفهومها بقطع النظر عن خواصها ، وقد جعلوها شروطا كالآمدى (٢) (ت٦٣١هـ) ، والإيجى (ت٧٥٦هـ) ، والجرجانى (ت٨١٦هـ).

---

(١) إمام الحرمين الجوينى : الإرشاد ص/ ٣٣١.

(٢) على بن محمد بن سالم التغلبى، أبو الحسن ، سيف الدين الآمدى (٥٥١ هـ ـ ٦٣١هـ) أصولى ، أصله من آمد (ديار بكر) ولد بها وتعلم فى بغداد والشام ، وانتقل إلى القاهرة فدرس بها واشتهر ثم وشى به فخرج مستخفيا إلى حماة ومنها إلى إلى دمشق ومات بها له نحو عشرين مصنفا منها : " الإحكام فى أصول الأحكام " ، وأبكار الافكار في علم الكلام ، انظر ترجمته في : ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ١/ ٣٢٩، ميزان الاعتدال جـ١/ ٤٣٩، لسان الميزان جـ٣/ ١٣٤ شذرات الذهب جـ٦/ ١٤٤ .

١ — وقد عرفها الباقلانى (١) بقوله: " هى أفعال الله تعالى ، الخارقة للعادة المطابقة لدعوى الأنبياء وتحديهم الأمم بالإتيان بمثل ذلك " (٢).

٢ — وعرفها الجوينى فقال: " هى أفعال الله تعالى الخارقة للعادة المستمرة الظاهرة على حسب دعوى النبوة " (٣).

وقد ذكر الجوينى لها شروطا فى الإرشاد (٤).

٣ — وعرفها التفتازانى فقال: " .... أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدى ، مع عدم المعرضة ... وزاد بعضهم قيد موافقة الدعوى ، وبعضهم: مقارنة زمن التكليف إذ عند انقراضه تظهر الخوارق لا لقصد التصديق " (٥).

والمتأمل فى تلك التعريفات يجد انها قد إتفقت على كون المعجزة أمرا خارقا للعادة ظهر على يد من يدعى النبوة أو الرسالة. (٦)

ثم اختلفت بعد ذلك ، فالباقلانى والجوينى ، والتفتازانى قد ادخلوا فى التعريف مطابقة الدعوى وتوافق الباقلانى مع التفتازانى فى ذكر التحدى بينما لم يذكره الجوينى.

وزاد التفتازانى عن بعضهم قيد مقارنة زمن التكليف ، وقد وضح ذلك القيد الأخير بقوله: " وزاد بعضهم فى تفسير المعجزة قيد آخر ، وهو أن يكون فى زمان

---

(١) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ، أبو بكر ، الباقلانى (٣٣٨هـ — ٤٠٣ هـ) قاض من كبار علماء الكلام ، انتهت اليه الرياسة فى مذهب الاشاعرة ، ولد بالبصرة ، وتوفى ببغداد كان جيد الاستنباط ، سريع الجواب ، وجهه عضد الدولة سفيرا عنه الى ملك الروم فجرت له فى القسطنطنية مناظرات مع علماء النصرانية بين يدى ملكها ، " اعجاز القران " و " الانصاف " ، " التمهيد " " الرد على الملحدة والمعطلة والخوارج المعتزلة " انظر ترجمته: ابن خلكان ، وفيات الاعيان جـ١ / ٤٨١ ، تاريخ بغداد جـ٥ / ٣٨٩ الديباج المذهب ٢٦٧ ، وابن عساكر: تبيين كذب المفترى ص/ ٢١٧ — ٢٢٦.

(٢) الباقلانى: الإنصاف ص/ ٦١ — ت/ محمد زاهد الكوثرى.

(٣) لمع الادلة فى قواعد اعتقاد اهل السنة ص/ ١١٠ ، ت/ د /فوقية حسين محمود

(٤) ص/ ٣٠٨.

(٥) شرح مقاصد الطالبين جـ٢ / ١٣٠.

(٦) انظر: مغفور عثمان: النبوة والرسالة فى الإسلام ص/ ١٠٠ ، رسالة ماجستير جامعة ام القرى.

التكليف لأن ما يقع فى الآخرة من الخوارق ليس بمعجزة ، ولأن ما يظهر عند ظهور أشراط الساعة ، وانتهاء التكاليف لا يشهد بصدق الدعوى لكونه زمان نقض العادات وتغير الرسوم " (١).

ولكن ما ذكره التفتازانى من أن ما يقع فى الآخرة من الخوارق ليس بمعجزة هو الكلام بعيد لا يخفى بعده ، إذ لا يتصور ألبتة أن أحدا فى الدار الآخرة يستطيع أن يدعى النبوة أو الرسالة مطالبا الناس بالإيمان به اعتمادا على ما هو حاصل انئذ من الخوارق ، ذلك لأن الآخرة ليست بدار تكليف ، بل هى دار حساب وجزاء وأهوال تجعل الولدان شيبا ، يفر فيها المرء من أخيه ، وأمه وأبيه ، وصاحبته وبنيه ، لكل إمرئ منهم يومئذ شأن يغنيه .

٤ ــ وعرفها جلال الدين الدوانى (٢) كما يلى : " هى أمر بخلاف العادة على يد من يدعى النبوة ، وعند تحدى المنكرين على وجه يدل على صدقه ، ولا يمكنهم معارضته " (٣).

وهذا التعريف ذكر فيه كون المعجزة خارقة للعادة صدر ممن يدعى النبوة وأن المنكرين لا يمكنهم الإتيان بمثلها ، كما أن قوله : " على وجه يدل على صدقه " يتضمن كونها مطابقة لدعواه ، وأن قوله "أمر" يدخل فيه ما هو فعل وما ليس بفعل

---

(١) شرح المقاصد جـ٢/١٣١ .

(٢) محمد بن أسعد الصديقى ، الدوانى ، جلال الدين (٨٣٠هـ ــ ٩١٨ هـ) قاض باحث ، يعد من الفلاسفة ، ولد فى دوان (من بلاد كازرون) وسكن شيراز وولى قضاء فارس ، توفى بها ، له : اثبات الواجب " و " افعال العباد و " شرح العقائد العضدية " و "شرح هياكل النور للسهرودى ".
انظر ترجمته عند : الشوكانى : البدر الطالع جـ٢/١٣٠ ، ابن العماد شذرات الذهب جـ٨/١٦٠.

(٣) شرح العقائد العضدية جـ٢/ ٦٣٥ .

كالترك و القول .

الا ان موطن الضعف فيه هو قوله : "على وجه يدل على صدقه " وكان يمكن أن يستغنى به عن ذكر جميع خصائص المعجزة ، من كونها خارقة للعادة و أن المنكرين يعجزون عن الإتيان بالمثل و غيره ، إذ أن وقوعها على وجه يدل على صدق مدعى النبوة يتضمن ما ذكر من تلك الخصائص فكان الأولى بعد ذكره للجنس في التعريف بقوله : " أمر ظهر على يد مدعي النبوة ، ان يذكر الفصل و هو قوله : " على وجه يدل على صدقه " ويكتفى بذلك عن تعديد الخصائص ، فذكر الجنس (١) ثم الفصل (٢) هو حد تام (٣) أو أن يذكر الخصائص جميعا و يكتفى بها من غير أن يذكر قوله : "على وجه يدل على صدقه "

أمـا أصحاب المسلك الثانـي :ـ

١ ــ فقد قال الآمدى : " و أما حقيقة المعجزة فهى كل ما قصد به إظهار صدق التحدى بالنبوة ، المدعى للرسالة " (٤) .

٢ ــ و مثله قال الإيجى : " وهى عندنا ما قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله " (٥).

(١) الجنس: من الكليات الخمس وهو: "كلي مقول على كثيرين مختلفين فى الحقائق فى جواب ما هو ؟ كالحيوان ،فاذا سئل عن الانسان و الفرس و قيل ما هما كان الجواب: حيوانا ، انظر: عبد الكريم بن مراد الأثرى : تسهيل المنطق ص/ ٢٧ .

(٢) الفصل : من الكليات الخمس و هو : " كلي مقول على الشيء فى جواب اي شيء هو ذاته ؟ كالناطق للإنسان " نفس المصدر ص/ ٣٣ .

(٣) الحد التام : هو ما كان بالجنس و الفصل القريبين كتعريف الإنسان بالحيوان الناطق " نفس المصدر السابق ص/ ٣٥ .

(٤) غـايـة المـرام فى علم الكلام ص/ ٣٣٣ .

(٥) المـواقف ص/ ٣٣٩ .

٣ ــ وقال الجرجاني في تعريفها : " أمر خارق للعادة ، داعية للخير والسعادة مقرونة بدعوى النبوة ، قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله " (١).

ويبدو أن هذه التعريفات الثلاثة هي أفضل ما نقلناه من التعريفات عندهم ، إلا أن مفهومها الصحيح لا يتم تحققه إلا بذكر شروطهم التي وضعوها لها وهذه هي الشروط:ــ

شروط المعجزة عند الأشاعرة :ــ

وقد اعتبروا فيها ثمانية شروط أو قيود :ــ

الأول : أن تكون فعلا لله (٢) أو قولا أو تركا (٣) فالأول كنبع الماء من بين أصابعه ــ صلى الله عليه وسلم ــ والثاني كالقرآن والثالث كعدم إحراق النار بسيدنا إبراهيم ، وخرج بذلك الصفة القديمة (٤) ، كما إذا قال : آية صدقي كون الإله متصفا بصفة الإختراع (٥) ، وقد حكى ابن تيمية عن الباقلاني أنه قد اشترط هذا الشرط (٦) بقوله أن لا يقدر عليها إلا الله ، لا تكون مقدورة للملائكة ولا الجن ولا الإنس ، بأن يكون جنسها مما لا يقدر عليه إلا الله ، كإحياء الموتى ، وقلب العصا حية ، وإذا كانت من أفعال العباد لكنها خارقة للعادة ، مثل حمل الجبال ، والقفز من المشرق إلى المغرب (٧).

(١) الشريف الجرجاني : التعريفات ص/ ٢١٩.

(٢) إمام الحرمين الجويني : الارشاد ص/ ٣٠٨ والايجي : المواقف: ص/ ٣٣٩ والبيجوري تحفة المريد ص/ ٨٢. وانظر: ابن تيمية : النبوات ص/ ٢٨ ، ١٤٠.

(٣) البيجوري : تحفة المريد ص/ ٨٣ وذكر الايجي ان الفعل والقول والترك هو قول الفلاسفة لكنه في حق النبي لا في حق الله ، فالفعل للنبي والقول له والترك منه انظر: المواقف: ص/ ٣٤١.

(٤) إمام الحرمين : الإرشاد ص/ ٣٠٨.

(٥) ابراهيم البيجوري : تحفة المريد ص/ ٨٣.

(٦) انظر: تعريف الباقلاني للمعجزة الذي سبق قبل قليل ص/ ٣٠٧.

(٧) انظر: ابن تيمية : النبوات ص/ ٢٨ ، ١٤٠.

فالباقلانى يشترط كون المعجزة من مقدورات الرب سبحانه لا من مقدورات المخلوق أيا كان ، وإن كانت من جنس مقدورات المخلوق فلا بد أن يكون خارقة ، مثل حمل الجبال ، فإن جنس الحمل مقدور للبشر والجن والملائكة والحيوان ، لكن حمل جبل هو الخارق للعادة وهو المعجزة ، ومثله القفز من المشرق إلى المغرب .

وكأن الباقلانى (ت٤٠٣هـ) يقسم المعجزات إلى قسمين : ما لا يدخل جنسه تحت مقدور قدرة المخلوق ، وهو مقدور الرب عز وجل ، كإحياء الموتى ، فإن إحياء الموتى لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، كذلك قلب العصا حية ، وإلى ما يدخل جنسه تحت مقدور القدر المخلوقة ، كما ذكرنا من حمل الجبال وغيرها .

وهذا التقسيم قد صرح به القاضى عبد الجبار (ت٤١٥ هـ) فى شرح الأصول الخمسة (١) : فقال : عندما إشترط الشرط الأول : " ... لأن المعجز ينقسم إلى : ما لا يدخل جنسه تحت مقدور القدر كإحياء الموتى ... الخ ، وإلى ما يدخل جنسه تحت مقدور القدر ، وذلك نحو قلب المدن ، ونقل الجبال ..." (٢)

كما قد وجدنا أن صاحب المواقف (الإيجى ت٧٥٦) ذكر نفس الشرط ، وأشرنا إليه آنفا بعبارة تكاد تكون قريبة من عبارة القاضى عبد الجبار حيث قال : " أن يكون فعلا لله ، أو ما يقوم مقامه " (٣) . وهم قد اشترطوا أن تكون المعجزة فعلا لله تعالى أو ما يقوم مقامه (٤) لأن التصديق منه لا يحصل بما ليس من قبله ، وقولهم أو ما يقوم مقامه ليتناول ما إذا قال : معجزتى أن أضع يدى على رأسى وأنتم لا تقدرون عليه ففعل وعجزوا فإنه معجز ، ولا فعل لله ثمة ، فإن عدم خلق القدرة ليس فعلا ، فهذا فى الحكم قائم مقام فعل الله تعالى ، فهو معجز .

(١) سبق ان نقلناه فى الشرط الاول من شروط المعتزلة فى المعجزة .
(٢) القاضى عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة ص/٥٦٩ .
(٣) المواقف ص/٣٣٩ . وانظر : الجوينى : الإرشاد ص/٣٠٨ .
(٤) انظر : الايجى : المواقف ص/٣٣٩ .

الثاني : أن تكون خارقة للعادة (١) وهي (أي العادة) ما اعتاده الناس واستمروا عليه مرة بعد أخرى (٢) ، إذ لا إعجاز دونه (٣) وقد خرج بذلك غير الخارق كما إذا قال آية صدقي طلوع الشمس من حيث تطلع ، وغروبها من حيث تغرب (٤).

وهذا القيد وهو كون المعجزة خارقة للعادة يكاد يكون محل اتفاق عند الأشاعرة قالوا : وذلك لأنها لو لم تكن خارقة لا يمكن أن تدل على صدق مدعي النبوة ، إذ الأمور العادية التي اعتاد الناس على مشاهدتها لكونها من سنن الله الكونية هي مشتركة بين الأنبياء وبين غيرهم . حدثت لهم وحدثت لغيرهم سواء وجدت دعوى النبوة أم لم توجد فلا يجوز أن تكون دليلا على النبوة ، لأن دليل النبوة يجب أن يكون مختصا بمن هو له ، وإذا لم يكن كذلك لا يتم كونه دليلا وإذا كان قد تقرر بذلك ثبوت اعتبار خرق العادة شرطا في المعجزة ، فما هي العادة المراد خرقها ؟ هل هي عادة المخاطبين بالنبوة ، أي القوم الذين أرسل فيهم النبي خاصة فتكون المعجزة آية عليهم ودليلا لهم ؟ أم أن المقصود أن تكون عادة لجميع الناس ؟

ذهب الشهرستاني إلى أن المراد بالعادة هنا عادة المخاطبين بالنبوة ممن أرسل النبي إليهم ولا عبرة بعادة غيرهم (٥).

قال الشهرستاني : "والمعتبر في كون الآية حجة أن يكون ذلك نقضا لعادة من كانت الآية حجة عليه ، والعادة عادة له ، وكذا لو ادعى النبي مدًّا وجزرا في جيحون (٦) كان ذلك حجة لأنه نقض لعادتها ، وإن كان معتادا لأهل

---

(١) الجويني : الإرشاد ص/ ٣٠٩ ، والإيجي : المواقف ص/ ٣٣٩ ، البيجوري : تحفة المريد ص/ ٨٣ ، والجرجاني : التعريفات ص/ ٢١٩ .

(٢) البيجوري : تحفة المريد ص/ ٨٣ ، وانظر : الجرجاني : التعريفات ص/ ١٤٦ .

(٣) الإيجي : المواقف : ص/ ٣٣٩ .

(٤) انظر : إبراهيم البيجوري : تحفة المريد ص/ ٨٣ ، وانظر : القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ص/ ٥٧١ .

(٥) هو مذهب القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) من المعتزلة ، وقد حكيناه عنه وأثبتناه ، عند الكلام على طريقة المعتزلة في إثبات النبوة : انظر : شرح الأصول الخمسة ص/ ٥٧١ . المغني جـ ١٥/ ١٨٩ ، ١٩٩ .

(٦) "جيحون" نهر خوارزم ترتيب القاموس المحيط جـ ١/ ٥٦٤ .

البصرة ، وكذلك لو قال آية صدقى أن ينبت الله نخيلا بخراسان كان ذلك آية معجزة له " (١).

وكلام الشهرستانى واضح فى أنه يعتبر العادة ، بعادة من خوطبوا بالنبوة أو الرسالة ، وإن لم يكن نقضها نقضا لعادة غيرهم ، يوضح ذلك أكثر المثال الذى ذكره أبو الفتح فى معرض كلامه ، وهو ادعاء النبى المد والجزر فى نهر جيحون ، فهو نقض لعادة أهل جيحون دون غيرهم ، وإن كان ذلك المد والجزر معتادا لأهل البصرة فإن ذلك لا يبطل كونها آية معجزة ، وكذلك نبت النخيل فى خراسان إن لم تجر العادة بذلك عندهم ، لكنه نبت ، كان ذلك نقضا لعادتهم ، وإن كان ذلك النبت معتادا لغيرهم ، فهو آيه معجزة كذلك ، لا يوثر ذلك فى دلالتها على النبوة .

الثالث: أن يكون الأمر الخارق ظاهرا على يد مدعى النبوة أو الرسالة (٢). ليعلم انه تصديق له ، فلو ظهر الخارق على أحد من الناس ولكنه لم يدع نبوة ولا رسالة ، فلا يجوز أن يحكم بأنها معجزة دالة على نبوته ، لأن العلم بالنبوة متوقف على الخبر ، وهذا الخبر يستحيل أن يحصل العلم به إلا عن طريق النبى نفسه ، أما وانه لم يدعْ ذلك الحصول لنفسه ، فإنه لا يثبت له ذلك بمجرد ظهور الفعل الخارق عليه ، وإنما لا بد أن يقول إنى نبى ، أو إنى رسول الله إليكم . ذلك لأن الأفعال الخارقة حاصلة لغير الأنبياء ، وهم ليسوا بأنبياء قطعا ، فلا يمكن أن تكون تلك الخوارق دليلا على نبوتهم ، فتخرج بهذا الشرط الكرامة الحاصلة للصالحين ، والمعونة التى تحصل للعوام تخليصا لهم من شدة ، وكذلك يخرج الاستدراج وهو ما يظهر على يد الفاسق خديعة له ومكرا به . (٣)

---

(١) نهاية الاقدام ص/٤٣٩.
(٢) الإيجى : المواقف: ص/٣٣٩. والبيجورى: تحفة المريد ص/٨٣.
(٣) انظر: البيجورى: تحفة المريد : ص/٨٣.

الرابع: أن يكون مقارنا لدعوى النبوة (١)، حقيقة أو حكما كأن تأخر عنها بزمن يسير. (٢)
فالأمر الخارق إذا تقدم على الدعوى لم يصح أن يكون معجزة، لأن المعجزة تصديق لصاحبها، والتصديق لا بد أن يكون بعد الدعوى أو مقارنا لها، ولا يعقل أن يكون قبلها.

فلو قال معجزتي ما قد ظهر على يَدَيَّ قَبْلُ، لم يدل على صدقه ويطالب به بعد، فلو عجز كان كاذبا قطعا (٣) إذ لا تعلق لما مضى بدعواه. (٤)

وأما المتأخر فإن كان التأخر بزمن يسير يعتاد مثله فظاهر ولا إشكال فيه، وإن كان بزمن بعيد، بأن قال: معجزتي أن أحيي هذا الميت، فلم يحي إلا بعد سنوات، فلا يكون معجزة له دالة على صدقه، لأن الأمر والحالة هذه يبعث الريب في القلب هل حصلت حياة ذلك الميت لتكون آية دالة على صدقه أم حصلت لأجل أمر آخر، ومثل ذلك يتنافى مع وظيفة المعجزة الأساسية وهي تصديق نبوة صاحبها (٥)

وقد يعترض على شرط عدم تقدم المعجزة عن الدعوى بما حصل لعيسى -عليه السلام- فقد تكلم في المهد قبل أن يبعث نبيا، قال تعالى: (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا: كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا)(٦)
فكيف يشترط عدم تقديم المعجزة على الدعوى ؟؟ كما قد يعترض أيضا على اشتراط عدم تراخي المعجزة عن الدعوى بما يقع في آخر الزمان من اشراط الساعة مثل طلوع الشمس من المغرب ونحوه، وهي معدودة من دلائل نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم-

(١) الإيجي: المواقف/٣٣٩، وانظر: الجويني: الإرشاد ص/٣١٤. والبيجوري تحفة المريد ص/٨٣.
(٢) البيجوري: تحفة المريد ص/٨٣.
(٣) الإيجي: المواقف: ص/٣٤٠، والجويني: الإرشاد ص/٣١٤.
(٤) الجويني: الإرشاد ص/٣١٤.
(٥) مغفور عثمان: النبوة والرسالة في الإسلام ص/١١١ بتصرف.
(٦) سورة مريم الايات ٢٩ - ٣١.

وصدقه فى دعواه ، وهى فى نفس الوقت متأخرة عن الدعوى بقرون متطاولة .

فكيف يشترط عدم التأخر طويلا ؟

فأجاب الأشاعرة عن الأول : بأن ما وقع لعيسى -عليه السلام- وكذلك ما وقع لنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - قبل النبوة ليست معجزات إنما هى كرامات ، وهى حاصلة لغير الأنبياء ، قال الشريف الجرجانى :

" .... وما تقولون أيضا فى معجزات رسولكم من شق بطنه ، وغسل قلبه ، وإظلال الغمامة ، وتسليم الحجر والشجر والمدر عليه ، فإنها كلها متقدمة على دعوى الرسالة ؟ (قلنا) : تلك الخوارق المتقدمة على الدعوى ليست معجزات إنما هى كرامات ، وظهورها على الأولياء جائز ، والأنبياء قبل نبوتهم لا يقصرون عن درجة الأولياء ، فيجوز ظهورها عليهم أيضا ، وحينئذ تسمى إرهاصا أى تأسيسا للنبوة من أرهصت للحائط أسسته (١) . فهم على ذلك لا يعدون تلك الخوارق المتقدمة على النبوة من المعجزات ، إنما هى إرهاص فى درجة الكرامات ، وهى خارجة بهذا الشرط من حد المعجزة .

وأجابوا عن الثانى : " بأن أشراط الساعة تدل على نبوة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وصدقه فى دعواه ، لأنه أخبر بها قبل وقوعها ، فكان من باب الإخبار بالغيب ، فالإعجاز ليس فى وقوعها ، وإنما فى الإخبار بوقوعها قبل أن تقع وهذا الإخبار مقارن للدعوى وليس متأخرا عنه (٢) .

---

(١) الشريف الجرجانى : شرح المواقف جـ٣/ ١٧٧ . وانظر : مغفور عثمان : النبوة والرسالة فى الإسلام ص/ ١١٢ ، الحميضى : خوارق العادات فى القرآن ص/ ٢٨ .

(٢) مغفور عثمان : النبوة والرسالة فى الإسلام ص/ ١١٢ ، وانظر : الشريف الجرجانى شرح المواقف جـ٣/ ١٧٧ - ١٨٠ .

وبناء على هذا الشرط اخرج الأشاعرة من حد المعجزة ، الخوارق الحاصلة قبل النبوة وسموها إرهاصا ولم يعتبروها معجزات ، قال بعضهم فى ذلك :

" وإن بان منه قبل وصف نبوة فالإرهاص سمه تتبع القوم فى الأثر (١)".

الخامس: أن تتعذر معارضته (٢) وهو معنى التحدى الذى ليس فى مقدور قوم النبى أن يأتوا بمثله معارضين به معجزته . فإن ذلك حقيقة الاعجاز (٣) وهو معنى التحدى الذى ذكره بعض العلماء فى تعريفهم للمعجزة ، فان كان الأمر مما يقدر قومه على فعل مثله فلا يكون معجزة له ، فإن معجزة موسى -عليه السلام- وهى قلب العصا حية ، لم يقدر سحرة فرعون أن يأتون بمثلها معارضين به إياها ، فتبين بذلك لهم صدقه ، فألقى السحرة سجدا أمام عظمة تلك الآية الباهرة .

قال تعالى : (قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ (٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ، وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ (٦٤) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا ، فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ (٦٧) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا ، إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ، وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠) (٤).

وقد اشترطوا هذا الشرط لأن المعجزة إذا كانت مما يمكن معارضته ، بأن قدر الخصوم على الإتيان بمثلها ، فإنها لايمكن أن تكون دليلا على صدق صاحبها لأنها تكون فى هذه الحالة مشتركة بينه وبين غيره ، غير مختصة به ، وبناء على

(١) إبراهيم البيجورى : تحفة المريد ص/ ٨٣.
(٢) الإيجى : المواقف/ ٣٣٩ ، وانظر : البيجورى : تحفة المريد ص/ ٨٣.
(٣) الايجى : المواقف ص/ ٣٣٩ و الجوينى : الإرشاد ص/ ٣٠٧ ، ٣٠٨.
(٤) سورة طه الآيات / ٦٣ - ٧٠.

ذلك لا يمكن اقناع الخصوم على التصديق والإيمان ، واستلزم ذلك إفحام النبى ، وانهيار موقفه أمام خصومه ، ونتج منه فقدان الغاية المقصودة من ظهورها على يد صاحبها . (١).

وقد نبهنا على أن تعذر المعارضة هو معنى التحدى المذكور فى بعض التعريفات للمعجزة ، ولكن هل يشترط التصريح بالتحدى ؟ بأن يقول النبى هذه آيتى ولا يقدر أحد على الإتيان بمثلها ؟

رجح الجوينى فى الإرشاد ، وصاحب المواقف أنه لا يشترط التصريح بذلك ، بل يكفى أن يقول النبى هذه آية صدقى ، وهى أن يحيى الله هذا الميت مثلا فإن الغرض من التحدى هو ربط الدعوى بالمعجزة ، وذلك يحصل دون أن يقول : ولا يأتى أحد بمثلها (٢).

لذا قال : الإيجى : " وهل يشترط التصريح بالتحدى ؟ الحق أنه لا ، بل يكفى قرائن الأحوال مثل أن يقال له : إن كنت نبيا فأظهر معجزا ، ففعل " (٣).

وبهذا الشرط يخرج السحر ، لأنه يحصل بالتعلم ويمكن معارضته من قبل الغير ، ومنه الشعبذة وهى خفة فى اليد يرى أن لها حقيقة ، ولا حقيقة لها ، كما يقع للحواة . (٤) فكل ما يمكن معارضته خارج بهذا الشرط من حد المعجزة .

السادس: أن يكون موافقا لدعواه (٥) بأن تظهر المعجزة غير مخالفة لما ادعاه قبلها

---

(١) انظر : مغفور عثمان : النبوة والرسالة فى الإسلام ص/ ١٠٩.
(٢) الجوينى : الإرشاد ص/ ٣١٣.
(٣) الإيجى : المواقف ص/ ٣٣٩.
(٤) البيجورى : تحفة المريد ص/ ٨٣.
(٥) الإيجى : المواقف: ص/ ٣٣٩ . وانظر : البيجورى : تحفة المريد ص/ ٨٣.

فلو قال مثلا معجزتى أن ينفلق البحر ، فانفلق الجبل لم يكن انفلاق الجبل معجزة له (١) ، ولو ادعى أن آيته إحياء الموتى فلا بد أن يكون الخارق الحاصل له هو الإحياء لا غير ، ولو فعل غيرهما كان ذلك ليدل على صدقه ، وإنما الذى يدل على صدقه هو ما ادعاه دليلا ، فكون الخارق وقع مخالفا لمدعاه ، فهو لا يدل على الصدق إن لم يدل على الكذب لأن صاحب الدعوى لم يعتبره دليلا لنفسه ، ولم يجعله آية له ، فلا يصح أن نعتبره نحن دليلا . (٢)

ولكنه لو قال : سترون من الخوارق ما به تصدقون دعواى ، ولم يعين خارقا معينا ، فأى خارق وقع مقارنا للدعوى فهو آية ودليل ، ولكن المسألة فيما لو عين خارقا بعينه فوقع خارق آخر ما جاز أن يعتبر دليلا وبرهانا (٣).

السابع : أن لا يكون ما ادعاه وأظهره مكذبا له (٤) فلو قال مثلا : معجزتى أن ينطق هذا الضب ، فنطق الضب بتكذيبه ، بأن نطق قائلا إنه كاذب لم يعلم به صدقه بل ازداد اعتقاد كذبه . (٥) .

وهذا واضح فإن الفعل الخارق الصادر من صاحبه ليكون آية على صدقه ، لو تحقق ولكن على وجه يكذبه لم يكن دليلا ولا برهانا على صدقه ، بل انقلب إلى العكس بحيث يكون بالدلالة على الكذب أولى من الدلالة على الصدق (٦)

ولو قال معجزتى أن أحيى هذا الميت ، فقام الميت حيا نطق بتكذيبه ففى هذه الحال المعجزة والآية هى الإحياء ، ولا يخرج الإحياء عن كونه معجزا ،

---

(١) انظر : البيجورى : تحفة المريد ص/ ٨٣.
(٢) انظر : مغفور عثمان : النبوة والرسالة فى الإسلام ص/ ١٠٩.
(٣) انظر : المصدر السابق ص/ ١١٠.
(٤) الإيجى : المواقف ص/ ٣٣٩ وانظر : إمام الحرمين : الإرشاد ص/ ٣١٥ وانظر : البيجورى : تحفة المريد ص/ ٨٣ ومغفور عثمان : النبوة والرسالة فى الإسلام ص/ ١١٠.
(٥) الإيجى : المواقف/ ٣٣٩ وانظر : مغفور عثمان : النبوة والرسالة ص/ ١١٠.
(٦) انظر : مغفور عثمان : النبوة والرسالة ص/ ١١٠.

ذلك لأن المعجز إحياؤه ، وقد حصل ، والميت بعد أن صار حيا هو كسائر الأحياء مخاطب بالإيمان بالنبى فقد يؤمن ويصدقه وقد يكذب ، والتصديق والتكذيب أمر عادى لا تعلق له بالمعجزة التى هى الإحياء .

فالمعجزة هى الإحياء ، والإحياء ليس مكذبا له بل هو مصدق له ، أما كلام الميت بعد إحيائه فليس من المعجزة فى شىء ، ولذلك يقول الجوينى :

" والذى عندى فى ذلك أن التكذيب إن كان خارقا للعادة فهو الذى يقدح فى المعجزة وذلك بمثابة نطق اليد بالتكذيب ، فأما الميت إذا حيى وكذب فتكذيبه ليس بخارق للعادة ، وللنبى أن يقول : إنما الآية إحياؤه وتكذيبه إياى كتكذيب سائر الكفرة (١)

وبمثل ذلك قال صاحب المواقف ، ولكن قد يقال خروج التكذيب من الميت الذى صار حيا عن المعجز ، إن كان قد عاش بعد الإحياء مدة من الزمن يتحقق فيها اختياره بين التصديق والتكذيب ، وبين الإيمان والكفر ، أما إن خر ميتا فى الحال بطل الإعجاز ، لأنه كان أحيى فى هذه الحالة للتكذيب (٢).

ففى هذا القول بعض التفصيل ، وهو أن المعجز لا يبطل إلا إن قام الميت حيا من أجل التكذيب ثم خر ميتا فى التو واللحظة ، فهنا يبطل الاعجاز ويدل على كذب المدعى ، أما إن عاش زمنا بعد الإحياء بحيث يحصل له اختيار ونظر فى الأدلة والآيات ، فتكذيبه فى هذه الحال لا يبطل المعجز .

وقد أومأ صاحب المواقف إلى ضعف هذا الرأى فقال : والحق ، أنه لا فرق لوجود الإختيار فى الصورتين " (٣).

أى لا فرق فى ذلك بين أن يخر ميتا عقيب التكذيب ، وبين أن يعيش

---

(١) إمام الحرمين الجوينى : الإرشاد ص/ ٣١٥ . ومغفور عثمان النبوة والرسالة ص/ ١١٠ والبيجورى : تحفة المريد ص/ ٨٣ .

(٢) الإيجى : المواقف ص/ ٣٤٠ . بتصرف .

(٣) الإيجى : المواقف : ص/ ٣٤٠ .

بعد الإحياء زمانا غير يسير ، فى كونه لا يبطل المعجز الذى هو مجرد الإحياء .

الثامن : أن يقع الخارق فى زمان التكليف (١) زاده بعضهم ، وقد بيناه فيما سبق عند عرض التعريف للمعجزة ، والذى زاده التفتازانى عن بعض العلماء (٢) .

وبذلك يتبين حد المعجزة ومفهومها عند الأشاعرة وأساسها هو الأمر الخارق مع التحدى وعدم المعرضة ، وأنها تفترق بذلك فى زعمهم عن سائر الخوارق الأخرى التى ليست دليلا للنبوة ولا برهانا لها ، وهم هنا — وعلى ضوء هذه التعريفات يقسمون الخوارق تقسيمات عديدة :—

أولها : الإرهاص ، ويقع للنبى قبل النبوة .

ثانيها : المعجزة وهى آية النبوة ودليلها .

ثالثها : الكرامة ، وتقع للصالحين المتابعين للأنبياء .

رابعها : المعونة ، وتحصل لعامة المسلمين المضطرين إليها لتخليصهم من شدة ونحوها .

خامسها : السحر والكهانة ، ويحصل على يد ظاهر الفسق أو الكفر والفساد .

سادسها : الاستدراج ، ويظهر على يد فاسق أيضا خديعة ومكرا .

سابعها : التكذيب والإهانة ، كما وقع لمسيلمة الكذاب (٣) .

الكرامة عند الأشاعرة :

يرى الأشاعرة أن الكرامة جائزة ، وأنها لا تستحيل فى نظر العقل بل هى واقعة بالفعل مشاهدة بالعين لكثير من الناس فى زمن النبوة وغيره (٤) يقول الجرجانى "أما جوازها — يعنى الكرامة ، فظاهر على أصولنا ، وهى أن وجود الممكنات مستند

(١) سعد الدين التفتازانى : شرح المقاصد جـ٢/ ١٣٠ ، البيجورى : تحفة المريد ص/ ٨٣
(٢) انظر : التفتازانى : شرح المقاصد جـ٢/ ١٣١ .
(٣) انظر : إبراهيم البيجورى : تحفة المريد ص/ ٨٣ . والحميضى : خوارق العادات فى القرآن ص/ ١٣ . ومحمد بن محمد بن الأمير : حاشية الأمير على الجوهرة ص/ ١٢١ .
(٤) انظر : ابن تيمية : النبوات ص/ ٢ والحميضى : خوارق العادات فى القرآن ص/ ٤٢ .

إلى قدرته الشاملة لجميعها فلا يمتنع شئ منها على قدرته ... ولا شك أن الكرامة أمر ممكن إذ ليس يلزم من فرض وقوعها محال لذاته (١) وإذا كان الكرامة ممكنة من الممكنات فقد وقعت بالفعل وأخبر القرآن الكريم بذلك ، وأخبرت السنة أيضا يقول الجرجانى : " أما وقوعها فلقصة مريم ـ رضى الله عنها ـ حيث حملت بلا ذكر ، ووجد الرزق عندها بلا سبب وتساقط عليها الرطب من النخلة اليابسة ... وقصة أصحاب الكهف وهى أن الله سبحانه وتعالى أبقاهم ثلثمائة سنة وأزيد نياما أحياء بلا آفة ، ولم يكونوا أنبياء إجماعا " (٢).

ويقول الأمير فى حاشيته على شرح الجوهرة : " والكرامة أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ، ولا هو مقدمة لها ، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبى كلف بشريعته مصحوب بصحيح الإعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم ـ .

فدخل فى قولنا أمر خارق جنس الخوارق ، وخرج بغير مقرون بدعوى النبوة المعجزة ، وينفى مقدماتها الإرهاص وبظهور الصلاح ما يسمى معونة مما يظهر على يد بعض العوام ، وبالتزام متابعة نبى ما يسمى إهانة كالخوارق الموكدة لكذب الكاذبين ، كبصق مسليمة فى البئر ، وبالمصحوبية بصحيح الإعتقاد ، والاستدراج كما خرج السحر من جهات عدة " (٣).

والذى يتضح مما تقدم أن الأشاعرة يذهبون إلى إثبات كرامات الأولياء وغيرها من الخوارق كالسحر والكهانة ، ولكنهم جعلوا ذلك كله مع المعجزات أيضا جنسا واحدا ، وهو خرق العادة ، وذلك واضح من قول الأمير " فدخل فى قولنا خارق جنس الخوارق " فكل أمر خارق للعادة يعم المعجزة والكرامة والسحر والكهانة.

(١) الجرجانى : شرح المواقف ج٣/ ١٨٢.

(٢) نفس المصدر ، والبيجورى : تحفة المريد ص/ ٩٥ وحاشية الامير على الجوهرة ص/ ١٣٣.

(٣) حاشية الامير على شرح عبد السلام على الجوهرة ص/ ١٣٣.

وهذا هو محل الخلاف بينهم و بين أهل السنة من الفقهاء و أهل الحديث .

فالأشاعرة يثبتون الكرامات و لكنهم لا يميزون بينها و بين المعجزة بل يجعلون جنس الجميع واحدا و هو خرق العادة ، و لذا هم يقولون : " خرق العادة جائز مطلقا وكل ما خرق لنبى من العادات يجوز أن يخرق لغيره من الصالحين ، بل من السحرة و الكهان " (١).

والفارق عندهم بين المعجزة و غيرها من الخوارق هو أن المعجزة تتميز عن غيرها بشيئين :-

١ ــ إدعاء النبوة ممن ظهرت على يده .

٢ ــ التحدى ، الذى فسروه بعدم المعارضة .

وهذا مقتضى كلام صاحب المواقف حين قال عن المعجزة :

" ... أنها تتميز بالتحدى ، و ادعاء النبوة وعدمه (٢) و يقول الجوينى : "فإن قيل فما الفرق بين الكرامة و المعجزة ؟ قلنا لا يفترقان فى جواز العقل إلا بوقوع المعجزة على حسب دعوى النبوة" (٣).

و قد يقال فى الفرق بين المعجزة و بين غيرها ــ عندهم ــ أن المعجزة تقع عند قصد النبى لها وأما الكرامة فقد تقع من غير قصد الولى ، و جوز بعضهم أن تقع الكرامة أيضا بقصد الولى ، وقال إن الفرق الصحيح بينهما هو التحدى بالمعجزة والكرامة لا يتحدى بها الولى ، و قال بعضهم يجوز للولى أيضا أن يتحدى بالكرامة على ولايته إذا رأى فى ذلك مصلحة و نصيحة للخلق ، حتى يهديهم إلى الحق ، وإنما

---

(١) ابن تيمية : النبوات / ٣ ، و انظر : عبد الوهاب الشعرانى : اليواقيت و الجواهرة فى بيان عقائد الأكابر جـ١ / ١٦٠ ، و الحميضى : خوارق العادات فى القرآن ص/ ٤٣ .

(٢) الإيجى : المواقف / ٣٧٠ .

(٣) الجوينى : الإرشاد : ص/ ٣١٩ .

الفرق الصحيح بينهما هو أن المعجزة لا تكون إلا بعد دعوى له، ولا تكون مع السكوت معجزة و الكرامة يجوز أن تقع مع كلامه وسكوته معا . (١)

و يقولون فى التفريق أيضا "إن الولى إذا ادعى بفعل خارق للعادة أنه ولى فإن ذلك لا يقدح فى معجزة النبى بخلاف ما إذا ادعى بمثل ذلك الفعل الآن على أنه نبى فإنه يكذب فى دعواه ، و الكاذب لا يكون وليا لله تعالى فلا يصح أن يظهر على يديه ما يظهر على أيدى الأنبياء و الأولياء ... و هذا فرق ظاهر و هو معنى قول المشايخ : المعجزات علامات صدق حيث وجدت ، فلا تظهر على أيدى الأولياء عند دعواهم النبوة لأنها لو وجدت عند ذلك لا نقلب الصدق كذبا و هو محال" (٢).

فهذه هى الفروق التى ميز بها الأشاعرة بين الآية (المعجزة) و بين الكرامة و معظمها معترض عليها كما رأينا ، و لذا فإنه يظهر أن الفرقين الأساسيين و بين المعجزة ــ مما تقدم عندهم ــ هما اللذان اعتمدهما صاحب المواقف و أشرنا إليهما قبل قليل و هما التحدى و دعوى النبوة ، و ذهب إلى ذلك أيضا الجرجانى و الشعرانى و كذا الرازى فى الأربعين " (٣).

وحكاه ابن خلدون فى مقدمته فقال : " فالمعجزة دالة بمجموع الخارق و التحدى ، و لذلك كان التحدى جزءا منها ، وعبارة المتكلمين (صفة نفسها) وهو واحد ، لأنه معنى الذاتى عندهم (٤)

"أى أن الاشاعرة يقولون أن التحدى أى الدلالة على الصدق هو صفة نفس المعجزة أى أمر ذاتى فيها و كلامهم يتفق مع ما قلناه من أن التحدى جزء من المعجزة ، لأن ذلك هو معنى الأمر الذاتى عندهم (٥).

(١) عبد الوهاب الشعرانى: اليواقيت والجواهر جـ١ / ١٦١ .
(٢) نفس المصدر .
(٣) ص / ٣٨٧ .
(٤) ابن خلدون : المقدمة جـ٢ / ٤٠٢ ت/د . على عبد الواحد وافى .
(٥) هذا من كلام المحقق /على عبد الواحد وافى محقق المقدمة جـ١ / ٤٠٢ التعليق رقم / ٢٨٣ .

ثم يقول ابن خلدون : " والتحدى هو الفارق بينهما و بين الكرامة و السحر ، إذ لا حاجة فيهما إلى التصديق ، فلا وجود للتحدى إلا إن وجد اتفاقا ، و إن وجد التحدى فى الكرامة عند من يجيزها ، وكانت لها دلالة فإنما هى على الولاية ، و هى غير النبوة " (١).

ثم حكى ابن خلدون - كما نقلنا عن غيره من قبل - أن أبا إسحاق الإسفرايينى منع من وقوع الخوارق كرامة ، فرارا من التباس النبوة عند التحدى بالولاية " (٢).

و لكن ابن خلدون يستبعد صحة نقل ذلك عن أبى إسحاق فيقول :

" على أن النقل عن الأستاذ فى ذلك ليس صريحا ، و ربما حمل على إنكار أن تقع خوارق الأنبياء لهم ، بناء على اختصاص كل من الفريقين بخوارقه " (٣).

و هو نفس الرأى الذى سبقه إليه ابن تيمية حين قال : "... و لكن كأن فى الحكاية عنهما (٤) غلطا و إنما ارادوا الفرق بين الجنسين " (٥).

أما إذا تأملنا كلام الرازى (ت٦٠٦هـ) فى التفريق بين المعجزة و الكرامة ، فإننا نجده يضع لذلك فروقا ثلاثة فيقول "إن الكرامات و المعجزات وإن اشتركا فى كون كل واحد منهما أمرا خارقا للعادة ، و لكن تمتاز المعجزة عن الكرامة من وجوه :-

أحدها : أن الدعوى شرط النبوة و ليست شرطا فى الكرامة .

ثانيها : أن الحاصل فى النبوة هو ادعاء النبوة ، وفى الكرامة اما الا تحصل الدعوى أو إن حصلت لكنها لا تكون دعوى النبوة بل دعوى الولاية .

ثالثها : أن المعجزة لا تكون لها معارضة و الكرامة قد تكون لها معارضة (٦)

---

(١) المقدمة جـ١/٤٠٢ ت/ د / على عبد الواحد وافى .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) نفس المصدر .
(٤) يقصد أبا اسحاق الإسفراييني ، و أبا محمد بن أبى زيد .
(٥) النبوات / ٢ .
(٦) الفخر الرازى : الأربعين فى أصول الدين ص/٣٨٧.

وهذه الفروق التى ذكرها الفخر الرازى أيضا تدور فى فلك الفرقين الأساسيين اللذين ذكرناهما من قبل فيما تقدم ، وهما : إدعاء النبوة ، و التحدى ، والرازى ذكر الفرق الثالث و هو عدم المعارضة فى المعجزة ، دون الكرامة وهو كالتفسير أيضا للتحدى (١) — كما قدمنا —.

و ما يقال فى التفريق بين المعجزة و الكرامة عند الأشاعرة يقال أيضا فى التفريق بينها و بين السحر من حيث جعلهم الجميع جنسا واحدا و تأتى مناقشة ذلك كله — إن شاء الله تعالى —.

(١) انظر: الحميضى : خوارق العادات فى القرآن الكريم ص/ ٥١.

المبحث الثالث

مناقشة ابن تيمية للمتكلمين

بعد أن رأينا كيف عالج المتكلمون طرق إثبات النبوة ، وعلمنا مما سبق أنهم ركزوا على المعجزة كطريق أساسي في إثباتها ، ودليل علي صدق مدعيها وبعد أن استعرضنا تعريفها وشروطها عند كل من المعتزلة والأشاعرة ، فقد رأينا التشابه الكبير بين منهج كل من الفرقتين في هذه المسأله ، لذلك سوف يكون رد ابن تيمية عليهما جميعا تحت عنوان المتكلمين وذلك حذرا من التكرار ، لقد رأينا أن ابن تيمية لم يرض عن مسلك المتكلمين في إثبات النبوة وذلك من جهتين :

الأولى : أنهم قصروا إثبات النبوة على المعجزة فقط لا غير ، وهذا خطأ في نظر ابن تيمية ، وإن كانت المعجزة طريقا صحيحا .

الثاني : أنهم حتى فى تعريفهم المعجزة و شروطها ، و تقرير دلالتها لم يوفقوا التوفيق الكامل ، و لم يسلكوا المسلك الصحيح فى ذلك . ولهذا فهو يرى أنهم ابتدعوا فى هذا ما يخالف الكتاب و السنة ، و من ثم فإن جميع ما ابتدعه المتكلمون فى باب النبوات و غيرها من مسائل الاعتقاد ، فهو باطل (١) و لذلك فهو يرى أن ما صنفه المتكلمون فى باب النبوات لا يثبت النبوة بل يضعف الإيمان بها ، و قد يدهش القارئ عندما يرى ابن تيمية يصف كلام أبى حامد الغزالى فى النبوة بأنه ينقص قدرها ، و ينقل هذا عن المازرى تلميذ الغزالى (٢) وذلك على الرغم من أن أبا حامد الغزالى فى طرق إثبات النبوة هو اقرب مسلكا من غيره إلى مسلك ابن تيمية فى الإثبات (٣) لا فى تفسير حقيقة النبوة ، إذ أن الغزالى فى تفسير حقيقة النبوة سلك مسلك الفلاسفة كما سنرى .

و ذكر ابن تيمية أن الرازى ليس فى كتبه إثبات للنبوة (٤) بل كان يصنف فى دين

(١) انظر : ابن تيمية النبوات ص/٢٤٢ .
(٢) انظر : ابن تيمية : شرح العقيدة الأصفهانية ص/ ٢٣ و تقديم حسين محمد مخلوف
(٣) انظر : ابن تيمية : النبوات/ ٢٤١ .
(٤) نفس المصدر ص/١٤٨ ، وكذا مجموع الفتاوى جـ١٣/ ١٦٦ وهو فى كتاب النبوات ص/ ٢٤١ يذكر أن الرازى متردد بين نبوة الفلاسفة و نبوة المتكلمين ثم يقول "وليس فى واحد من الطريقين إثبات النبوة التى خص الله بها أنبياءه"

المشركين (١) وانه قد جمع ما جمعه من طرق المتكلمين والفلاسفة (٢).

ويذهب ابن تيمية إلى أن كلام المتكلمين في العقليات سفسطة وهي المغالطة، وفي النقليات قرمطة وهي التأويل الفاسد (٣) وقال في ذلك: "أهل البدع الذين ابتدعوا أصول دين يخالف ذلك ـ أي ما جاء به الرسول من الهدى ودين الحق ـ ليس فيما ابتدعوه لا هدى ولا دين حق، فابتدعوا ما زعموا أنه أدلة وبراهين على إثبات الصانع، وصدق الرسول وإمكان المعاد أو وقوعه، وفيما ابتدعوه ما خالفوا به الشرع، وكل ما خالفوه من الشرع، فقد خالفوا فيه العقل أيضا فإن الذي بعث الله به محمدا وغيره من الأنبياء هو حق وصدق وتدل عليه الأدلة العقلية، فهو ثابت بالسمع والعقل والذين خالفوا الرسل ليس معهم لا سمع ولا عقل كما أخبر الله عنهم بقوله (كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٨) قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (٩) وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في أصحاب السعير (١٠) (٤) وقال تعالى لمكذبي الرسل (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) ذكر ذلك بعد قوله (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ) ثم قال (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ...) (٥)

---

(١) انظر: ابن تيمية: مجموع الفتاوى جـ١/ ٥٥ ٥٧.

(٢) انظر: النبوات ص/ ٢٤١.

(٣) انظر: ابن تيمية: النبوات ص/١٤٨، مجموع الفتاوى جـ١٢/ ٢١٣، جـ١٣/١٦٨ التدمرية ص/ ١٠.

(٤) سورة الملك ٨، ٩، ١٠.

(٥) سورة الحج الآية ٤٣ الى ٤٦.

و من هذا المنطلق نجد شيخ الإسلام ابن تيمية له مواقف من المتكلمين في كل ما يتعلق باثبات النبوة و أول ما يجده في هذا المضمار هو مناقشته لهم في حكم إرسال الرسل .

مناقشة ابن تيمية للمعتزلة في إيجاب البعثة

و قد بينا أن المعتزلة توجب بعثة الأنبياء على الله ، و يرد ابن تيمية عليهم في ذلك ، فيقرر أن إرسال الله تعالى لرسله هو بفضله سبحانه ، و كما أن هدايته سبحانه لهم هي بفضله أيضا ، و كذلك الثواب و الجزاء هو بفضله ، وإن كان أوجب ذلك على نفسه ، كما حرم على نفسه الظلم ، ووعد بذلك كما قال : (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) (١) . و قال تعالى : (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) (٢) " فهو واقع لا محالة واجب بحكم إيجابه ووعد ، لأن الخلق لا يوجبون على الله شيئا أو يحرمون عليه شيئا ، بل هم أعجز من ذلك و أقل من ذلك ، و كل نعمة منه فضل ، و كل نقمة منه عدل " (٣) .

و لقد بين ابن تيمية أن مذهب المعتزلة في هذا الوجوب مبني على أصلهم في التحسين و التقبيح ، و صدق في ذلك ، فإننا قد وجدنا ذلك في كلام عبد الجبار عند بياننا لمذهبه حيث قال : " قال مشايخنا إن البعثة متى حسنت وجبت " (٤) .

ابطال وجوب الصلاح و الأصلح على الله

و يبين ابن تيمية ان هذا التحسين و التقبيح مبني أيضا على فكرة

(١) سورة الانعام الاية / ٥٤ .
(٢) سورة الروم الاية / ٤٧ .
(٣) ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ٨/٧٢ ، ٧٣ و كذلك منهاج السنة النبوية جـ١/٤٥٢ ت د / محمد رشاد سالم ط١ ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .
(٤) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ص/ ٥٦٤ .

الصلاح و الأصلح و لذلك يقول : " وهؤلاء المعتزلة و من وافقهم من الشيعة يوجبون على الله سبحانه أن يفعل بكل عبد ما هو الأصلح له فى دينه ، وتنازعوا فى وجوب الأصلح فى دنياه ، ومذهبهم : أنه لا يقدر أن يفعل مع مخلوق من المصلحة الدينية غير ما فعل ، ولا يقدر أن يهدى ضالا ، ولا يضل مهتديا (١)

ولا شك أن هذه المعانى مدخولة على الإسلام ، إذ كان المعتزلة إنما أخذوها عن قدماء الفلاسفة الذين قضوا " بأن الجواد لا يجوز أن يدخر شيئا لا يفعله ، مما أبدعه و أوجده هو من المقدور ، أو كان فى عمله تعالى و مقدوره ما هو أحسن وأكمل مما أبدعه نظاما و تركيبا و صلاحا لفعله (٢) . و الذى لا شك فيه أيضا أن القرآن يثبت لله تعالى الإرادة و القدرة المطلقة و العلم الأزلى و التفرد بالحكمة ، فهو سبحانه (يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) ، (لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) و (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) . كما أن السنة الصحيحة ترد هذا الوجوب على الله و تدحضه فالله تعالى لا يجب عليه سبحانه رعاية الأصلح ، بدليل الحديث الصحيح الذى رواه البخارى عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا الصادق المصدوق ، قال : "... فوالله إن أحدكم ، أو الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه و بينها إلا ذراع أو باع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها " (٣) .

وقد استدل بهذا النص الصحيح على أنه لا يجب على الله تعالى رعاية الأصلح خلافا لمن ذهب إليه من المعتزلة ، لأن فيه التصريح بأن بعض الناس يقضى جميع عمره فى طاعة الله (٤) ثم يختم له بالكفر و العياذ بالله - فيموت عليه فيدخل

---

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى : جـ٨/٩٢ ، و انظر : البغدادى : الفرق بين الفرق ص/١٣٣ ، و الشهرستانى : الملل و النحل ص/٥٤ ، و النشار : الفكر الفلسفى جـ١/٤٦٤ .

(٢) الشهرستانى : الملل و النحل : ص/٥٤ ، و انظر : د / على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى جـ١/٤٩ .

(٣) البخارى : كتاب القدر : (٨٢) باب (١) جـ٧/ ٢١٠ .

(٤) فيما يظهر للناس .

النار ، فلو كان سبحانه يجب عليه رعاية الأصلح لم يحبط جميع عمله الصالح بكلمة الكفر التي مات عليها ، ولا سيما إن طال عمره في عمل الصالحات وقرب موته من الكفر (١)

ومن هنا فإننا لا نعجب إذا رأينا ابن تيمية يصرح بأن المعتزلة بناء على أصلهم هذا يوجبون على الله سبحانه ما يوجبون على العبد ، ويحرمون عليه من جنس ما يحرمون على العبد ، ويسمون ذلك العدل والحكمة ، مع قصور عقلهم عن معرفة حكمته وعدله (٢). الأمر الذي ألجأهم إلى أن تكلموا في حق الله تعالى بالقبائح المنكرة ، وأثبتوا له من الظلم ما نزه نفسه عنه سبحانه ، فإنه قال : (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) (٣). أي لا يخاف أن يظلم فيحمل عليه من سيئات غيره ولا يهضم من حسناته ، وقال تعالى : (مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) (٤) ، وقد ورد في حديث البطاقة أن الله تعالى يقول : "إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم (٥) بل يثاب على ما أتى به من التوحيد كما قال تعالى : (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) (٦)

فجمهور هؤلاء الذين يسمون أنفسهم (عدلية) يقولون : "من فعل كبيرة واحدة أحبطت جميع حسناته ، وخلد في نار جهنم ، فهذا الذي سماه الله ورسوله ظلما يصفون الله به مع دعواهم تنزيهه عن الظلم ، ويسمون تخصيصه من يشاء برحمته وفضله وخلقه ما خلقه لما له فيه من الحكمة البالغة ظلما" (٧) فهم يسمون ظلمهم - في حبوط حسنات مرتكب الكبيرة - عدلا ، ويسمون عدل الله ورحمته ظلما .

---

(١) انظر : ابن حجر : فتح الباري جـ١١/ ٤٩٠ ، ابولبابة حسين : موقف المعتزلة من السنة النبوية ص/ ٦٥ ، محمد العبدة وطارق عبد الحليم : المعتزلة بين القديم والحديث ص٦٨ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى جـ٨/ ٩١ . (٣) سورة طه / ١١٢ .

(٤) سورة ق / ٢٩ .

(٥) رواه الترمذي وحسنه كتاب الايمان - باب "(١٧) جـ٤/ ١٣٤ ، والنسائي والحاكم ، وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، واحمد جـ٢/ ٢١٣ ، وابن ماجة - كتاب الزهد (٣٥) .

(٦) سورة الزلزلة الاية رقم / ٧ ، ٨

(٧) ابن تيمية : مجموع الفتاوى جـ٨/ ٩٢ .

وعلى هذا الأساس فكون العباد يوجبون على الله تعالى و يحرمون عليه هذا ممتنع عند أهل السنة — و غيرهم — (١) ومن قال أنه أوجب على نفسه أو حرم على نفسه فهذا الوجوب و التحريم يعلم عندهم بالسمع (٢)، وقد نبه ابن تيمية على أن أهل السنة عندما ينفون القول بالوجوب على الله فليس معنى ذلك أن الله تعالى يخل بواجب أو يفعل قبيحا (٣) " و من قال أوجب على نفسه أو حرم على نفسه ، فهم متفقون على أنه لا يخل بما كتبه على نفسه و لا يفعل ما حرمه على نفسه " (٤)

و المتأمل فى ألفاظ الوجوب ، و الإيجاب و الحتمية و اللزوم و غيرها ،يجدها فى بعض معانيها تفيد القهر و التسلط و الإجبار ، الأمر الذى يجعل الطابع البشرى

---

(١) انظر: الجوينى : الإرشاد ص/ ٢٧١ ، ٢٧٢ و د/ عبد الرحمن بدوى مذاهب الإسلاميين جـ١/ ٧٤٤ و الإيجى : المواقف ص/ ٣٢١.

(٢) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية جـ١/ ٢٤٥.

(٣) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية جـ١/ ١٣٤ و انظر: الإيجى المواقف ص/ ٣٢٨.

(٤) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية جـ١/ ٤٥٣. وذكر الاشعرى فى المقالات قول بعض المعتزلة بأن النبوة جزاء على عمل صالح عمله النبى ولذا استحق أن يجزيه الله بالنبوة (انظر: الأشعرى :مقالات الإسلاميين ، ابن تيمية :منهاج السنة النبوية جـ٢ ٤١٥ ت/ د/محمد رشاد سالم.

و ابن تيمية يرى خلاف ذلك و هو أن النبوة — عنده وعند جمهور سلف الأمة و أئمتها وكثير من النظار اصطفاء و اختيار ، ومنحة و اجتباء من الله عليها من النبى — صلى الله عليه و سلم — (انظر: ابن تيمية منهاج السنة جـ٢/ ٤١٦.)

إذ أننا لو قلنا بأن النبوة جزاء على عمل ، فإن ذلك يستلزم نفى الاصطفاء عن النبوة و نفى الاصطفاء عن النبوة رأى قديم أبداه بعض الفلاسفة حيث جعلوا النبوة مرتبة من المعرفة و السمو الروحى ، يبلغها المجتهدون الذين يتدرجون فى معاناة رياضة نفسية خاصة ،وهذا ما سوف نوضحه عند كلامنا على الفلاسفة و الصوفية القائلين باكتساب النبوة.

و بهذا القول بأن النبوة جزاء على عمل افتقدت النبوة جلالها و قد سيتها ، و صارت لدى هؤلاء الفلاسفة و من تأثروا بهم من المعتزلة من الموضوعات التى يتناولها البحث بعيدًا عما تستحق من الاحترام و التقدير فهذا واصل بن عطاء زعيم المعتزلة يقف خطيبا فيجيد فى خطبته ، فيقول عمرو بن عبيد وكان شاهدا الجمع : " ترون لو أن ملكا من الملائكة أو نبيا من الأنبياء يزيد على هذا؟(ميزان الاعتدال جـ٣/ ٢٧٧ و انظر: أبو لبابة حسين : موقف المعتزلة من السنة النبوية ص/ ١٣٠).

ينفر منهـا ، ويستثقلها على نفسه وهو بشر ، وكيف لا يشعر بذلك وهى إنما تشعره بالضعف والإستكانة ومحدودية السلوك والأفعال التى لا يريدها هو ، بل الأفعال التى يريدها له غيره .

وإذا كان لله تعالى إرادة مطلقة يفعل ما يشاء ويختص برحمته من يشاء ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فكيف يجعل لإرادته حدود معينة لا يتعداها ؟ إن العاقـل ليدرك أن القول بالوجوب على الله مناقض لما تقرر من اتصاف الله تعالى بالإرادة المطلقة .

وبناء على ذلك يعلم بطلان القول بوجوب البعثة على الله تعالى . أما إن مقتضى حكمته ورحمته وعدله أن يتفضل سبحانه بإرسال الرسل وإنزال الكتب فهذا هـو الصحيح . فمقتضى حكمته تعالى أن يرسل رسله إلى عباده ليدلهم على ماهو خيرلهم فى الأولى والعقبى ويمتنع فى حكمته تعالى أن يترك العباد هملا يتخبطون فى دياجير الظلم .

ولكن لا أحد — ألبتة . يوجب على الله سبحانه — فعل شئ أو تركه ، بـل هى كلمة عظيمة قالها المعتزلة لا تدل الأعلى انهم لم يقدر الله تعالى حق قدره ، رغـم ادعائهم العريض أنهم هم أهل التوحيد والعدل .

وإذا كان هذا هو موقف ابن تيمية من المعتزلة ومناقشته لآرائهم ودحضها فـى كل ما يؤدى إلى إيجاب إرسال الرسل فما رأيه هو فى التحسين والتقبيح ؟ ؟

رأى ابن تيمية فى التحسين والتقبيح

أما عن التحسين والتقبيح فإننا نجد أن الباحثين يطرحون هـذا السؤال . هل الأفعال يعلم حسنها وقبحها بالعقل فقط أم بالسمع فقط ، أم بهمـا جميعا ؟ والعلماء فى ذلك على ثلاثة أقوال . ذكرها الآمدى ونقلها عنه ابن تيميـة فقال : " وقد ذكر الآمدى ثلاثة أقوال فى طرق العلم ، قيل بالعقل فقط والسمـع لا يحصل به كقول الرازى . وقيل بالسمع فقط وهو الكتاب والسنة وقيل بكل منهمـا ،

ورجع هذا و هو الصحيح (١).

و ذكر ابن تيمية أن الذى قال يعرف ذلك بالعقل فقط هم المعتزلة و الكرامية و غيرهم من أتباع الأئمة ... و هو قول طائفة من المالكية و الشافعية وعليه أكثر الحنفية و نقلوه عن أبى حنيفة نفسه ، و قد صرح هؤلاء قبل المعتزلة ... و أن من يأته رسول يستحق العقوبة في الآخرة لمخالفته موجب العقل (٢).

و أما الذين قالوا بأن المعرفة تحصل بالعقل و لا تجب إلا بالشرع فهم الأشعرى و أصحابه و من وافقهم (٣). ، و أما الذين قالوا يجب بالشرع و يحصل بالشرع أيضا فهم السالمية (٤). و غيرهم (٥) .

ثم يرى ابن تيمية :ـ

أن أعدل الأقوال أن الأفعال مشتملة على أوصاف تقتضى حسنها ووجوبها و تقتضى قبحها و تحريمها ، و أن ذلك قد يعلم بالعقل ، ولكن الله لا يعذب أحدا إلا بعد بلوغ الرسالة كما قال تعالى : (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً) (٦)

و لم يفرق سبحانه بين نوع و نوع .

و قد رد ابن تيمية على نفاة الحكمة من الأشاعرة ، و ذلك لأن إثبات النبوة مبنى على إثبات صفة الحكمة لله تعالى ، و المتكلمون ينفون أن تكون أفعال الرب تعالى واقعة لسبب ، أو لعلة ، أو لغرض ،بمعنى آخر ينفون أن يكون الله تعالى يفعل شيئا لشىء آخر ، و مثال ذلك فى بحثنا أن تكون المعجزة مفعولة للرب لغرض إثبات نبوة الأنبياء فهم ينفون ذلك الغرض ، و هو فى الحقيقة نفى لحكمته سبحانه و من

---

(١) ابن تيمية : النبوات ص/١٦٢ . (٢) نفس المصدر ص/ ١٦٣ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) السالمية : أتباع أبى عبد الله محمد بن سالم (ت: ٢٩٧هـ) و ابنه أبى الحسن أحمد بن سالم (ت ٣٥٠) و قد تتلمذ محمد بن سالم على سهل التسترى،و أبو طالب المكى و أبو الحكم بن برجان من أشهر رجال السالمية و يجمع السالمية فى مذهبهم بين كلام أهل السنة و كلام المعتزلة مع ميل إلى التشبيه ،و نزعة صوفية اتحادية . انظر : شذرات الذهب ٣/ ٣٦٣ ، ماسينيون : دائرة المعارف الإسلامية : مادة السالمية أبو نصر السراج : اللمع ص/ ٤٧٢ ،٤٧٦ ، القاهرة ١٩٦٠ ت د / عبد الحليم محمود ، الفرق ص/ ١٥٧، ٢٠٢ ، طبقات الصوفية ص/ ٤١٤ ـ ٤١٦ ، الطبقات الكبرى للشعرانى ص/ ٩٩ ـ ١٠٠ ـ نقلت ذلك من كتاب منهاج السنة النبوية . ت ـ د / محمد رشاد سالم . جـ١/ هامش ص/١٥٧ .

(٥) ابن تيمية : النبوات ص/ ١٦٢.

(٦) سورة الإسراء الآية / ١٥.

نفى صفة الحكمة عن الله تعالى فقد انسد عليه طريق إثبات النبوة لذا وجدناه يقرر أنه قد أجمع المسلمون على أن الله تعالى موصوف بالحكمة ولكنهم تنازعوا فى تفسير ذلك فقالت طائفة : الحكمة ترجع إلى علمه بأفعال العباد و إيقاعها على الوجه الذى أراده ، و لم يثبتوا إلا العلم و الإرادة و القدرة و قال الجمهور من أهل السنة و غيرهم : بل هو حكيم فى خلقه و أمره ، و الحكمة ليست مطلق المشيئة ، إذ لو كان كذلك لكان كل مريد حكيما ، و معلوم أن الإرادة تنقسم إلى محمودة و مذمومة ، بل الحكمة تتضمن ما فى خلقه و أمره من العواقب المحمودة و الغايات المحبوبة . . . . فأئمة الفقهاء متفقون على إثبات الحكمة و المصالح فى أحكامه الشرعية ، و إنما ينازع فى ذلك طائفة من نفاة القياس و غير نفاته ، و كذلك ما فى خلقه من المنافع و الحكم و المصالح لعباده معلوم . و أصحاب القول الأول كجهم و الأشعرى و من وافقه يقولون : ليس فى القرآن لام التعليل فى أفعال الله بل ليس فيه إلا لام العاقبة ، و أما الجمهور فيقولون بل لام التعليل داخله فى أفعال الله تعالى و أحكامه ، . . . . و أكثر أصحاب الأئمة الأربعة و أتباعهم ، قائلون بالحكمة و التعليل (١) و الذى يلاحظه الباحث بوضوح فى كتابات ابن تيمية النقدية ، يجد أنه لا يقتصر فى نقده على المسألة التى هو بصدد الكلام عنها فقط ، و إنما ينحو بالقارئ نحو أصول المذهب الذى ينقده ، محاولا الربط الوثيق بين الأصول العريضة للمذهب و بين ما بنى عليها من مسائل و اعتقادات ، و يلقى أضواء شديدة قوية على تلك العلاقة الوثيقة بين الانحراف فى الأصل و الإنحراف الناتج عن ذلك الأصل فيما بنى عليه و ترتب عليه من أفكار و آراء . فإن الأصول إن اتبع فيها الشرع وجدنا لمسائلها فهما شرعيا و اعتقادا سليما ، و إن لم يتبع فيها الشرع خولفت معنا النتائج ، و اضطررنا إما لمخالفة الأصول و إما للاستمرار فى الانحراف و البعد عن السلامة . ثم بعد أن يبطل ابن تيمية الأصول و بين تناقضها و من ثم يتضح بطلان الفروع المترتبة عليها ، لا يترك القارئ حائرا بين بطلان الأصول و تناقض الفروع ، و لكن يأخذ بيده ليضعها على المذهب الصحيح ، و الرأى

---

(١) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية جـ١ / ١٤١ ـ ١٤٤ و ما بعدها الى ٤٤٦ و لابن القيم رحمه الله ـ مصنف فى إثبات الحكمة و التعليل سماه "شفاء العليل" وجعل الباب الثانى و العشرين منه كله فى استيفاء شبه النافين للحكمة و التعليل و الرد عليها جميعا من تسعة و ثلاثين وجها ـ الباب ص/ ٣٤٧ ـ ٤٤٢ .

السديد الذى عاش مخلصا له ، مقررا إياه ، مدافعا عنه ، ومبطلا ما يناقضه ويخالفه أو يشك فيه . هذا النهج الفريد هو ما يميز كتابات ابن تيمية ، ويجعلها ساطعة البرهان وهو هنا فى مناقشته للمتكلمين يستخدم نفس النمط من الأسلوب ، وبنفس النهج من البيان الواضح للحق . فنجده يربط بين عدم جدوى الطريقة التى اتبعها المتكلمون فى إثبات النبوة ، وبين فساد أصولهم التى انطلقوا منها لإثبات العقائد الدينية ككل ولم تكن طريقة المتكلمين فى إثبات النبوة فى منأى عن الخطأ والانحراف ، حيث قد بنيت ـ كغيرها من مسائل العقيدة عندهم ـ على نفس الأصول التى يخالفها فكر ابن تيمية ويحاربها ويبطلها ، ومن هنا سنحاول أن نستخلص المحور الرئيسى الذي إرتكز عليه عند رده على المتكلمين فى أمر المعجزات وخوارق العادات التى اعتمدوا عليها ـ كدليل رئيسى كما قلنا سابقا ـ فى إثبات صدق الأنبياء والمرسلين .

وتطبيقا لما قلنا نجد أن ابن تيمية يرد على التكلمين فى نفيهم الحكمة الغائية عن أفعال الله تعالى ، ويبين أن إنكار الحكمة يستلزم كثيرا من الأمور الباطلة والقبائح التى يتفق المسلمون جميعا على تنزيه الله تعالى عنها ، كما أن ذلك الإنكار للحكمة يؤدى فى النهاية إلى انسداد باب إثبات النبوة على من انكر صفة الحكمة لله عز وجل . (١)

نفى الأشاعرة للحكمة يستلزم التناقض وانسداد باب إثبات النبوة

وإننا لنجد ابن تيمية فى بيان ذلك التناقض يحاور المتكلمين محاورة يتبين منها قصده ، وهو أنهم قالوا بأن الله تعالى قادر على فعل كل ممكن ، وهذا مسلم وأنه يجوز فى حقه فعل كل شىء ولا يقبح منه شىء ، فيجوز أن يخلق الخارق للعادة على يد الكاذب ، وعلى يد الصادق على حد سواء ، فإن قال المتكلمون نعم هو قادر على ذلك أى قادر على أن يخلقه على يد كاذب ، وقعوا فى الاقرار بوصف الله بإضلال الخلق ـ وتعالى الله عن ذلك ـ وهم لا يستطيعون قوله .

وإن قالوا : لا ليس بقادر على أن يخلق على يد الكاذب ما يضل به الناس فقد أثبتوا عجزه ـ تعالى ـ وهم لا يريدون ذلك .

وإن قالوا : بأنه قادر سبحانه على ذلك ولكن ننزهه عنه لئلا يلزم عجزه ـ سبحانه ـ

(١) النبوات : ١٣٨،١٣٧ .

عن خلق الأدلة و البراهين على صدق الصادق ، وكذب الكاذب ، كان حقيقة هذا القول أيضا إثبات عجزه لا نفى عجزه ، فأصبحوا يجعلونه عاجزا لئلا يجعلوه عاجزا ، و هذا جمع بين النقيضين ، وهو محال فى بداهات العقول . و لعل من الأفضل أن ننقل نص كلام ابن تيمية ليتبين بجلاء ما فهمناه عنه حيث يقول : "ما خلقه الله على يد الصادق ، هو قادر على أن يخلقه على يد الكاذب ، أم لا ؟

فإن قلت : ليس بقادر ، فقد أثبت عجزه ،

و إن قلت : هو قادر على ذلك فالمقدور عندك لا ينزه عن شئ منه .

و ان قلت : هذا المقدور أنزهه عنه ، لئلا يلزم عجزه كان حقيقة قولك إثبات عجزه لا نفى عجزه ، فجعلته عاجزا لئلا تجعله عاجزا ، فجمعت بين النقيضين ، بين إثبات العجز و نفيه (١) و من هنا يتضح كيف ينسد على منكر الحكمة باب إثبات النبوة ، فإن منكر الحكمة قائل خطأ ، و متكلف شططا ، لأن الله تعالى حكيم يضع كل شئ فى موضعه المناسب له ، فلا يجوز عليه أن يسوى بين جنس الصادق والكاذب ، و العادل و الظالم و المصلح و المفسد (٢) ، قال تعالى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴾ (٣) ، فهذا إنكار منه تعالى على من جوز التسويه بين هؤلاء و أولئك فالتسوية ممتنعة فى حقه تعالى ، ولا يجوز أن يظن به ذلك فإنه من ظن السوء بالله رب العالمين (٤) ، فمن يزعم أن الله يسوى بين الصادق و الكاذب فى ادعاء للنبوة ، أو يخلق من الخوارق على يد الكذاب كالتى يخلقها على يد الصادق ، يستحيل عليه أن يستدل بدليل على صدق الأنبياء ، و يلزمه كذلك أن لا يستطيع أن يثبت جنة و لا نارا ، ولا قيام

---

(١) نفس المصدر ص/ ٢٣٨ .
(٢) نفس المصدر ص/ ٢٢٣ .
(٣) سورة ن الآية / ٣٥ .
(٤) ابن تيمية : النبوات ص/ ٢٣٤ .

القيامة ولا غير ذلك من أمور الآخرة فإنه لا طريق إلى العلم بذلك إلا عن طريق الخبر، وطريق الخبر على أصلهم مسدود (١)، وعلى ذلك فمن فر من إثبات الحكمة لله سبحانه، لم يزده فراره إلا زيادة الجهل والشر، فالله عز وجل يفعل الشيء على مقتضى الحكمة البالغة، وهو قادر سبحانه على أن يرسل رسولا، وقادر أيضا على أن يؤيده بالآيات والبراهين الدالة على صدقه، وأنه لا يعجزه شيء سبحانه (٢) قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ، قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣) وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا، قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ...﴾ (٤)

فالله تعالى أخبر عن نفسه بأنه -عز وجل- قادر على أن ينزل آية أي خارقا يدل على صدق رسوله -صلى الله عليه وسلم- وهو رد في الحقيقة على من نفى قدرته على ذلك، ونفي الحكمة يستلزم نفي القدرة، لأن القادر على كل شيء، قادر على أن يفعل الفعل على مقتضى الحكمة فمن قال إن أفعاله تعالى ليست على وجه الحكمة فقد أثبت عجزه تعالى -كما تقدم- عن إيقاع الفعل على وجه الحكمة (٥)، وكذلك يقال في علمه تعالى وإرادته، فحكمته لازمة لعلمه ولارادته وهما لازمان لذاته، لذلك كانت حكمته من لوازم ذاته عز وجل (٦).

(١) انظر: نفس المصدر ص/ ٢٣٩.
(٢) انظر: نفس المصدر ص/ ١٦٥.
(٣) سورة الأنعام الآية / ٣٧.
(٤) سورة الأنعام الآية / ١٠٩.
(٥) انظر: ابن تيمية: النبوات ص/ ١٦٣، ١٦٥، ٢٣٨ وابن القيم: مفتاح دار السعادة جـ٢ / ١١، وشفاء العليل ص/
(٦) انظر: ابن تيمية: النبوات ص/ ٩٦، ٢٣٤، ٢٣٧، ابن القيم: مفتاح دار السعادة جـ١ / ٣٠١.

مناقشة ابن تيمية للمتكلمين فى خوارق العادات :

ينتقد ابن تيمية بشدة طريقة المتكلمين فى اقتصارها على المعجزات كطريق أساسى و مشهور فى إثبات النبوة ، ويرى أن هذا خطأ ، وأن ظن معظم المتكلمين أنه لا تعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات ظن غلط ، (١) دلائل النبوة كثيرة و متنوعة وقد بيناها فى الباب الأول . بل قد يحصل العلم الضرورى بالنبوة من غير خوارق و لا دلائل، ذكر ذلك الغزالى ووافقه ابن تيمية (٢)

وهم عندما تكلموا فى تعريف المعجزة و شروطها وقعوا فى تنازع و اضطراب كما أن كثيرا منهم التزم إنكار خرق العادات لغير الأنبياء حتى أنكروا كرامات الأولياء و خوارق السحرة و نحو ذلك . (٣) كما رأينا عند المعتزلة و من وافقهم - فمن لم إلا المعجزة دليلا اضطر إلى الالتزام بأمور فيها تكذيب لحق أو لتصديق لباطل " ولهذا كان السلف و الائمة يذمون الكلام المبتدع فان أصحابه يخطئون (٤) اما فى مسائلهم و اما فى دلائلهم فكثيرا ما يبتون دين المسلمين ... على أصول ضعيفة بل فاسدة و يلتزمون لذلك لوازم يخالفون بها السمع الصحيح و العقل الصريح " (٥) ثم يتوجه ابن تيمية - بافاضة - إلى مناقشة المتكلمين فى تعريف المعجزة و تفنيد الشروط التى اشترطوها لها .

فانهم قالوا إنه يجب أن تكون المعجزة مما يتفرد الله تعالى بالقدرة عليه (٦) فيقول ابن تيمية فى ذلك : "فإذا قالوا هذا ظن الظان أنهم اشترطوا أمرا عظيما ،

---

(١) انظر: ابن تيمية :شرح العقيدة الأصفهانية ص/٨٨ ابن أبى العز الحنفى : شرح العقيدة الطحاوية ص/ ١٥٨ .
(٢) ابن تيمية : شرح الأصفهانية ص/ ١٣١، والغزالى ، المنقذ من الضلال ص/٧٣، ٧٤.
(٣) نفس المصدرين السابقين .
(٤) انظر: ابن تيمية : شرح العقيدة الأصفهانية ص/ ٨٨، ١٣١ - النبوات ص/ ١٢٥، ١٢٦ .
(٥) ابن تيمية : شرح العقيدة الأصفهانية ص/٨٨ .
(٦) انظر: القاضى عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ص/ ٥٦٩ و الجوينى : الإرشاد ص/ ٣٠٨، و الإيجى : المواقف ص/ ٣٣١، وابن تيمية : النبوات ص/ ١٣٩ -

و لم يشترطوا شيئا ، فإنهم قالوا فى جنس الأفعال التى لا تقدر الناس إلا على اليسير منها كحمل الجبال و نقلها ، أن المعجزة هنا إقدارهم على الفعل ، لا نفس الفعل (١) فهم هنا يفرقون بين الفعل ، وبين الأقدار على الفعل ، و أن الفعل فى حد ذاته وهو الحمل جنسه مقدور لجميع الناس بل مقدور للحيوانات ، ولكن الخارق فى نظر المتكلمين هو الإقدار على الفعل أى ايجاد القدرة فيمن يحمل الجبل ، ورجحوا هذا على قول من يقول نفس الفعل آية و معجزة . ولكن ابن تيمية يرى أنه لا فرق يعتد به ، و أن التفريق بين الفعل وبين الأقدار عليه لا طائل من ورائه ، فإنه إن كان إقدارهم على الكثير الذى لم تجربه العادة معجزة ، كان نفس الكثير الذى لم تجر به العادة معجزة أيضا ، ولا فرق فى الحقيقة يترتب عليه فائدة (٢)

وعندما نرد هذا القيد وهو كون المعجزة مما ينفرد الله بالقدرة عليه إلى أصولهم نجد أنه إن كان يتسق بعض الشىء مع ما قرره المعتزلة من أن العبد خالق فعل نفسه (٣) ، فإنهم إن قالوا فى المعجزة إنها يجب أن تكون من فعل الله فقد أثبتوا فارقا بين فعل العبد وبين فعل الله ، أما على أصول الأشاعرة فإنه تخصيص لا معنى له ولا فائدة فيه لأنهم قالوا بأن قدرة العبد لا تؤثر فى وجود شىء ، فهم لم يثبتوا قدرة للعباد مطلقا على إيجاد شىء أو فعله ، فكل ما فى الوجود — عندهم — هو مقدور لله الحوادث كلها من فعل الله تعالى — عندهم — وإمعانا فى تأكيد هذا الرأى قالوا إن ما يظهر على يد الساحر و الكاهن ، وعامل الطلسمات ... هو مما ينفرد الله تعالى بالقدرة عليه ، ويكون آية للنبى (٤).

و إذا كانت الأفعال كلها ، و الحوادث جميعها هى من فعل الله تعالى

---

(١) ابن تيمية النبوات ص/ ١٣٩.

(٢) نفس المصدر .

(٣) انظر : الجوينى : الإرشاد ص/ ١٨٨ ، وما بعدها و الإيجى : المواقف ص/ ٣٩ ، وابن ابى العز : شرح الطحاوية ص/ ٤٩٣.

(٤) انظر : ابن تيمية : النبوات ص/ ١٣٩.

حقيقة و لا قدرة للعبد فى تحصيل شئ منها ، فليس لقولهم إن المعجزة خرق عادة أو إنها مما ينفرد الله بالقدرة عليه ، ليس لقولهم هذا معنى معقول (١).

وكذلك إذا كان السحر و الكهانة و نحوها معتادا للبشر ، و هم يجوزون أن يكون ما يأتى به الساحر و الكاهن آية بشرط ألا يمكن معارضته ، فعلى ذلك فليس لقولهم خارق للعادة معنى يعقل . (٢).

لذا أعرض محققوهم عن اشتراط خرق العادة ، و أن تكون مما ينفرد الله تعالى بالقدرة عليه ، أمثال الجوينى و الرازى . (٣)

و لقد كان من عوامل الضعف الذى اعترى مذهب المتكلمين أنهم سووا بين الخوارق كلها فجعلوها جنسا واحدا ، فقالوا بأن المعجزة من جنس الكرامة أو العكس بل جعلوها من جنس سحر السحرة و كهانة الكهان (٤) و ان خرق العادة جائز مطلقا ، و كل ما خرق لنبى يجوز ان يخرق لغيره من الصالحين ، بل و من السحرة و الكهان ، و بعد ما جعلوها كلها جنسا واحدا عمدوا إلى التفريق بين المعجزات و بين غيرها ليحصل التمايز بين ما هو دليل على النبوة ، و بين ما ليس بدليل ، ففرقوا بينهما بأمرين - كما سبق - أن المعجزة تقترن بها دعوى النبوة ، و يتحدى بها النبى غيره ، و قد فسروا هذا التحدى بعدم المعارضة . (٥)

و هذه التسوية قد أوقعت المتكلمين فى التناقض فقد قال بعضهم : " الخوارق لا تكون الا لنبى أو ولى " (٦) و هذا تناقض واضح جدا بين ما قرره من ان السحر هو من جنس الكرامات ، و الجميع عندهم خارق للعادة ، فكيف يقال مع هذا إن الخوارق لا تكون

---

(١) انظر : ابن تيمية : النبوات ص/ ١٣٩.
(٢) نفس المصدر ص/ ١٤٠.
(٣) نفس المصدر ص/ ١٣٩.
(٤) نفس المصدر ص/ ٣.
(٥) انظر : الايجى المواقف ص/ ٣٧٠ ، الجوينى الارشاد ص/ ٣١٩ ، و الشعرانى اليواقيت و الجواهر ص/ ١٦١.
(٦) ابن تيمية النبوات ص/ ١٤٠ ، و انظر : ص/ ٢٨.

الا للأنبياء أو للأولياء ، وقد أثبتوها للكفار من السحرة وغيرهم (١) وهذا التناقض الذى وقع فيه المتكلمون إنما أتاهم من جهة انهم أخذوا جنس الخوارق مشتركا فجوزوا أن يكون للنبى وغير النبى ، لأنهم أصلوا لمذهبهم بقولهم إن الله تعالى يحسن منه كل شىء ، ولا يقبح من شىء ، فيجوز عليه أن يخرق العادة للنبى والولى والساحر وغيرهم ، لأنه ـ كما قلنا ـ لا يقبح منه ذلك (٢) ولكن ابن تيمية يرفض هذا ، ويرى أن تسوية آيات الأنبياء بسحر السحرة ، وجعلها مساوية لها فى الحد والحقيقة ، أمر معلوم الفساد بالاضطرار من دين الرسل ، وأنه من أعظم القدح فى الأنبياء ، إذا كانت آياتهم من جنس سحر السحرة وكهانة الكهان (٣).

رأيهم فى عادة المخاطبين ورده :

لما اشترط المتكلمون من المعتزلة والأشاعرة أن تكون المعجزة خارقة للعادة اعتبروا فيها عادة المخاطبين بالنبوة أى قوم النبى المبعوث فيهم ، وابن تيمية لا يوافق على هذا الرأى ، بل يرى أن ما ذهب إليه المتكلمون فى اعتبارهم عادة المخاطبين غير صحيح ، بل لا بد أن يكون المعجز خارقا للعادة عند جميع الناس ، بل خارقا لعادة الإنس والجن (٤) ، لأنه لو لم تكن خارقة لعادة الناس جميعا وجد فى الناس من قد يأتى بمثلها ولا يكون نبيا وسواء ادعى النبوة أم لم يدعيها . وقد يكون المعجز خارقا لعادة الملائكة (٥) ـ أيضا ـ كما قال تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٣) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا

---

(١) نفس المصدر السابق ص/ ١٢٣.

(٢) نفس المصدر ص/ ٣٢.

(٣) انظر: ابن تيمية : النبوات ص/ ٣.

(٤) انظر: نفس المصدر ص/ ١٩٦، ٢١٦.

(٥) انظر: نفس المصدر :

لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٤) (١)

فهو سبحانه قد صرح بعجز المدعوين بل أمرهم أن يدعوا إلى معاونتهم كل من استطاعوا أن يدعوه من دون الله ، وهذا تعجيز لجميع الخلق ، الإنس والجن والملائكة (٢) . وإن كان أحيانا لا يلزم أن يكون المعجز خارقا لعادة الملائكة فإنه لا يؤثر في دلالة المعجز ، لأن الملائكة لا تكذب على الله . ولا تفعل شيئا إلا بإذن الله ، (٣) فقد يؤيد الله أنبيائه بآيات تفعلها الملائكة لهم لتأييدهم ونصرهم وإظهار حجتهم ، وما تفعله الملائكة فهو بإذن الله تعالى وأمره . (٤)
إذن فلا بد أن تكون المعجزة خارقة لعادة غير الأنبياء ، بمعنى أن تكون مما لم يعتده غير الأنبياء ، فمتى عرفه أنه يوجد لغير الأنبياء بطلت دلالته (٥)

فآيات الأنبياء مختصة بهم ، مستلزمة لصدقهم ، ولا تكون إلا مع صدقهم ويمتنع وجودها مع غير الصدق ، ولا بد أن تكون خارقة للعادة ، خارجة عن قدرة الجن والإنس ، ولا يمكن لأحد معارضتها فيمتنع أن تكون معتادة لغيرهم . (٦)
وكان ينبغي للمتكلمين أن يخصوا آيات النبوة والأنبياء فقط وأن يجعلوها خارقة لعادة كل طائفة من الطوائف (٧) لا أن يجعلوها عامة بين الأنبياء وبين غيرهم مما اضطرهم لأن يضعوا لها قيودا أخرى كقولهم باشتراط دعوى النبوة وعدم المعارضة ، والتي بدورها منقوضة . كما سنبينه — فآيات الأنبياء لا تختص بخرق عادة بلد معين ، ولا عادة من أرسل إليه من غير الأنبياء بل تخرق عادة جميع الخلق إلا الأنبياء ، فما كان معتادا للأنبياء دون غيرهم فهو من أعظم آياتهم وبراهينهم ، (٨) كما أن ابن تيمية

(١) سورة هود الآيتان / ١٣ ، ١٤ .
(٢) انظر : ابن تيمية : النبوات ص / ٢١٦ .
(٣) انظر : نفس المصدر ص / ٢١٨ .
(٤) انظر : نفس المصدر .
(٥) انظر : نفس المصدر ص / ١٠٧ ، ١٩٦ ، ٢١٦ .
(٦) انظر : نفس المصدر ص / ١٩٠ .
(٧) انظر : المصدر السابق .
(٨) انظر : نفس المصدر ص / ٢١٢ ، ٢١٣ .

يلحظ من كلمة " معجزة " معناها اللغوى ، فهى اسم فاعل من"أعجز " وهو متعد إلى الغير فلا بد أن يكون المعجز هوما يعجز كل من ليس بنبى ، أو لم يشهد للنبى بالنبوة ، فيعجز جميع المكذبين للرسول و الشاكين فى نبوته من الجن و الإنس و العجز ضد القدرة (١) ، قال تعالى عن ابن آدم : (أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ) (٢)، و أعجزت فلانا ، وعجزته ، وعاجزته ، جعلته عاجزا (٣) ، وعلى هذا فلا بد أن يكون الخارق معجزا لكل من سوى الأنبياء فلا يقدرون على مثله ، وكذلك إذا قيل إن هذه الخوارق و المعجزات هى عجائب فالعجب ما خرج عن نظيره فلم يكن له نظير ، فلا بد أن يكون من العجائب التى لا نظير لها أصلا عند غير الأنبياء ، لا من الجن ، ولا من الإنس كما قال تعالى عن الجن : (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) (٤) أى لم يعهد مثله ، ولم يعرف سببه (٥) فالقرآن عجب ، أى لا نظير له ، وهو من أعظم الآيات على صدق النبى -صلى الله عليه و سلم- فإذا كانت آيات الأنبياء ليس لها نظير ، فهذا يؤيد أنها من خصائص الأنبياء (٦) لا تكون مشتركة بينهم و بين غيرهم -

و لكن قد يقال إذا كان أحد الأنبياء ظهرت على يديه المعجزة ، فهل يلزم أن تكون خارقة لعادة الأنبياء غيره ؟ وهنا نجد عبارة ابن تيمية واضحة فى إجابة هذه المسألة ، فهو يقرر أن الآية المعجزة لا يلزم أن تكون خارقة دائما لعادة الأنبياء الأخرين ، ولكن قد تكون خارقة فى بعض الآيات دون بعض ، بمعنى أنه قد يخص الله نبيا من الأنبياء بآية دون سائر الأنبياء الآخرين ، ولكن

---

(١) انظر : الراغب الأصفهانى : مفردات القرآن ص/ ٣٢٢.
(٢) سورة المائدة الآية / ٣١.
(٣) انظر : الراغب الأصفهانى : مفردات القرآن ص/ ٣٢٢.
(٤) سورة الجن الآية / ١.
(٥) انظر : الراغب مفردات القرآن ص/ ٣٢٢.
(٦) انظر : ابن تيمية : النبوات ص/ ٢١٣ ، ٢١٤.

هذا لا يجب دائما ، يقول ابن تيمية : " وقولنا : ولا يجب أن تخرق عادات الأنبياء ولم نقل ولا يجوز أن تخرق عادات الأنبياء ، بل قد تكون خارقة لعادات الأنبياء ، وقد خصبها نبى واحد " (١) لأنه لو قال : " لا يجوز " يكون قد منع تجويز خرق عادة الانبياء مطلقا ، وعدم تجويز ذلك ليس بصحيح فإن بعض الأنبياء قد اشتركوا فى بعض الآيات كإحياء الموتى (٢) وربما قد اشتركوا جميعهم فى الإخبار ببعض المغيبات الماضية ، أو المستقبلة ، ومن جهة أخرى قد خص الله بعض الأنبياء بآيات دون البعض الآخر فهذا هو الجائز فى بعض الأحيان ، لا أنه يجب دائما أن تكون آية النبى خارقة لآيات الأنبياء كلها السابقين عليه واللاحقين ومن ثم كان التعبير بقوله "لا يجب" هو التعبير الصحيح .

وقد ضم المتكلمون إلى اشتراط الخارق اشتراط مقارنة الدعوى فهل كان اشتراط مقارنة الدعوى للخارق صحيحا ؟

مناقشة المتكلمين فى اشتراطهم مقارنة دعوى النبوة للخارق :

قال المتكلمون فى تعريف المعجزة إنها تظهر على يد مدعى النبوة (٣) وجعل بعضهم ادعاء النبوة شرطا من شروطها (٤) – على ما سبق بيان تفصيله – بمعنى أن من ادعى النبوة لا بد أن يكون الخارق مصاحبا لدعوى النبوة ، حتى يصير الخارق معجزة لدعواه ، وحتى يصدق فى ادعائه للنبوة ، لأنه لو لم يدع النبوة

---

(١) نفس المصدر ص/ ٢١٤ .

(٢) أشترك ابراهيم وموسى وعيسى – عليهم الصلاة والسلام – فى آية إحياء الموتى ، فابراهيم قال الله له :(فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا ...) الآية البقرة / ٢٦٠ ، وقال تعالى فى حق موسى عليه السلام (فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون) البقرة / ٧٣ ، وقال تعالى عن عيسى – عليه السلام – (... وأحيى الموتى بإذن الله ...) الآية آل عمران / ٤٩ .

(٣) انظر : الجوينى : الإرشاد ص/ ٢١٤ ، والجرجانى : التعريفات ص/ ٢٣ .

(٤) انظر : الإيجى : المواقف ص/ ٣٣٩ ، ابراهيم البيجورى : تحفة المريد ص/ ٨٣ .

ما كان الخارق معجزة ودليلا على نبوته . لكن ابن تيمية يرى خلاف ذلك ، فهو يرى أن هذا الشرط لا يصح أن يكون شرطا فى الآية المعجزة التى تثبت بها النبوة ، بل اشتراط ذلك فى غاية الفساد والتناقض (١)، وإذا أردنا - بداية - أن نسأل عن السبب الذى دفع علماء الكلام إلى إشتراط هذا الشرط ، وجدنا ابن تيمية يجيب على هذا التساؤل ، مبينا السبب الذى حدا بهم إلى ذلك فيقول : " والذين قالوا : من شرط الآيات أن تقارن دعوى النبوة غلطوا غلطا عظيما ، وسبب غلطهم أنهم لم يعرفوا ما يختص بالآيات ، ولم يضبطوا خارق العادة بضابط يميز بينها وبين غيرها بل جعلوا ما للسحرة والكهان هو أيضا من آيات الأنبياء إذا اقترن بدعوى النبوة ، ولم يعارضه معارض وجعلوا عدم المعارضة هو الفارق بين النبى وغيره .... وقالوا : هذا الخارق إن وجد مع دعوى النبوة كانت معجزة ، وإن وجد بدون دعوى النبوة لم يكن معجزة ، فاحتاجوا لذلك أن يجعلوه مقارنا للدعوى " (٢)، واستدل المتكلمون لهذا القيد بأن مثل هذه الآيات تأتى فى آخر الزمان عند اشراط الساعة ، ومع ذلك فهو ليس من آيات الأنبياء لأنه لا تقارنه دعوى من أحد (٣). فهذا هو الذى ألجأ المتكلمين إلى اشتراط مقارنة الدعوى وابن تيمية يرى أن تناقضهم الأول فى تسوية الخوارق كلها بعضها ببعض (المعجزة بالكرامة وبالسحر) هو الذى انتج ذلك الشرط وهو مقارنة دعوى النبوة للخارق . وقد يمكننا صياغة ذلك السبب بعبارة أخرى إذ نقول : إن المتكلمين قرروا أن جميع الخوارق جنس واحد ، المعجزة والكرامة والسحر وغيرها ووجدوا أنهم قد يواجهوا بقول قائل : كيف نميز بين هذا وهذا ، والكل جنس واحد ؟ فان هذا التفريق والتمييز واجب ، وذلك لوجوب الإيمان بالأنبياء ، ولا يتم هذا الإيمان الواجب إلا بمعرفة آيات الأنبياء ودلائل نبوتهم ، إذاً فمعرفة آياتهم واجبة ، ولا تحصل تلك المعرفة الواجبة للآيات والبراهين إلا بالتفريق والتمييز بين آيات النبوة وغيرها من

---

(١) انظر ابن تيمية : النبوات ص/ ٢٥٥ ، وابن رشد : مناهج الأدلة ص/ ٢١٤ ت د / محمود قاسم .

(٢) ابن تيمية : النبوات ص/ ٢١٤ .

(٣) انظر : نفس المصدر .

الخوارق التى لا تدل على نبوة الأنبياء ، فلم يجدوا ما يفرقون به بين هـذا و ذاك إلا الاقتران بالدعوى -على ما بينا- وعدم المعارضة - و سيأتى الكلام على عدم المعارضة - و ذلك ليتم لهم التفريق و التمييز ، و يتم لهم مذهبهم أمام المخالف ،فكان أن وقعوا فى غلط التسوية ، الذى نتج عنه غلط آخر هو شرط الاقتران بدعوى النبوة و غلط ثالث هو عدم المعارضة ، فهذا سبب و السبب الثانى فى نظر ابن تيمية هو محاولة الأشاعرة أن يخالفوا المعتزلة فى إنكارهم خوارق غير الأنبياء ، وإنكار أن يكون للسحر تأثير خارج عن العادة ،.... و انكارا الكهانة ... و انكار الكرامة للأولياء ، "فأتى هؤلاء (الأشاعرة) فأثبتوا ما أثبته الفقهاء و أهل الحديث من السحر و الكهانة ، و الكرامات (خلافا للمعتزلة) لكن قيل لهم فميزوا بين هذا و بين المعجزات فقالوا : لا فرق فى نفس الجنس" (١) وعادوا إلى اقتران الخارق بدعوى النبوة ، و سلامته عن المعارضة . (٢)

و ابن تيمية - بداية - قد أنكر التسوية بين جنس الخوارق ، و جعل آيات الأنبياء مختصة بهم لا يشاركهم فيها غيرهم ، و ليست هى من جنس السحر و الكهانة وكذلك تفترق عن الكرامة لأن الكرامة لا تظهر إلا ممن تابع النبى ، و تابع النبى الذى هو ولى لله مؤمن متقى لا يدعى النبوة .

و يظهر لنا فساد هذا الشرط من وجوه :-

الأول : أنه لا دليل عليه من عقل و لا نقل بل هو دعوى مجردة . (٣)

الثانى : أن هذا الشرط لا يستقيم مع تجويزهم حصول الخوارق على أيدى السحرة و الكهان والتى هى من جنس المعجزات و لا مانع يمنع الساحر و الكاهن من ادعاء النبوة (٤) و هو شرط لا يصح - أيضا - لأنهم جوزوا وجود الدليل مع عدم المدلول عليه ، و هو باطل

---

(١) ابن تيمية : النبوات ص/ ١٠٢ ، والجوينى : الإرشاد ص/ ٣١٩ .
(٢) انظر : نفس المصدرين .
(٣) انظر : ابن رشد : مناهج الأدلة ت د / محمود قاسم ص/ ٢١٤ .
(٤) انظر : ابن تيمية : النبوات ص/ ١٠٤ ، ١١٨ ، و ابن رشد : مناهج الأدلة ص/ ٢١٤

لأن الدليل مستلزم المدلول (١) ، و خاصة الدليل ان يكون مستلزما للمدلول عليه لا يوجد مع عدم المدلول عليه ، و لا يتحقق إلا مع تحققه (٢) ، و أن البرهان يجب طرده (٣)، و لا يجب عكسه (٤) ، فلو كان الدليل تاره يتحقق مع وجود المدلول عليه ، و تارة يتحقق مع عدمه ، فإذا وجد لم يعلم هل وجد المدلول عليه أم لا ، فإنه كما يوجد مع وجوده ، يوجد مع عدمه و لهذا كان الدليل إما مساويا للمدلول عليه (٥) ، و إما أخص منه ، لا يكون أعم من المدلول . (٦)

الثالث: أنهم جعلوا الدعوى جزءا من الدليل ، و الدعوى هى المدلول عليه فإذا طلبنا الدليل لتدلل و نتحقق من صدق دعوى النبوة ، فالمدلول عليه هنا هو الذى تقام عليه البينة ، و الذى تقام عليه الحجة ليس هو جزءا من الحجة ، و الدعوى تسمى مدلولا عليه ، أى مدلولا على صحتها ، و نفس المدعى يسمى مدلولا عليه ، أى مدلولا على صدقه ، و ثبوت المدعى يسمى — كذلك — مدلولا عليه ، و العلم بثبوته يسمى مدلولا عليه ، فهنا دعوى النبوة ، و هنا النبوة المدعاة قبل أن يعلم ثبوتها ، و هنا ثبوتها فى نفس الأمر ، و هنا علم الناس بثبوتها و كذلك سائر الدعاوى فيها نفس هذه الأمور (٧) كلها .

الرابع : أن آيات النبوة أنواع متعددة . فمنها ما يكون قبل وجود النبى أو قبل ولادته و منها ما يكون بعد موته ، و منها ما يكون فى غيبته (٨) ، و قصرها على الاقتران بالدعوى من شأنه أن يخرج كثيرا من المعجزات عن كونها معجزات و دلائل على النبوة فى حين يستدل العلماء بما ظهر قبل ولادته ، و قبل مبعثه ، و يصنفون المصنفات فى دلائل النبوة فيجمعون ما أخبر به النبى من المغيبات المستقبلية كفتن آخر الزمان و الملاحم و أشراط الساعة على أنه من دلائل نبوته — صلى الله عليه و سلم — .

---

(١) انظر: ابن تيمية : النبوات ص/ ١١٩ .
(٢) انظر: نفس المصدر ص/ ١٨٠ ، ١٨١ .
(٣) انظر: نفس المصدر/ ١٧٥ .
(٤) انظر: نفس المصدر ص/ ١٨١ .
(٥) انظر: نفس المصدر ص/ ١٧٥ ، ١٨٤ .
(٦) انظر: نفس المصدر ص/ ١٧٥ .
(٧) انظر: نفس المصدر ص/ ١٢١ ، ١٢٢ .
(٨) انظر: نفس المصدر ١٤ .

الخامس : ينبه ابن تيمية على أمر خطير يترتب على اشتراط مقارنة الدعوى للخارق ، وهو أن هذا الرأى يؤول إلى القول بانتفاء اعجاز القرآن ، وأنه قد يوجد من يأتى بمثله ما دام انه لا يدعى نبوة ولا رسالة ، وهذا أمر خطير لمناقضته منطوق الآيات الصريحة بتعجيز الإنس والجن عن الاتيان بمثل القرآن ، يقول ابن تيمية : " ولو كانت الدعوى جزءا من الدليل لكانت المعارضة لا تكون إلا مع دعوى النبوة ، فلو أتوا بمثل القران من غير دعوى النبوة لم يكونوا عارضوه ، وهذا خلاف ما أجمع عليه المسلمون بل العقلاء (١).

ومن المعلوم ـ إحقاقا للحق ـ أن الأشاعرة لا يذهبون إلى نفى الإعجاز عن القران الكريم ، لا صراحة ، ولا ضمنا ، ولا يقولون بأنه يوجد من البشر من يستطيع أن يأتى بمثل القرآن ، بل هناك منهم من صنف مصنفات مستقلة فى إعجاز القران ، كالقاضى أبى بكر محمد بن الطيب الباقلانى (ت ٤٠٣ هـ) الذى صنف " اعجاز القرآن " والشريف على بن محمد الجرجانى (ت ٨١٦ هـ) الذى صنف " دلائل الإعجاز " ، فهم يقرون ويؤمنون بما أثبته القرآن من وجوه إعجازه ولكن ابن تيمية يريد أن يبين فساد الأصول التى أصلها المتكلمون ، وأنها لا تتفق مع بعض ما يؤمنون به ويعتقدونه من نصوص الشرع ، وهو قد صرح بهذا فى غير موضع فقال : " وكثيرا ما يكون سبب العلم الحاصل فى القلب غير الحجة الجدلية التى يناظر بها غيره ، فإن الإنسان يحصل له العلم بكثير من المعلومات بطرق وأسباب قد لا يستحضرها ولا يحصيها ، ولو استحضرها لا توافقه عبارته على بيانها ، ومع هذا فإذا طلب منه بيان الدليل الدال على ذلك قد لا يعلم دليلا يدل به غيره إذا لم يكن ذلك الغير شاركه فى سبب العلم ، وقد لا يمكنه التعبير عن الدليل ان تصوره . فالدليل الذى يعلم به الناظر شىء والحجة التى يحتج بها المناظر شىء آخر وكثيرا ما يتفقان كما يفترقان " (٢) فكذلك هنا بالنسبة للأشاعرة أو المتكلمين عموما

(١) نفس المصدر ص/ ١٢٠.
(٢) شرح العقيدة الأصفهانية ص/ ١٣١.

فهو يلزمهم هذا الالزام الخطير الذى لم يلتزموه لينبه ـ كما قلنا ـ على فساد الأصول التى بنى عليها علم الكلام •

مناقشة المتكلمين فى التحدى وعدم المعارضة :

لقد جعل المتكلمون " التحدى " شرطا من شروط المعجزة ،(١) وجعلوا خاصتها هو عدم المعارضة (٢) ، وذكرنا ذلك فى ذكر مذهبهم •

أما عن شرط التحدى فهو مردود من وجهين :-

الأول : أننا لا نجد من فعل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ حينما دعا الناس أنه أظهر خارقا وتحداهم به مع دعواه ، ولكن ما ظهر على يديه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الخوارق إنما ظهر فى أثناء أحواله من غير أن يتحدى بها (٣) ، وما ظهر التحدى إلا فى القرآن الكريم ، بل لم ينزل ذلك إلا بعد أن قالوا " افتراه " (٤) قال تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ) (٥) وقال تعالى : (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ، قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ) (٦) ، وواضح أن القرآن لم يتحد المشركين ابتداء إنما تحداهم لما قالوا " افتراه " ـ كما تقدم ـ وسائر المعجزات لم يتحد بها ، وليس فيما نقل تحد الا بالقرآن (٧)•

الثانى : أن اشتراط التحدى سوف يترتب عليه أن كثيرا من معجزات النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يكون آية له على نبوته ، و" من ادعى أن إحالة الطبيعة لا تكون آية إلا حتى يتحدى بها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الناس ، فقد كذب وادعى ما لا دليل عليه أصلا من عقل ولا من نص قرآن ولا سنة ، وما كان هكذا فهو باطل ،

(١) انظر: الإيجى : المواقف ص/ ٣٣٩ ، والجوينى : الإرشاد ص/ ٣١٣ ، والغزالى : الاقتصاد ص/ ١٧٤ •

(٢) انظر: الجوينى الإرشاد ص/ ٣١٢ ، والغزالى : الاقتصاد ص/ ١٧٤ ، والإيجى : المواقف ص/ ٣٣٩ •

(٣) انظر: ابن رشد : مناهج الأدلة ص/ ٢١٤ •

(٤) انظر: ابن تيمية : النبوات ص/ ١٩٦ ، ١٢١ ـ

(٥) سورة يونس الآية / ٣٨ •

(٦) سورة هود الآية / ١٣ •

(٧) انظر: ابن تيمية : النبوات ص/ ١٩٦ ، ١٢١ ، ١٤٢ •

ويجب من هذا أن حنين الجذع ، وإطعام النفر الكثير من الطعام اليسير حتى شبعوا وهم مئون من صاع شعير ... ليس شيء من ذلك آية له – عليه السلام – لأنه – عليه السلام – لم يتحد بشيء من ذلك أحدا " (١) فآيات الأنبياء آيات لهم وإن لم ينطقوا بالتحدى بالمثل ، وهى دلائل على النبوة وصدق المخبر عنها (٢).

وأما اشتراط عدم المعارضة فمعناه أن النبى الصادق فى دعواه ، اذا ادعى النبوة وأظهر المعجزة الدالة على صدقه ، ثم تحدى بها الناس ، فإنه لا يستطيع أحد معارضتها ، أى لا يستطيع أن يأتى بمثلها ليعارضها بهذا المثل ، لأنه لو وجد من يعارضها بمثلها لبطلت دلالتها على صدق النبى الصادق فى دعواه . وهذا أيضا مردود من وجوه متعددة :

الأول : انه لا دليل عليه وهو مجرد دعوى ، أو قضية من غير دليل . (٣)

الثانى : انا نقول للأشاعرة إنه على أصلكم حيث تجوزون على الله كل مقدور ، قد يظهر الكاذب خارقا ولا يجد من يعارضه إذ سلمتم ان هذا من الجائزات فيبقى اشتراط عدم المعارضة لا فائدة منه ، فهو إما أن ينقض الأصل ، وإما أن يكون هو باطلا بالنسبة إلى الأصل (٤)

الثالث : أن كون غير الرسول ممنوعا من المعارضة (٥) ، إن كان ممنوعا مطلقا فهذا لا يعلم إذ لا دليل على ذلك ، وإن كان ممنوعا من المرسل إليهم (٦) فهذا لا يكفى ، بل يمكن لكل ساحر وكاهن أن يدعى النبوة ويقول اننى نبى (٧).

وربما أجاب المتكلمون عن هذا الاعتراض بقولهم : لو فعل الساحر والكاهن ذلك لكان الله – ولا بد – يمنعه من ذلك ، أو يقيض من يعارضه ، يقول ابن تيمية

---

(١) ابن حزم : المحلى : جـ١/ ٣٦.
(٢) انظر : ابن تيمية : النبوات ص/ ١٤١ ، ١٤٣.
(٣) انظر : ابن تيمية : النبوات ص/ ١٤٣.
(٤) انظر : نفس المصدر ص/ ١٤١.
(٥) انظر : نفس المصدر .
(٦) وهو ما حكيناه – آنفا – عن القاضى عبد الجبار (معتزلة) والشهرستانى (أشاعرة)
(٧) انظر : ابن تيمية : النبوات ص/ ١٤١.

ردا عليهم : " من أين لكم ذلك ؟ ومن أين يعلم الناس ذلك ؟ ؟ (١) أى من أين لكم الدليل الذى يدل على أن الله لا بد أن يمنعه ؟ إذ قد تقدم منكم أن الله يجوز فى حقه أن يمنع والا يمنع . الأمران مستويان من غير ترجيح أحدهما على الآخر ، وكذلك كيف يعلم الناس ذلك ونحن نفترض أنهم لا يعلمون إلا ما قلتموه وأصلتموه من هذا الجواز المستوى الطرفين .

الرابع : أنه إذا كان ما يأتى به النبى يأتى به الساحر والكاهن ، لكان الساحر والكاهن ونحوهما يعارضون ، والنبى لا يعارض ، فالاعتبار إذن بعدم المعارضة وهو الذى استقر عليه قولهم أخيرا ، فلو قيل إن كل من ادعى النبوة ، وقال معجزتى ألا يدعيها غيرى فهو صادق لكان هذا القول أفضل (٢) بدلا من أن تطول التعريفات والشروط ، وكلها راجعة إلى عدم المعارضة ، وقد التزم المتكلمون فعلا هذا القول وقالوا : المنع من المعتاد ، كاحداث غير المعتاد (٣) ، ثم لم يضبطوا ذلك المعتاد بضابط ، لأنه لا ينضبط بل يختلف من قوم إلى قوم آخرين

الخامس : قلنا إن المعارضة هى أن يأتى المعارض بحجة مثل حجة النبى فتبطل حجة النبى ، لأن غيره أتى بمثلها ، وهو غير نبى ، وحجة النبى على رأى الأشاعرة هى مجموع دعوى النبوة والإثبات بالخارق ، فيلزم على هذا أن تكون المعارضة بأن يدعى غيره النبوة ويأتى بالخارق ، وعلى ذلك فليست المعارضة بأن يأتوا بمثل هذا القرآن ، بل أن يدعى المعارض النبوة ويأتى بمثل القرآن (٤) . وهذا كما نلاحظ من الالزامات القوية لدى ابن تيمية ضد المتكلمين ، التى يروم بها هدم أصولهم الكلامية القائمة على غير الكتاب والسنة ، لذا نراه يقول : " وهذا خلاف العقل والنقل ، ولو قال الرسول لقريش ، لا يقدر أحد منكم أن يدعى النبوة ويأتى بمثل هذا القرآن ، وهذا هو الآية (أى دعوى النبوة والقرآن) وإلا فمجرد

---

(١) نفس المصدر السابق .

(٢) انظر : نفس المصدر ص/ ١٣ .

(٣) انظر : الجوينى : الإرشاد ص/ ٣٠٩ والإيجى : المواقف ص/ ٣٣٩ .

(٤) انظر : ابن تيمية : النبوات ص/ ١٠٣ .

تلاوة القرآن ليس آية ، بل قد يقرأه المتعلم له فلا يكون آية ، لأنه لم يدع النبوة ولو ادعاها لكان الله ينسيه إياه ، أو يقيض له من يعارضه ، لكانت قريش ، وسائر العقلاء يعلمون أن هذا باطل " (١).

السادس : أنه قد ادعى جماعة من الكذابين النبوة وأتوا بخوارق من جنس خوارق الكهان والسحرة ، ولم يعارضهم أحد في ذلك المكان والزمان ، وكانوا كاذبين ، فبطل قول المتكلمين ان الكاذب إذا ادعى النبوة ، فلا بد أن يمنحه الله من الخارق أو يقيض له من يعارضه ، فإن كان الواقع هو ما ذكرنا من ظهور الكذابين والمتنبئين وإن كانت أصولهم تقرر جواز ظهور المتنبئين الكذابين ، كما تجوز على الله تأييدهم ، بطل قولهم بأنه لا بد أن يقيض الله له من يعارضه أو أنه يمنحه من ذلك . أما أصولهم فقد عرفناها عند الكلام على الحكمة ، وأما الواقع فقد بلغنا عن الأسود العنسي (٢) الذى ادعى النبوة باليمن في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - واستولى على اليمن وكان معه شيطان سحيق ومحيق ، وكان يخبر بأشياء غائبة من جنس اخبار الكهان وما عارضه احد ، وعرف كذبه بوجوه متعددة ، وعرف من كذبه وفجوره ما ذكره الله تعالى بقوله : (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ، تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ) (٣) وكذلك مسيلمة الكذاب (٤) والحارث الدمشقي (٥) وغير هؤلاء كانت معهم

---

(١) نفس المصدر ص/ ١٠٣ و ١٠٤.

(٢) هو عيهلة بن كعب بن عوف العنسي ، متنبئ ، مشعوذ من أهل اليمن ، كان بطاشا جبارا ، أسلم لما أسلمت اليمن ، ثم ارتد في أيام النبي - صلى الله عليه وسلم - فكان أول مرتد في الإسلام ، قتل قبل وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - بشهر واحد انظر ابن الاثير : الكامل حوادث سنة ١١ هـ ، وتاريخ ابن الوردي جـ ١/ ١٤٠ .

(٣) سورة الشعراء / ٢٢١.

(٤) هو : مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي (٠٠ - ١٢ هـ) متنبئ كذاب ، ولد ونشأ باليمامة في قرية الجبيلة (غير معروف تاريخ ميلاده) والجبيلة قرب العيينة بوادي حنيفة بنجد ، وتلقب في الجاهلية بالرحمن ، وعرف برحمن اليمامة ، تنبأ أواخر سنة (١٠ هـ) وتوفى النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل القضاء على فتنته فأرسل إليه أبو بكر - رضى الله عنه - جيشا بقيادة خالد بن الوليد ، فكتب الظفر لجيش الصديق ، وقتل مسيلمة وقتلت معه دعوته وفي الامثال "اكذب من مسيلمة" وقيل اسمه هارون ، ولقبه مسيلمة وقيل كان اسمه مسلمة ، وصغره المسلمون تحقيرا له ولشأنه كان مقتله حوالي سنة (١٢ هـ) . انظر : ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢/ ٧٣ السهيلي : الروض الانف جـ ٢/ ٣٤٠ وابن الأثير الكامل جـ ٢/ ١٣٧ ، ابن العماد : شذرات الذهب جـ ١/ ٢٣.

(٥) هو الحارث بن سعيد ، أو ابن عبد الرحمن بن سعد (٠٠٠ - ٦٩ هـ) متنبئ =

شياطين كما هي مع السحرة و الكهان ٠ (١)

السابع :أن اشتراط المتكلمين للتحدى ، يستلزم أن النبى يظهر الخارق و يتحدى به ، بمعنى أنه يستدل به على صحة نبوته و صدقه فى دعواه ، و بذلك الاستدلال من النبى بالخارق و تحديه المخالفين به ، يكون الخارق معجزة صحيحة ، مستكملة الشروط ، و أما ما لم يستدل به و لم يتحدى به فليس بمعجزة صحيحة تدل على النبوة و ذلك لافتقارها شرطا و هو الاستدلال و التحدى ٠

و إذا نظر المرء إلى شروط المعجزة على مقتضى النصوص الشرعية فإنه لا يكاد يجد ما يدل على اشتراط هذا الشرط فى المعجزة ، وكذلك لو نظر إليها من جهة العقل فإنه لا يجد ما يدل عليه ، لذا يقول ابن تيمية " إن آيات الأنبياء ليس من شروطها استدلال النبى بها ، و لا تحديه بالإتيان بمثلها ، بل هى دليل على نبوته وإن خلت عن هذين القيدين " ٠ (٢)

فليس من شرط الدليل حتى يكون دليلا ، أن يستدل به مستدل على دعواه بل هو دليل سواء استدل به صاحب الدعوى أم لم يستدل به ، و سواء استدل به هو على دعوى نفسه ، أم استدل له آخرون على صحة دعواه " فما كان النظر الصحيح فيه موصلا إلى علم فهو دليل ، و ان لم يستدل به أحد ، فالآيات أدلة و براهين تدل سواء استدل بها النبى أو لم يستدل ، و ما لا يدل اذا لم يستدل به ، لا يدل اذا استدل به ، و لا ينقلب ما ليس دليلا ، اذا استدل به مدع لدلالته " (٣) اذن فهذان القيدان ـ الاستدلال و التحدى ـ قيدان غير معتبرين فى صحة المعجزة (٤)

= كذاب ، من أهل دمشق ، نشأ زاهدا متعبدا ، ثم ادعى النبوة ، و اظهر خوارق من جنس خوارق الكهان وتبعه خلق كثير ، ووصل خبره الى عبد الملك بن مروان امير المؤمنين ، فبعث فى طلبه ، فهرب ، ثم تمكنوا منه و هو مختف فى بيت المقدس ، فاتى به وصلب و قتل سنة (٦٩ هـ) انظر:
تهذيب ابن عساكر حـ٣/ ٤٤٢ ،لسان الميزان جـ٢/ ١٥١ ،

(١) انظر: ابن تيمية: النبوات ص/١٠٦ ، و انظر:كذلك ص/ ١٢٢ ، ١٣٣ ، ١٩٠ ، ١٩٧ ،٠
(٢) نفس المصدر ص/١٠٦ ٠
(٣) نفس المصدر /١٠٦ ٠
(٤) انظر: نفس المصدر ٠

يؤكد ما ذهبنا إليه ـ مع ابن تيمية ـ أمثلة متعددة منها :

أخبار من تقدم من الأنبياء بنبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فإن هذا الإخبار دليل على صدقه ، وإن كان هو ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يعلم بما أُخبروا به ولا استدل به ، بل لم يعلم بذلك حتى اخبره ربه وحيا أنه قد بشر به الأنبياء من قبله . (١)

بيد أن كثيرا من الآيات التي كان يظهرها الله على يديه ، لم يكن يظهرها النبي للاستدلال بها على صحة نبوته ، أو التحدي بها ، بل لحاجة المسلمين إليها (٢) فهناك تكثير الطعام والشراب مرات (٣) وهو قليل حتى كفى أضعاف أضعاف من كان محتاجا إليه ، ونبع الماء من بين أصابعه غير مرة (٤) ، وغير ذلك (٥) لم يكن يظهرها للاستدلال بها ولا للتحدي بالاتفاق ، كما أننا لو ذهبنا إلى تصحيح ما قاله المتكلمون من ذلك الاشتراط ، فإنه يجب أن يخرج مثل هذه المعجزات التي لم يحصل منها تحد ولا استدلال عن كونها معجزات ودلائل على النبوة (٦) ، وهو خلاف المعروف والمتفق عليه بين العلماء .

---

(١) انظر : نفس المصدر .

(٢) انظر : نفس المصدر .

(٣) روى حديث تكثير الطعام الامام البخاري في حديث أبي طلحة المشهور ، وكان الطعام اقراصا من شعير لا تكفي الا فردا او فردين وانس يقول فيه : فاكل القوم كلهم حتى شبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلا " كتاب المناقب (٦١) باب (٢٥) جـ ٤ / ١٦٨ ، ورواه مسلم أيضا في كتاب الأشربة (٣٦) حديث رقم (١٤٢) والترمذي في المناقب ، باب (٦) . ومالك : الموطأ : كتاب صفة النبي باب (١٩) .

(٤) روى البخاري حديث نبع الماء من بين أصابعه ـ صلى الله عليه وسلم ـ كتاب المناقب (٦١) باب (٢٥) جـ ٤ / ١٦٨ ، وكتاب الوضوء (٤) باب (٣٢) صحيح الامام البخاري جـ ١ / ٥٠ . رواه مسلم : كتاب الفضائل (٤٣) حديث رقم (٤ ، ٥) والنسائي : في الطهارة والدارمي في المقدمة والموطأ في الطهارة ، واحمد جـ٣ / ١٣٢ .

(٥) انظر : ابن تيمية : النبوات ص/ ١٦٩ .

(٦) انظر : ابن حزم : المحلى جـ١ / ٣٦ .

دلالة المعجزة ورأى ابن تيمية فيها :

اتفق المسلمون على أن المعجزة تدل على صدق صاحبها فى دعـــــواه الرسالة والنبوة ، إذ هى آية وبرهان ودليل عليها ، ولكن هل دلالة المعجــزة على صدق صاحبها هى دلالة عقلية أم أنها دلالة عادية أم وضعية ؟ بمعنى آخـــر هل يمكن تخلف الصدق عنها عقلا أو لا يمكن ؟ لأن المراد بالدلالة العقلية أنــــه لا يجوز فى مقررات العقل أن يتخلف المدلول عن دليله الدال عليه ، أو أن يــوجـد الدليل ولا يوجد المدلول عليه . والمراد بالدلالة العادية عكس ذلك بمعنى أنـــه يجوز عقلا تخلف المدلول عن دليله ، كما أن الوضعية آيلة إلى العادية فتأخـــــذ حكمها ، فهل ظهور المعجزة على يد الكاذب جائز أم لا ؟

١ ـ ذهب جمهور الأشاعرة ومن وافقهم إلى أن ظهور المعجز على يد الكاذب فـــى إدعاء النبوة ممكن عقلا ، فيجوز على أصولهم أن يظهر الله على يد من يدعى النبـــوة كذبا كمسيلمة ـ مثلا ـ خارقا للعادة يكون معجزة له على حسب ما إدعاه إلا أنـــــه جرت سنة الله وعادته أن لا يحدث هذا الأمر ، فيكون ذلك حينئذ مثل غروب الشمـــــس فى المشرق ، فإنه يجوز عقلا أن يجعل الله غروب الشمس فى المشرق لكون ذلك داخـلا فى عموم قدرته المطلقة ، ولكن سنة الله قد جرت على غروبها فى المغرب ، أما غروبها فى المشرق فمنتف عادة ، وإن كان جائزا عقلا . (١) —

يقول الجوينى : " إن المعجزة لا تدل على صدق النبى حسب دلالة الأدلة العقليـــة على مدلولاتها ، فإن الدليل العقلى يتعلق بمدلوله بعينه ، ولا يقدر فى العقـــل وقوعه غير دال عليه ، وليس كذلك سبيل المعجزات " (٢) ويذكر الجوينى على ذلك مثالا بانقلاب العصا حية ، على أنه لو وقع بديا من فعل الله تعالى من غير دعوى نبى

---

(١) انظر : الجرجانى : شرح المواقف: جـ٣/ ١٨١ ـ ١٨٢ ومغفور عثمان : النبوة والرسالة فى الإسلام رسالة ماجستير جامعة الملك عبد العزيز ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م ، التفتازانى : شرح العقائد النسفية ص/ ١٦٦ .

(٢) الجوينى: الإرشاد : ص/ ٣٢٤ . والعقيدة النظامية ص/ ٦٨ .

لما كان دالا على صدق مدع ، فقد خرجت المعجزات عن مضاهات دلالات العقول (١) ، وهى كذلك لا تدل دلالة سمعية لتوقفها على صدق النبى وصدق النبى متوقف على كونها دلالة سمعية فيلزم الدور وهو باطل .

لذا قالوا بأن دلالة المعجزة دلالة عادية ، بمعنى أن الله أجرى العادة فى خلقه بأن يخلق العلم لدى المرسل إليهم بصدق الرسول عقب ظهور المعجزة على يده ، وعلى هذا فإنه يمكن عقلا ــ عندهم ــ تخلف الصدق عن ظهور المعجزة وإن كانت العادة جرت بعدم التخلف . (٢)

٢ ــ وذهب الأشعرى ومن تبعه من الأشاعرة ــ خلافا لجمهورهم ــ والماتريدية والمعتزلة إلى أن ظهور المعجز على يد الكاذب غير جائز عقلا .

قال الأشعرى ومن معه من الأشاعرة : لأن للمعجزة دلالة قطعية على الصدق يمتنع التخلف فيها ، فلا بد لها من وجه دلالة ، إذ به يتميز الدليل الصحيح من غيره فان دل المعجز المخلوق على يد الكاذب على الصدق ، كان الكاذب صادقا وهو محال ، وإلا انفك المعجز عما يلزمه من دلالته القطعية على مدلولها وهو أيضا محال . (٣)

وقال الماتريدية : لأن ذلك يوجب التسوية بين الصادق والكاذب وعدم التفرقة بين النبى والمتنبى ، وهو سفه ينزه الله الحكيم عنه (٤) ، ومنعت المعتزلة من وقوع المعجز على يد الكاذب بناء على أن الحكمة تقتضى ذلك الامتناع ، لأن وقوعه فيه إيهام صدقه ، وهو اضلال قبيح من الله فيمتنع صدوره عنه . (٥) ومن هذا يتضح ان أصحاب هذا الرأى يرون ان دلالة المعجزة دلالة عقلية وليست عادية ، فلا يجوز تخلف الصدق عنها . بل لا يجوز ان تنفك المعجزة عن دلالتها على الصدق .

---

(١) انظر : الارشاد/٣٢٤ .

(٢) انظر : الجرجانى : شرح المواقف جـ٣/ ١٨١ ــ ١٨٢ ، و التفتازانى : شرح المقاصد جـ٢ / ١٣٢ ، مغفور عثمان : النبوة و الرسالة فى الاسلام ص/ ١١٦ و النفتازانى : شرح العقائد النسفية ص/ ١٦٦ .

(٣) انظر : الجرجانى : شرح المواقف ٣/ ١٨٢ و ابن تيمية : النبوات ص/ ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٢٤

(٤) انظر : التفتازانى : شرح المقاصد جـ٢ / ١٣٢ مع مغفور عثمان : النبوة والرسالة ص/ ١١٧ .

(٥) انظر الجرجانى : شرح المقاصد جـ٣/ ١٨٢ . مع مغفور عثمان : النبوة والرسالة ص/ ١١٧

٣ ـ و القاضي عبد الجبار (من المعتزلة) متردد في هذه المسألة ، فمرة يجعلها دلالة وضعية (عادية) و مرة أخرى يصرح بعدم جواز تخلف الصدق عن المعجزة ، فتكون الدلالة عنده ـ عقلية ـ و لم نر له ترجيحا لاحدهما على الاخر ، فيقول في المغني : " تنزل المعجزة منزلة التصديق بالقول ، فنقول : إذا صح لو صدقه تعالى عند إدعائه النبوة و الرسالة كونه نبيا صادقا ، فكذلك اذا فعل ما يحل هذا المحل من المعجزات ، لان مجموع قوله : " اللهم ان كنت صادقا فيما ادعيت من الرسالة فاقلب العصا حية ثم وقوع ما سأل عنه مطابقا لمسألته ، بمنزلة المواضعة المتقدمة على التصديق ، بل ذلك أقوى في بابه ، لان من حق التصديق بالقول أن يصح فيه ـ و الحال هذه ـ المجاز و الاستعارة لأمر يرجع إلى ذات الكلام ، وصحة هذه الطريقة فيه و لا يتأتى ذلك في الفعل المخصوص إذا التمسه الرسول من المرسل ليظهر به حاله للمرسل إليه " (١) و توافق الجويني في الإرشاد مع ما ذهب إليه عبد الجبار في هذا الرأي على كونه دلالة المعجزة دلالة وضعية فهي كدلالة الألفاظ على معانيها ـ كما قلنا ـ فالتصديق من الله بالمعجزة كأنها نازلة منزلة قوله تعالى : صدق عبدي في كل ما يبلغ عني ، فدلالة هذه الألفاظ على معانيها دلالة وضعية ، ولكنه مع ذلك قال بأنه يستحيل وقوعها على يد الكاذب لأنها تتضمن التصديق (٢) ووافق الغزالي أستاذه الجويني في القول بامتناع ظهور المعجزة على يد الكاذب إلا أنه جعلها من قبيل الإنشاء ، و ليست من قبيل الإخبار ، الذي يتصور فيه الصدق و الكذب حيث يرى الغزالي أن المعجزة بمثابة قوله تعالى أنت رسولي ، و ليس بمثابه هذا رسولي ، لذلك لا يتصور الكذب في ذلك ، لأن من قال له أنت رسولي ، صار رسولا و خرج عن كونه كاذبا ، فالجمع بين كونه كاذبا ، وبين ما ينزل منزلة قوله تعالى أنت رسول محال (٣)

---

(١) المغني جـ١٥/١٦١ .

(٢) ص/٣٢٤ ، ٣٢٥ .

(٣) انظر : الاقتصاد في الاعتقاد ص/ ١٧٠ ت: محمد مصطفى أبو العلا .

ولكن الدلالة الوضعية لا بد ان يسبقها مواضعة ، أى وضع معين اتفق عليه من قبل بين المرسل (بالكسر) والمرسل إليهم (بالفتح) ، كما هو الحال في الألفاظ والكلام الموضوع لمعنى معين ، ولا توجد هذه المواضعة فى المعجزة ، ويبدو أن القاضى عبد الجبار أدرك هذا الإشكال ، فأجاب عليه بأن طلب الرسول إلى الله تعالى أن يصدقه بإظهار معجزة معينة ووقوع ذلك عنده — أى عند هذا الطلب — هو بمنزلة وضع تقدم عليها كالوضع الذى فى اللغة (١) فهو هنا قد أوضح أن المعجزة تنزل منزلة التصديق بالكلام ، فكأن الله صدق صاحب المعجزة ، بقوله : صدقت ، وتكون دلالتها على صدقه كدلالة الكلام ، لأن الكلام يحتمل الاستعارة والمجاز بخلاف الفعل الذى لا يحتمل إلا الحقيقة ، فالدلالة هنا عند القاضى عبد الجبار دلالة عادية ، لأن الدلالة الوضعية من قبيل الدلالة العادية ، وليست من قبيل الدلالة العقلية . (٢).

ولكننا — كما قلنا — نجد أن القاضى عبد الجبار فى موضع آخر يصرح بأن تخلف الصدق عن ظهور المعجزة غير جائز ، لأن ذلك يؤدى إلى القبح ، وهو محال على الله تعالى يقول فى المغنى : "إن التصديق إذا تجرد عن قرينة ودلالة فالواجب حمله على ما وضع له ، حتى لا يجوز — والحال هذه — خلافه ، وإنما يجوز فى ظاهر الكلام أن يراد به المجاز والاستعارة إذا قارنته الدلالة ، فأما إذا تجرد فلا يجوز عندنا فيه ذلك ، لأنه لو جوزنا خلافه لم يصح أن نفهم بخطابه جل وعز شيئا ، لأوجب ذلك كون خطابه تعالى قبيحا ، فإذا صح ذلك فى التصديق ، فالواجب مثله فى المعجز بل المعجز فى بابه أقوى من التصديق" (٣).

ومن هنا يتضح لنا تردد القاضى عبد الجبار بين القول بان دلالة المعجزة عادية أو عقلية ، ومما مضى يتضح رأى المتكلمين فى دلالة المعجزة فما هو

---

(١) انظر : المغني :ج١٥/٦٨ وانظر: مغفور عثمان: النبوة والرسالة فى الاسلام ص/١١٨.

(٢) انظر: مغفور عثمان : النبوة والرسالة فى الاسلام ص/١١٩.

(٣) المغني في ابواب التوحيد والعدل ج١٥/١٧٢ — ١٧٣.

رأى ابـــن تيميـــة ؟

رأى ابن تيميـــــة :ـــ

لقد مر بنا فى مواضع عديدة أن ابن تيمية يجعل آيات الأنبياء مختصـــــــة بهم ، لا يشاركهم فيها أحد غير الأنبياء ، وأنه يستحيل وجود الآية المعجزة التـى تدل على النبوة من غير الصدق ، بل لا بد إن وجدت أن تستلزم الصدق ، وأنهـــا لا يمكن أن توجد مع الكذب ، فهى لا تظهر على يد الكاذب بل يستحيل ذلك ومـــا دامت المعجزة هى الآية والبرهان والدليل فلا بد أن تستلزم المدلول عليه ، لأنـــه لو وجدت الآية مرة مع الصدق ومرة مع الكذب فقدت دلالتها على النبوة ولم تصح أن تكون آية ودليلا ، ولا مانع أن ننقل هنا نص كلام ابن تيمية للتدليل والتأكيد على هـــذا المعنى فهو كثيرا ما أكد على هذا ، لذا فهو يقول " ان ما يدل على النبوة هـــو آيـة على النبوة ، وبرهان عليها ، فلا بد أن يكون مختصا بها ، لا يكون مشتركا بيـــن الأنبياء وغيرهم فإن الدليل هو مستلزم لمدلوله ... إما أن يكون مساويا له فى العموم والخصوص ، أو يكون أخص منه ، وحينئذ فآية الأنبياء لا تكون لغير الأنبياء " (١) وقال فى موضع ثان : " والدليل لا يكون إلا مستلزما للمدلول عليه مختصا به ، لا يكون مشتركا بينه وبين غيره ، فإنه يلزم من تحققه تحقق المدلول ، وإذا انتفى المدلول انتفى هو ، فما يوجد مع وجود الشيء ومع عدمه لا يكون دليلا عليه ، بل الدليل مـــا لا يكون إلا مع وجوده ، فما وجد مع النبوة تارة ومع عدم النبوة تارة لم يكن دليلا عـــلى النبوة ، بل دليلها ما يلزم من وجوده وجودها "(٢) . وقال فى موضع ثـــالث " إنه لا بد أن تكون الآية التى للنبى أمرا مختصا بالأنبياء ، فإن الدليل مستـــلزم للمدلول عليه ، فآية النبى هو دليل صدقه وعلامة صدقه ، وبرهان صدقه ، فـــلا

(١) ابن تيمية : النبوات ص/ ١١٠
(٢) نفس المصدر/ ٢٨

توجد قط الا مستلزمة لصدقه " (١).

وقال فى موضع رابع : " وخاصة الدليل أن يكون مستلزما للمدلول ، فكل ما استلزم شيئا كان دليلا عليه ، ولا يكون دليلا إلا إذا كان مستلزما له .... فآيات الأنبياء هى أدلة صدقهم ، وبراهين صدقهم ، وهى ما يستلزم صدقهم ، ويمتنع وجوده بدون صدقهم ، فلا يمكن أن يكون ما يدل على النبوة موجودا بدون النبوة " (٢).

ومن هذه النصوص الواضحة المعنى والمقصود نجد أن القول بأن دلالة الآية (المعجزة) على صدق صاحبها دلالة عقلية لا يجوز تخلفه عنها وأنه لا يمكن عقلا ظهورها على يد المدعى للنبوة كذبا هو رأى ابن تيمية وأن المعجزة - فى رأيه - مستلزمة للنبوة ، يلزم من وجود المعجزة وجود النبوة ، فلا يمكن ان تتخلف عنها أبدا . اذن كانت دلالتها على النبوة وصدق صاحبها دلالة عقلية . (٣)

والذى نقول به ونرجحه على غيره هو رأى ابن تيمية ، وهو كون دلالة (الآية) المعجزة على النبوة ، وعلى صدق النبى دلالة عقلية ، وأنه يستحيل عقلا ظهور المعجزة على يد الكاذب فى دعوى النبوة ، وذلك لأن القول بأن الدلالة دلالة عادية وأنه يجوز وجود المعجزة وظهورها من غير النبى وهو الكاذب فى دعوى النبوة يوءدى إلى : -

أولاً : ابطال دلالة المعجزة (٤) وهذا خلاف ما اتفقت عليه الأمة كلها .

ثانياً : تصديق الله للكاذب وهو محال عليه تعالى .

ثالثاً : التسوية بين الكاذب والصادق ، والمتنبى والنبى ، وهو سفه فى حق الله تعالى وهو محال أيضا وينزه عنه سبحانه .

رابعاً : إنسداد باب إثبات النبوة من جهة ، إذ لا يمكن التمييز - كما قلنا - بين النبى

---

(١) نفس المصدر ص/ ١٠٤ ، وكذا ١٠٧ ، ١٢١ .
(٢) نفس المصدر ص/ ١٨٩ .
(٣) انظر : مغفور عثمان : النبوة والرسالة فى الاسلام ص/ ١٢٢ .
(٤) انظر : ابن تيمية : النبوات ص/ ١١٠ .

الصادق ، والمتنبى الكاذب (١) وإنفتاح الباب للكذبة والدجالين من جهة أخرى إذ كل من أظهر خارقا ولو بالسحر والكهانة أو تسخير الجن قال : أنا نبى .

خامساً : نفى القدرة الإلهية المطلقة ، ووصف الله تعالى بالعجز عن إظهار ما يدل على صدق رسله وأنبيائه .

سادساً : الاعتراف بالنبوة لمن ليس بنبى والذى اجمعت الأمة على كذبه وكفره وقتاله كمسيلمة الكذاب ، والأسود العنسى ، وغيرهما ، وهو كفر وضلال .

سابعاً : إذا انسد باب إثبات النبوة استحال الإيمان باليوم الآخر والجنة والنار والصراط والميزان ، وعذاب القبر ونعيمه ومنكر ونكير وغيرها من أبواب الإيمان باليوم الآخر ، إذ لا يمكن إثبات ذلك إلا عن طريق الخبر النبوى .

وبناء على ما ذكرنا دلالة المعجزة على صدق صاحبها دلالة عقلية ولا يمكن تخلف الصدق عنها .

مناقشة المعتزلة فى إنكار الكرامات والسحر :

أنكرت المعتزلة ومن وافقهم - كما قدمنا - أى خوارق تقع لغير الأنبياء ، وكذبوا بما تواتر من كرامات الصالحين ، وأنكروا كذلك السحر وعدوه ضربا من التمويه والحيلة على وجه خفى .

ولكننا إذا نظرنا إلى الواقع المشاهد فإننا نرى كثيرا من هذه الخوارق للصالحين واقعة وحاصله ، وورد منها الكثير عن طريق الخبر المتواتر كالقرآن والسنة ، وقد شهدها خلق كثير شهادة عينية ، فكيف يكذب بما شهد فى الواقع وتواتر عند الناس أعظم من تواتر غيره من الأمور التى يصدقون بها . (٢) فهذا هو الواقع الذى يشهد بوقوع الكرامات لكثير من الصالحين فضلا

(١) نفس المصدر / ١١٠ ، ١١١ .
(٢) نفس المصدر / ٢ .

عن أخبار الكتاب العزيز بها ، ورودها فى السنة النبوية .

أما ثبوت الكرامة بالقرآن الكريم ، فقد ذكر الله تعالى قصة مريم الصديقة حيث وجد عندها الرزق بلا سبب ظاهر قال تعالى : " كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً ، قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (١).

وكذلك ما ذكره الله تعالى عن حضور عرش ملكة سبأ إلى سليمان — عليه السلام — قبل إرتداد طرفه ، على يد صاحبه الذى عنده علم من الكتاب ، قال تعالى : (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ، فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ...) (٢)

وكذلك ما ذكره الله تعالى عن أصحاب الكهف ، فقد لبثوا فى كهفهم تسعة وثلاثمائة سنة من غير تغير ولا آفة قال تعالى : (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَمِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ...) (٣).

وأما ثبوتها بالسنة فقد ورد :—

١ — أن الرضيع نطق ببراءة جريج العابد من فاحشة الزنى ، وشهد بنزاهته من ذلك على رؤوس الأشهاد ، ثبت ذلك بطريقة صحيحة (٤) مما يعد كرامة فى حق الصالحين أمثال جريج .

٢ — أن الصخرة العظيمة قد انفرجت عن باب غار النفر الثلاثة بعد أن سقطت من عل وسدت باب الغار سدا بحيث لا يستطيعون الخروج منه ، ولم تنفرج إلا بعد أن توسل كل واحد منهم بعمل صالح عمله ابتغاء وجه الله تعالى (٥).

٣ — أن أسيد بن حضير ، وعباد بن بشر — رضى الله عنهما — حين خرجا من عند

---

(١) سورة ال عمران الاية / ٣٧.
(٢) سورة النمل / ٤٠.
(٣) سورة الكهف الاية / ٢٥.
(٤) انظر: صحيح مسلم جـ٤ /١٩٧٦ — كتاب البر و الصلة .
(٥) انظر: صحيح البخارى ، كتاب أحاديث الانبياء (٦٠) باب (٥٣) جـ٤/١٤٧ ، و مسلم :كتاب الذكر و الدعاء (٤٨) باب (٢٧) جـ٤/ ٢٠٩٩ ، ت/ محمد فؤاد عبد الباقى .

رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ليلة مظلمة ، فكان بين أيديهما نور وكان يمشيان في ضوئه ، فلما افترقا ، وصار كل واحد منهما في طريق غير طريق صاحبه افترق معهما النور ، فكان لكل منهما نور يمشي في ضوئه حتى بلغ منزله . (١)

٤ ـ أن خبيبا ـ رضي الله عنه ـ عندما أسره المشركين ليقتلوه بمكة وجد معه عنب في غير أوانه . (٢)

٥ ـ وأن الصحابي عاصم بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ بعد ما قتله المشركين بعثوا من يأتيهم بشيء من جسده ، فلم يقدروا على ذلك ، لان الله قد بعث على جثته مثل الظله من الدبر فحمته من ذلك . (٣)

وبعد النظر في هذه الأدلة المتقدمة لا يسعنا إلا التسليم بإثبات الكرامات لامحالة واما دعوى التباسها بالمعجزة فهي دعوى غير صحيحة ، إذ أن آيات الأنبياء ـ كما قررنا ذلك سابقا ـ مختصة بهم لا يشاركهم فيها غيرهم ، وما جعله الله تعالى دليلا وبرهانا على النبوة يستحيل أن لا يدل عليها أو يدل عليها وعلى غيرها ، فإن الدليل مستلزم للمدلول .

وقد قدمنا في الفصل السابق أن الخوارق ليست نوعا واحدا ولا مرتبة واحدة ، فأنواعها ثلاثة :ـ

الأول : ما يعين صاحبه على البر والتقوى ، فهذه أحوال الأنبياء ، ومن تبعهم ، خوارقهم لحجة في الدين أو حاجة للمسلمين ، وهذه أكمل الخوارق وأعلى الأنواع .

الثاني : ما يعين على مباح ، كمن تعينه الجن على قضاء حوائجه المباحة ، ويعد من هذا من بعض الوجوه ، تسخير الجن لسليمان ـ عليه السلام ـ

---

(١) صحيح البخاري : ، الفتح جـ٧/ ١٢٥ .

(٢) صحيح البخاري جـ٥/ ١٣٣ .

(٣) صحيح البخاري جـ٥/ ١٣٣ .

الثالث : ما يعين على محرمات كالفواحش و الظلم و الشرك و القول الباطل ، ومن هذا النوع خوارق السحرة و الكهان و نحوهم و هذه الخوارق التي من النوع الثالث لا تظهر إلا بالإبتعاد عن الله تعالى ، وهذا أدنى الأنواع ، و هو مشتمل على كثير من المحرمات . (١)

و للخوارق أيضا ثلاث مراتب :

الأول : آيات الأنبياء و براهينهم الدالة على صدقهم و هى الآيات الكبرى المختصة بهم التى لا يشاركهم فيها غيرهم .

الثانية : كرامات الصالحين ، وهى من آيات الأنبياء ، و لكنها ليست من آياتهم الكبرى ، و لا مما يتوقف عليها صدق النبوة مما يكون خارقا لعادة غير الأنبياء مطلقا ، بل هى معتادة فى الصالحين من جميع الأمم . (٢)

الثالثة : خوارق الكفار و الفجار ، كالسحرة و الكهان و ما يحصل لبعض المشركين و أهل الكتاب ، و الضلال من المسلمين . (٣)

و ما دمنا قد استطعنا التفريق التام بين أجناس الخوارق و معرفة ما يؤيد الله به رسله من غيره ، فلا التباس بين آيات النبوة و غيرها .

ـ و أما قولهم بأن حصول الأثر المناقض للعادة بفعل الساحر لا يمكن معه العلم بالفرق بين ما يختص الله تعالى ـ بالقدرة عليه ، و بين مقدور العباد ، فالجواب عنه :ـ

اولاً : أن ما قدمناه من تقسيم الخوارق ، و ذكر أنواعها و مراتبها مما يبين بوضوح الفرق بين ما يختص الله تعالى بالقدرة عليه و بين ما يدخل تحت مقدور العباد .

ثانياً : أن كل ما يجرى على أيدى السحرة و الكهان من الحقائق و حصول الآثار ليس هو مما لا يقدر عليه إلا الله ، و لا مما يختص به الأنبياء ، و إنما هو من مستطاع

---

(١) انظر: ابن تيمية : النبوات ص/ ١٠ ، ١١ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ .
(٢) انظر: نفس المصدر ص/ ٤ ، ٥ ، ٢٨٢ .
(٣) المرجع السابق ٤ ، ٥ ، ٢٦٠ .

الإنس والجن ، لا يخرج عن كونه كذلك بخلاف آيات الأنبياء فهي خارجة عن مقدور الثقلين لأن الرسل أرسلت إليهم ، قال تعالى : (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ والإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) (١) .
ومعلوم أنه إذا أرسل للجن والإنس رسول يدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى — فلا بد أن يأتي بآيات خارجة عن مقدورهم جميعا .

كما أن الفروق كثيرة جدا بين النوعين من حيث أهل هذا ، وأهل هذا ، ومن حيث جنس هذه وجنس هذه . وقد فصلنا ذلك في الفصل السابق — أما نفيهم السحر بناء على أن السحرة لا يحصلون على الأموال العظيمة من غير تعب مع شدة الرغبة فيها والتعطش إليها ، فليس في ذلك مستند على نفيه ، وذلك من وجوه :—

اولاً : أن الله تعالى حكم على السحر بأنه لا نفع فيه بل هو مما يضر ، قال تعالى عن السحر (وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ) (٢) ، وما دام كذلك فلا يمكن للسحرة أن ينتفعوا به على أي وجه كان الإنتفاع ، ولذا نجد السحرة والكهان من أفقر الناس وأرذلهم وأخبثهم .

ثانياً : أن الله — عز وجل " قدر الأرزاق بأسبابها ، وربط أرزاق البشر بعوامل عديدة داخلة في إطار الابتلاء بحسن العمل في عبادة الله تعالى — فجعل من نزعات الإنسان ، ورغباته الملحة حب المال ، وهو طريق حصوله على كثير من متطلباته الأمر الذي تشتد معه الرغبة فيه والسعي إليه ، فابتذال أسبابه ، والتلاعب بأعيانه مما تتخلف معه الحكمة ، لهذا — والله اعلم — كان التبدليل أو التغيير في مادته يحتاج إلى مثل قيمة المبدل ، أو أكثر فسبحان من قال : (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) (٣) (٤) .

---

(١) سورة الأنعام الآية / ١٣٠ .
(٢) سورة البقرة الآية / ١٠٢ .
(٣) سورة السجدة الآية / ٠٧ . (٤) د / أحمد بن ناصر بن حمد الحمد : كتاب السحر بين الحقيقة والخيال ص / ٥٠ ط ١ — مكتبة التراث بمكة .

ثالثا : "أن قدرة الساحر لا تصل إلى قلب الحقائق الثابتة و ما يحصل بالسحر من أثر أو تأثير إنما هو فى التصرف فى الأعراض ، من باب التأثير على الروح أو البدن و ذلك واضح ... و ليس قلب المعادن الرخيصة إلى معادن ثمينه من مستطاع الساحر بمجرد سحره " (١)

ثم إن الذين أثبتوا حقيقة السحر و آمنوا بوجوده و آثاره ، إنما آمنوا به و أثبتوه لأن القرآن و السنة قد أثبتت ذلك أما آيات القرآن فيؤولها المخالفون تأويلا متعسفا ، و أما السنة فيردونها ردا منكرا و إن كانت فى أعلى درجات الصحة ، و لذلك يقول الإمام ابن قتيبة : " و هذا شئ (أى السحر) لم نؤمن به من جهة القياس و لا من جهة العقل ، و إنما آمنا به من جهة الكتب ، و أخبار الأنبياء — صلى الله عليهم وسلم — و تواطؤ الأمم فى كل زمان عليه ، خلا هذه العصابه ، التى لا تؤمن إلا بما أوجبه النظر ، و دل عليه القياس ، فيما شاهدوا و رأوا " (١).

أما زعمهم بأن إثبات حقيقة السحر مما لا يمكن معه التمسك بالنبوات فهو زعم معلوم البطلان ذلك لأن جنس آيات الأنبياء تختلف تماما و تفترق عما يجرى على أيدى السحرة و الكهان و قد ذكر ابن تيمية ما يزيد على عشرة فوارق بين آيات الأنبياء و بين غيرها من الخوارق تحدثنا عنها سابقا فى بيان طريقة ابن تيمية فى إثبات النبوة . (٣)

و الذى أوقعهم فى هذا الخطأ أنهم ظنوا أن آيات الأنبياء و خوارق السحرة و الكهان كلها جنسا واحدا لا يمكن تمييز بعضه عن بعض ، فيتعذر بذلك معرفة المعجزة التى هى دليل النبوة من غيرها .

---

(١) المصدر السابق نفسه .
(٢) ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ص/ ١٨٧ .
(٣) انظر الفصل الرابع من الباب الأول (طرق اثبات النبوة عند ابن تيمية) .